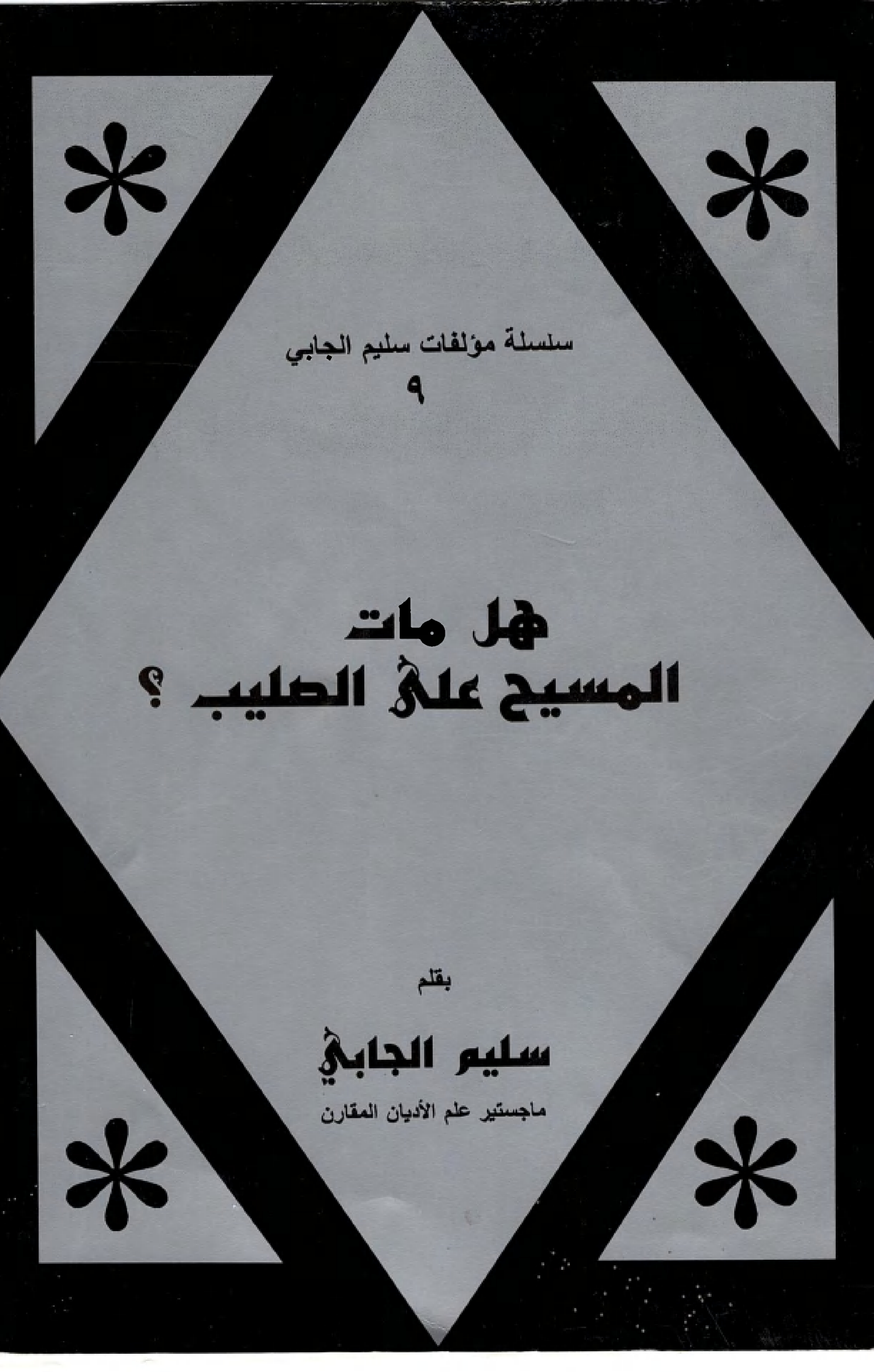

سلسلة مؤلفات سليم الجابي
٩
هل مات
المسيح على الصليب ؟
بقلم
سليم الجابي
ماجستير علم الأديان المقارن

هل مات المسيح على الصليب ؟

بقلم

سـليم الجابي

ماجستير علم الأديان المقارن

الباب الأول



المقدمة



بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ كلّ من يتابع مجريات الأمور في زماننا الحاضر ، يدرك أنّ حكومات أمريكا وأوروبا التي تدين أكثريّة شعوبها بالمسيحيّة ، أضحت لها الهيمنة الواضحة على شعوب وحكومات العالم بأسره بصورة مباشرة وبصورة غير مباشرة .

ومَن كان مفكّراً دينيّاً مثلي ، لابدّ أن تأخذ هذه الظاهرة حيّزاً من ذهنه تفكيره . خصوصاً وأنّي مسلمٌ أعتقد بمصداقيّة القرآن الكريم الذي لم يُنكر على المسيح عيسى ابن مريم نبوّته . في وقتٍ أنكر على بني إسرائيل تكذيبهم لنبوّة المسيح ورسالته . فمامعنى أن يعتبر اليهود المسيح الناصري ملعوناً وكاذباً ليأتي القرآن من بعد فيعترض عليهم ويدّعي خطأهم فيما ذهبوا إليه ، إلاّ أن يكون هذا القرآن يقدّم حجّة قاطعة على مايدّعيه مادام تنزيلاً من الله العزيز الحكيم الذي يعلم السرّ وأخفى ؟

أي أنّ ظاهرة هيمنة الحكومات المسيحيّة تجرّ ذهن أمثالي وتحثّهم على إعادة النظر في حقيقة الجدل القائم مابين يهود العالم وبين كلّ من كان مسيحيّاً حول شخص المسيح الناصري .

ذلك أنّ اليهودي حينما يسأله أيّ إنسان عن سبب محاولة أجداده القدماءقتل المسيح على الصليب ، يعيد إلى ذهنه ماورد في

التوراة : (فليقتل ذلك النبي) (١) بمعنى أنّ وجود هذا النصّ التوراتي كان السبب في محاولة اليهود قتل كلّ مدّعٍ كاذبٍ للنبوّة . وهم اعتقدوا كذب المسيح الناصري في ادعائه النبوّة وادعائه أنّه المسيح الذي كان اليهود ينتظرون ظهوره وفقاً للنبوءات التوراتيّة .

وبغضّ النظر عن مدى حقيقة هذا النصّ التوراتي ، فإنّ اليهود ضغطوا ضغطاً جماهيريّاً على الحاكم الروماني بيلاطس النبطي ليصلب لهم المسيح ، ليثبتوا بذلك كذبه فيما ادعاه . واليهود اعتقدوا أنّهم أفلحوا في مسعاهم وقتلوا المسيح الناصري مصلوباً . فكذّبوه وطاردوا أتباعه في كلّ مكان ، وانقلب مافعلوه إلى عداوة وبغضاء .

فهل أفلح اليهود حقّاً في إماتة المسيح على خشبة الصليب ، إن كان صادقاً على حسب ماأعلنه القرآن الكريم ؟ هذا السؤال الكبير لطالما دار في خلدي يؤرّقني ويدفعني لأن أعثر على دليلٍ قاطع قدّمه القرآن الكريم في هذا المضمار .

وبعد العودة إلى القرآن الكريم والأناجيل المعاصرة بحثاً وتمحيصاً ، وإلى ماأورده المؤرخون والمفسّرون ، فقد تجمّعت بين يديّ خيوط حقيقةٍ غابت عن اليهود وعن المسيحيين أنفسهم وعن المفسّرين المسلمين وعلماء المسلمين . وماكانت هذه الخيوط لتقع في يديّ ، وماكانت تلك الحقيقة لتتجلّى لعينيّ ، لو لم أتجرّد عن كلّ ماهو موروث ، ولو لم أبحث بأسلوبٍ موضوعي وعلميّ .

فمن حيث وجهة النظر القرآنيّة ، اتضح لي أنّ القرآن الكريم سلك هنا أسلوباً جدليّاً منطقيّاً ، فاعلن صراحةً أنّ المسيح لم يمت على الصليب ، وإن كان اليهود قد أفلحوا في تعليقه على خشبته . وأنّ المسيح أنزل حيّاً من فوق الصليب

---

(١) – الكتاب المقدّس – سفر التثنية – الإصحاح < ١٨/ ٢٠ > – طبعة بيروت عام ١٩٨٩م .

ولم يمت عليه . متّهماً اليهود أنّهم يدّعون أمراً أقاموه على أساسٍ من الظنّ ﴿ وماقتلوه يقيناً ﴾ .

وهذا الطرح القرآني هو طرحٌ قانوني . فالمعلوم أنّ القاضي في المحكمة يطالب المدّعي أوّل مايطالبه به ، ببيّنة وشهود إثبات . والقرآن الكريم في طرحه المذكور طالب اليهود ببيّنة وشهود إثباتٍ على مايدّعون ويزعمون قتل المسيح على الصليب . متحدّياً إياهم أن يكونوا قد قتلوه يقيناً . وبذلك أعاد القرآن الكُرة إلى مرمى اليهود .

كما أنّ القرآن الكريم من خلال طرحه هذا طالب المسيحيّين الذين اختلفوا مع اليهود بشأن شخص المسيح وسلّموا بموت المسيح على الصليب ، طالبهم بنفس المطالبة أي بتقديم بيّنةٍ وشهودِ إثبات على مازعموه من موت المسيح على الصليب وقيامه من بين الأموات . وبذلك أعاد الكرة إلى مرمى المسيحيّين أيضاً . والسؤال هو : ماهي البيّنة التي يملكها اليهود والمسيحيّون والتي يَثْبُتُ منها موت المسيح الناصري على الصليب ؟

ولا شكّ أنّ هذا الطرح القرآني وهذه المطالبة ، جاءا بعد مضيّ أكثر من ستّة قرون مضت على حادثة الصلب المذكورة . ولايملك اليهود والنصارى من بيّنةٍ وأدلّة إلاّ فيما توارثوه من أخبار مدوّنة في هذه الأناجيل الأربعة (متّى ومرقس ولوقا ويوحنّا) . فهل يثبت من هذه الأناجيل موت المسيح على الصليب بصورة يقينيّة ؟

وعدت إلى هذه الأناجيل أستقرئها الحقيقة ، وأبحث فيما احتوته من بيّنة تثبت موت المسيح الناصري على الصليب .وإنّ ماأدهشني هو أنّ هذه الأناجيل لاتحتوي على أيّ شيء من هذا القبيل . بل على العكس من ذلك تؤيّد مضامينها مضمون الطرح القرآني . فقد تبيّن لي أنّ هذه الأناجيل متناقضة تماماً فيما قدّمته من

أخبارٍ حول واقعة الصليب . ولم يقدّم صاحب أيّ إنجيل منها دليلاً يقينيّاً يثبت منه موت المسيح على الّصليب .

وكي لا أكون مبالغاً فيما نسبته إلى الأناجيل من التناقض والعجز عن الوقوف في وجه هذه المطالبة القرآنيّة . اضطررت لأن أفرد فصلاً خاصّاً ، أمهّد به لبحثي وتدقيقي في هذه الأناجيل وقد أسميت هذا الفصل (قصّة الأناجيل) واستقيت معلوماته من مقدّمة آخر طبعةٍ للكتاب المقدّس في بيروت عام ١٩٨٩ م ، كيلا أكون متجنّياً على هذه الأناجيل .

اتّضح لي من خلال تدقيقي في هذه الأناجيل أنّ المسيح كان قد تنبّأ عن واقعة محاولة صلبه التي عرضت له وهو في سنّ الثالثة والثلاثين من عمره ، تنبّأ عن أنّها ستقع وينقذه ربّه من شرورها ويخرجه منها سالمًا . فهو تنبّأ بقوله : (جيلٌ شرّيرٌ فاسق يلتمس آية . ولاتعطى له إلاّ آية يونان النبي) (١) ويونان النبي المذكور هو يونس عليه السلام الذي ابتلعه الحوت وهو حيّ ، ولفظه بعد أيّام وهو حيّ أيضاً - سفر يونان النبي - بمعنى أنّ مشابهةً ستحدث مابين يونس وبين المسيح الناصري عند تعرّضه لمحاولة صلبه . والمشابهة ستكون في تعليق المسيح على الصليب وهو حيّ ، وفي إنزاله عنه وهو حيّ أيضاً . أي أنّ النبوءة أشارت بوضوحٍ إلى عدم موت المسيح الناصري على الصليب .

والذي فهمه كُتّاب الأناجيل هو أنّ المسيح سيموت على الصليب ويُدفن ويظلّ في قبره ثلاثة أيّام وثلاث ليال ومن ثم يقوم من بين الأموات . أي أنّهم ذهبوا في فهم مضمون هذه النبوءة إلى ناحية التشابه الزمني ، وغفلوا عن ناحية التشابه الحياتيّ . وجرّهم خطؤهم هذا إلى تناقض مع الواقع ، وهو أنّ المسيح لم يبق في القبر

---

(١) - إنجيل متى < ١٦/ ٤ >.

الذي وضعوه فيه مُخدّرا سوى أقلّ من يوم ونصف . الأمر الذي يثبت خطأ هؤلاء في فهمهم لمضمون النبوءة التي تنبّأ بها المسيح الناصري ذاته ، والوارد نصّها في الأناجيل كما سبق أن بيّنت .

والذي نستفيده من هذا الكشف هو مطابقة مضمون هذه النبوءة للطرح القرآني ، وهو أنّ المسيح الناصري أُنزل عن الصليب حيّاً ، فلم يمت على خشبة الصليب . وهذا أوّل خيطٍ لصالح الطرح القرآني .

كما اتضحت لي معالم خطّة وضعها الحاكم الروماني الذي كان حاكماً على فلسطين يومذاك والمسمّى في الإنجيل " بيلاطس النبطي " ، معالم خطّة اضطر الحاكم المذكور لوضعها تجاه ضغوط جماهير اليهود عليه ليصلب المسيح البريء ، وخلافاً لقوانين بلاده . فقد وجد بيلاطس نفسه بين خيارين : إمّا أن يصلب المسيح الناصري ويخون قانون بلاده وضميره الشخصي . ويعمل خلافاً لمضمون رؤيا مزعجة رأتها زوجته هذه التي أرسلت إليه وهو على كرسي الولاية قائلةً : (إياك وذلك البار ، لأنّي قد تألّمت اليوم كثيراً في حلم من أجله)(1) وكيف سيكون حال بيلاطس إن هو خان قانون بلاده ، ووصلت أخبار ذلك إلى سمع الإمبراطور الروماني الذي استأمنه على فلسطين ؟

هذا وسيجد القارئ الكريم تفاصيل هذه الخطّة التي وضعها بيلاطس لإنقاذ المسيح الناصري من محنته في هذا الكتاب الذي بين يديه . وسيعلم أنّ بيلاطس اختطّ مسارين اثنين : الظاهر منهما يشير إلى استجابته لرغبة اليهود . والباطن والخفيّ منهما يساعد المسيح لإنقاذه من الموت على خشبة الصليب . وهذه الخطّة إن دلّت على شيء فإنّما تدلّ على لياقة بيلاطس وواسع ثقافته وبُعد نظره في

---

(1)- متى <27 / 19>

معالجة مثل هذه الأحداث المعقّدة .

وقد كان بيلاطس حذراً أشدّ الحذر في تنفيذ خطّته تلك . فلم يفطن اليهود لها ، واعتقدوا وفقاً لظواهر الأحداث أنّهم تمكّنوا من تعليق المسيح الناصريّ على الصّليب وإماتته عليه . وأنّهم أثبتوا بذلك كذب المسيح الناصري في دعواه . واعتبروا أنفسهم في حِلٍّ من الإيمان به والتّقيّد بوصاياه . وظلّوا مكذبين إيّاه إلى هذا اليوم.

وقد أدّى حذر بيلاطس الشديد وحرصه على ألاّ تنفضح خطّته ، أدّى إلى وقوع أتباع المسيح القلائل العدد والبسطاء ، إلى وقوعهم في أحبولة الأغلوطة التي وقع فيها اليهود أنفسهم . وظنّ هؤلاء كما ظنّ اليهود أنّ معلّمهم المسيح الناصريّ قد مات على خشبة الصليب . والمهمّ في الأمر هو أنّ اكتشاف تحقيقي وتدقيقي الذي أجريته من خلال النصوص الإنجيليّة ، والذي أسفر عن وجود خطّةٍ مُبيَّتةٍ من قبل الحاكم الروماني بيلاطس ، الغرض منها إنقاذ المسيح الناصري من محنته وعدم إماتته على الصليب . إنّ هذا الكشف وهذه الخطّة جاءا في صالح الطرح القرآني وليس ضدّه .

ومن ثم رحت أدقّق تفاصيل مُجريات عملية محاولة صلب المسيح ، على حسب ماأوردتها الأناجيل الأربعة . فوقعت تحت ناظريّ أدلّةٌ قاطعة ، يثبُت منها إنزاله حيّاً عن الصليب لم يمسسه سوءٌ إلاّ مافعلته المسامير في مشط قدميه .

وسيطّلع القارئ الكريم على هذه الأدلّة القاطعة ضمن هذا المؤلّف بألفاظها ونصوصها الإنجيليّة المُعتمدة .

فإن قيل : وكيف أفلتت هذه النصوص من أقلام كُتّاب الأناجيل دون وعيٍ منهم لدلالاتها ؟ أقول : إنّ فصل (قصّة الأناجيل) من هذا الكتاب سيُعين المُعترض

علـى إجابـة نفسـه بنفسـه . ويكفـي هنـا القـول : إنّ الذيـن كتبـوا هـذه الأناجيل ، كتبوها على السّماع والرواية ممّن وصلتهم تلك الأخبار بعد مضيّ عقودٍ زمنيّة عديدة على حادثة الصلب . ثم إن الذين كتبوا الأناجيل ، مازعموا يوماً أنهم دقّقوا ماوصلهم من أخبارٍ علـى السماع . بل كان جلّ هم هؤلاء الكتبة توثيق ماسمعوه بأسلوبٍ قصصيّ . ثمّ إنّ ماوثّقوه ودوّنوه ، راح النسّاخ ينسخونه جيلاً بعد جيل وطوال أربعة عشر قرناً من الزمان إلى أن وصل مانسخوه إلى عصر الطباعة مشوّهاً ومُضافاً عليه على هوى من نسخوه . وقد اعترف بذلك الأمر واضعوا مقدّمة آخر طبعةٍ للكتاب المقدّس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩م. وقد احتوى فصل (قصّة الأناجيل) هذه الاعترافات ، لذلك فلا عجب أن تفلت مثل هذه الفقرات التي اعتبرتها أدلّةً قاطعةً على عدم موت المسيح الناصري على الصليب من أقلام الذين كتبوها .

فلمّا انتهيت من هذه التحقيقات واجهني سؤالٌ وهو : مادام المسيح الناصري لم يمت على الصليب ، فهل تكلّم القرآن الكريم حول مل يتعلّق بحياته بعد حادثة الصّلب . أم أنّه لم يُشر إلى ذلك الموضوع من قريب ولامن بعيد ؟

وعثرت على الإجابة على هذا السؤال ضمن سورة من سور القرآن حيث قال تعالى هناك :﴿ **وجعلنا ابن مريم وأمّه آية و آويناهما إلى ربوةٍ ذات قرار ومعين** ﴾ وقد كتب ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة : (اختلف المفسرون في مكان هذه الربوة في أيّ أرضٍ هي ؟) وراح فعدّد روايات كثيرة منها أنّ هذه الربوة هي إحدى ربى مصر . وأخرى أنّها تعني دمشق . وثالثة أنها الرملة ورابعة أنّها القدس . وقد مال ابن كثير إلى تصديق آخر رواية من هذه الروايات . أقول إنّ ماأورده ابن كثير في شرح هذه الآية الكريمة

إن دلّ على شيء إنما يدلّ على حالة الضياع الموضوعي الذي كان ذهن ابن كثير يعيشه . فلاهو يتقيّد بسباق وسياق موضوعي ، ولا بأصول تفسير مستقاة من القرآن الكريم نفسه وهو الكتاب الكامل . ولايميّز مابين رواية مدسوسة ومخالفة للقرآن ولابين رواية موافقة لمضامينه .

وإثر دراستي لألفاظ هذه الآية من سورة المؤمنون موضوعيّاً ، تبيّن لي أنّها رسمت للباحثين إطاراً ومَعْلماً يهتدون به ، على طريق محاولة الإجابة على السؤال المطروح حول مصير المسيح الناصري بعد حادثة الصلب المعروفة . فمن يطالع كتابي هذا إلى آخره سيجد أنني أفردت لتفاصيل ذلك مكاناً لائقاً فيه . وبإمكان القارئ أن يتبيّن بعد قراءته مدى صحّة ماذهبت إليه .

وعندما راجعت الأناجيل الأربعة أدققها من هذه الزاوية ، تبيّن لي أنّها تؤيّد ماطرحه القرآن الكريم حول مصير المسيح الناصري بعد نجاته من الموت على الصليب . فقد تبيّن لي أنّ المسيح كان يذكّر تلاميذه في مناسباتٍ عديدة أنّ مهمّته السّماويّة تنحصر في الوصول إلى الأسباط الذين سمّاهم (خراف بيت إسرائيل الضّالة) . أي أنّ مهمّته ليست محصورة في يهود فلسطين ، بل وفي يهود الأسباط المنفيّين خارجها ، والذين تشتّتوا في أنحاء فارس وأفغانستان وكشمير بعد سبيهم من فلسطين على أيدي الملك العراقي "بختنصّر" قبل المسيح بمدّة (٥٨٨) عاماً . فقد كانت من مُهمّة المسيح أن يسيح في تلك الأصقاع التي تشتّت فيها أسباط بنو إسرائيل . علماً بأنّه لم يكن قد سُمِح بالعودة من تلك الأسباط إلى فلسطين إلاّ لسبطين هما كهنةُ هيكل سليمان المُدمّر . حدث ذلك بعد موت بختنصّر بمائة عام .

وهل سُمّي عيسى في القرآن مسيحاً ، إلاّ لسياحته في تلك البقاع خارج وطنه ؟ فلا تجوز تسمية أحدٍ سائحاً ومسيحاً إلاّ إذا تنقّل بين الأقطار خارج وطنه

الذي يعيش فيه .

وهكذا تتفق الأناجيل المعاصرة مع الطرح القرآني المتعلّق بمصير المسيح الناصري بعد نجاته من محاولة قتله على خشبة الصليب . وبإمكان القارئ أن يجد تفاصيل ذلك في هذا الكتاب أيضاً ، وموثّقاً بالنصوص الإنجيليّة والتاريخيّة . وللقارئ الخيار في الفصل في مدى صحّة هذه النّصوص .

وعلى هذه الصورة يكون الله عز وجل قد وفقني في هذا الكتاب لتوضيح أمر اختلف اليهود والنصارى فيه ، فاليهود والنصارى اختلفوا حول موت المسيح على خشبة الصليب . ذلك أنّ اليهود اعتبروا المسيح الناصري من جرّاء موته على الصليب كاذباً في نبوّته . والنصارى اعتبروا المسيح الناصري من جرّاء موته على الصليب ربّاً وإلهاً قام بعد موته من بين الأموات ، وأضحى كفّارة عن ذنوبهم . فالميتة على الصليب لاتحتمل هذا الاختلاف أصلاً فلابدّ أن تكون لها دلالة واحدة .

وقد نزل القرآن الكريم مُهيمناً وقال : ﴿ **وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شكّ منه** ﴾ والشكّ في اللغة يعني بداية الريب أي أن اعتقادهم موت المسيح على الصليب كان بداية شكّهم واختلافهم في أمر حقيقة شخصيّة المسيح . لذلك أضاف الله تعالى قوله : ﴿ **مالهم به** - أي مالهم في الأمر الذي اختلفوا فيه - **من علم إلاّ اتباع الظنّ** ﴾ بمعنى أنّ علم اليهود حول كذب المسيح ، وعلم النصارى حول ألوهيّة المسيح ، ما هو إلاّ من قبيل العلم الظّني . ولذلك أضاف تعالى قوله أيضاً موضّحاً الحقيقة التاريخيّة بقوله : ﴿ **وماقتلوه يقيناً** ﴾ أي أنّ المسيح الناصري لم يمت على الصليب ، ولاتوجد أدلّة يقينيّة تثبت مازعموه .

وتكلّم القرآن عن حال المسيح وأمّه الذي آلا إليه بعد حادثة الصليب

وقال : ﴿وجعلنا ابن مريم وأمّه آية وآويناهما إلى ربوةٍ ذات قرار ومعين﴾ والإيواء لايكون إلاّ عند المصيبة ، وليس هناك مصيبة حلّت بالمسيح أعظم من محاولة إماتته على خشبة الصليب . وترك القرآن الكريم للقارئ أن يبحث تاريخيّاً عن هذه الربوة ذات القرار والمعين . على اعتبار أنّ القرآن الكريم ماهو بكتابِ تاريخٍ ليفصّل لنا ذلك . بل يكتفي بالإشارة في مثل هذه الأحوال . وإنّ القارئ الذي يطالع كتابي هذا سيجد تفصيل ذلك ضمن صفحاته .

أمّا لماذا آوى ا لله تعالى المسيح الناصري إلى تلك المنطقة ، الجواب هو ليكمل رسالة ربّه، ويبشّر بقيّة أسباط بني إسرائيل الّذين بلغت طلائعهم تلك الربوة الأرض ، واستقرّوا فيها ، بعيداً عن فلسطين .ولهذا السبب نفسه لم يمكّن ا لله عزّ وجل اليهود من قتل المسيح على الصليب ، وليجعله سائحاً إلى تلك الأقطار بقصد تبشير بقيّة قومه من الأسباط الُمشتّتة وهو ماسمّاه الإنجيل (خراف بيت إسرائيل الضّالّة) . وقد أشرت من خلال تحقيقي التاريخي إلى وجود قبر المسيح الناصري وقبر أمّه في تلك الربوة إلى الآن شاهدين على صدق ماأنبا به ا لله علاّم الغيوب .

وزبدة الكلام هو أنّ تحقيقي التاريخي الذي تضمّنه هذا الكتاب ، والذي كشفت فيه عن عدم موت المسيح الناصري على الصليب . لن تُعرف قيمته على المدى القريب لهيمنة أصحاب العقل التقليدي على أتباع الديانات الثلاث اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام في الوقت الحاضر بشكل عامّ .

إنّما سيؤتي أُكله على المدى البعيد . لذلك أناشد الذين يسعون إلى إعادة مجد الإسلام أن يتجنّبوا سبيل العنف ، ويعمدوا إلى هذا السبيل ، سبيل الحوار والحُجّة والبرهان . وهو السبيل الذي كان عليه الرسول الكريم خاتم النبيّين ﷺ.

ألم تقرأ قوله تعالى : ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا

ومن اتبعني وسُبحان الله وماأنا من المشركين ﴾(1) فالبصيرة تعني الحجّة القاطعة . وجملة (وسبحان ا لله)تعني تنزيه ا لله عن أن يأمر في موضوع الدين الذين لايملكون الأدلّة التي تثبت صحّة مايعتقدوه أن يأمرهم باستخدام العنف (فما أنا من المشركين) حتى أدعو إلى العنف والإكراه في الدّين . هذا هو معنى هذه الآية الكريمة التي انزلها ا لله عزّ وجلّ في مكّة المُكرّمة ، يوم كان هذا الوصف ينطبق على واقع مايجري فيها . حيث كان المشركون لايعتمدون الحوار سبيلاً لمعرفة ماجاء به محمد بن عبد ا لله ﷺ. فكانوا يضطهدون كلّ إنسان يهتدي إلى الإسلام ويتّخذه لنفسه منهجاً حياتيّاً ، بشتّى وسائل العنف والاضطهاد .

ولا يستغربنّ قارئ ماأوردته في كتابي هذا من حقائق جديدة. ولا ينبغي أن يتساءل في نفسه : كيف لم يفطن اليهود والنصارى والمسلمون إلى ذلك من قبل وطوال هذه الآلاف من الأعوام ؟ ألا إنّ سيطرة العقل التقليديّ على هؤلاء هو السّبب الحقيقي . فالجميع يقولون إنّا وجدنا آباءنا على ملّة وإنّا على آثارهم لمقتدون . ولولا أن أيقظنا إمام زماننا من غفلتنا ، لسرنا على نفس الخطوات .

اللهم أرنا الحقّ حقّاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه اللهم آمين .

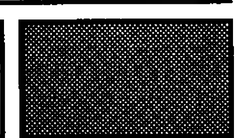
دمشق في ١/٩/ ١٤١٦هـ الموافق ١٩٩٥/٦/٧م

سليم الجابي

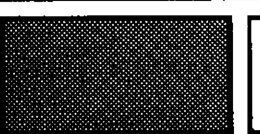
ماجستير علم الأديان المقارن

---

(١) سورة يوسف – الآية (١٠٥) .



٢- تعريف بالموضوع



موضوع هذا الكتاب شائكٌ وحسَّاسٌ ، لمساسه بمُعتقد أتباع الديانات الثلاث اليهود والنصارى والمسلمين. فهو شائكٌ من حيث أن الأمم المذكورة اختلفت في فهمها لهذا الموضوع ، فأقامت معتقدها على أساسٍ خاطيءٍ وموروث . وإن أجيالها المعاصرة وجدوا أنفسهم في خضمِّ خصامٍ لاطائل تحته ، ويهدّد البشر من حولهم والأمن والسلام العالمي.

ولارتباط هذا الموضوع برجلٍ روحيٍّ له قداسته وهو المسيح الناصري الذي يؤمن به كلٌّ من المسيحيّين والمسلمين. وحسَّاسٌ أيضاً لتعلقه بحادثة الصلب التي تعرض لها في سن الثالثة والثلاثين على حد المعطيات الإنجيلية .

إن اليهود الذين كانت رسالة المسيح موجَّهةً إليهم أصلاً ، هم الّذين حاولوا إنزال عقوبة الصلب بالمسيح ، بدافعٍ من نصٍّ ورد في الكتاب المقدس يقول:(ولكن أي نبي اعتدَّ بنفسه ، فقال باسمي – أي باسم الله – قولاً لم آمره أن يقوله ، أو تكلَّم باسم آلهةٍ أخرى ، فليُقتل ذلك النبي . فإن قلت في نفسك : كيف نعرف القول الذي لم يقله الربُّ ؟ فإن تكلّم النبي باسم الربّ ، ولم يتم كلامه ولم يحدث، فذلك الكلام لم يتكلم به الربّ ، بل للاعتداد بنفسه تكلّم به النبي ، فلا تَهَبْه.) (١)

وهذا النص الذي استند إليه اليهود ، ورد باللغة اليونانية وليس العبريَّة ، على حين كان لسان موسى عبرياً . وأول هذا النص يتناقض مع آخره الذي يأمر بتقصِّي ما يتنبأ به مدعي النبوة ، فإن تحقق من صدق جميع نُبوءاته بات واجباً الإيمان برسالته . وإلاّ (فلا تهبه) بمعنى لاتُؤمن به ولا تحسب له حساباً ، هذا في وقتٍ يأمر به أول النص (فليُقتَل ذلك النبيّ)فمتى وكيف تُنزل بالمدعي عقوبة القتل فلم يُصرِّح به أول هذا النص.

وقد تسبَّب هذا النص بحرف اليهود عن جادّة القوانين الطبيعيـــــة في تعاملهم مع كل

(١) – الطبعة الجديدة عام ١٩٨٩ للكتاب المقدس الصادر عن دار الشرق في بيروت–لبنان. سفر التثنية (٢٠/١٨)

مدَّعٍ للنبوَّة فقتلوا بعض الأنبياء الصادقين وكان مما حاولوه ، محاولة صلب المسيح الناصري فنجحوا في تعليقه على خشـــــــبة الصَّليب ، لكنهم لم يفلحوا في القضاء عليه وإماتته ميْتَةَ لعنَةٍ وإشارةً إلى إخفاقهم في قتله وإنهاء حياته ورد قوله تعالى :﴿ **ومـاقتلوه ومـا صــلبوه ولكـن شــُبِّه لهم .... وما قتلوه يقيناً** ﴾ (١)

واليهود و قدظنُّوا أنهم أفلحوا في قتل المسيح الناصري ، اعتقدوا من جرَّاء ذلك أنَّه مدَّعٍ كاذب ، وكفروا به وبرسالته بصورةٍ طبيعية ، فلو علموا أنَّ المسيح لم يمت على الصليب وأنزلوه عنه حيَّاً ، لتوجَّب عليهم الإيمان به والانضمام إلى جماعته.

وقد اشتبهت حادثة الصلب على أتباعه أيضاً ، فظنُّوا أنه مات على الصليب وأُنزل عنه ميِّتاً ، ومن ثمَّ عادت إليه الحياة وقام من بين الأموات . واستغلَّ المُسمَّى بُولس الرسول سوء الفهم هذا فابتدع عقيدة "الكفَّارة " ، التي لخَّصها في أن المسيح مات على الصليب وأصبح ملعوناً من أجل خلاص الذين يؤمنون به مُخلِّصاً.

وجاء الإسلام ، وأُنزل القرآن لتصحيح الانحرافات التي وقع فيها من كان يهوديَّاً أو نصرانيَّاً . وبالرغم من أنَّه تعالى لفت الأنظار فيه إلى أن عقيدتي اليهود والنصارى قامتا على أساسٍ من الظنِّ وليس على أساسٍ من اليقين . فقد ظهر رجالٌ مسلمون فسروا الآيات من سورة النساء بما يُجانف الحقيقة المقصودة. ففسَّروا قوله تعالى :﴿ **ولكن شُبِّهَ لهم** ﴾ على أنَّ الله ألقى شبه المسيح على " يهوذا الاسخريوطي " أو سواه ، واستلب المسيح من بين أيدي اليهود ورفعه إلى السماء . وأخذت عامَّة المسلمين بهذا التفسير ، الذي لايستسيغه النص . ولم يُحقق من جاء من العلماء من بعد هذا التفسير في مدى صحَّته. بل على العكس من ذلك سلَّموا بهذا التفسير دون تحقيق ، وبعقلٍ تقليدي ، فلم يجعلوا القرآن مهيمناً على التوراة والإنجيل ، بل زادوا الطين بلَّة بما طرحوه من أمرٍ يُخالف ماأجمعت عليه أُمَّتان وهم اليهود والنصارى من أنَّ المسيح نفسه هو الذي عُلِّق على الصليب .

على ضوء هذه المعلومات التي سقتها للقارئ الكريم ، لابدَّ من أنَّه أدرك سرَّ وصفي موضوع حادثة صلب المسيح بالشائك والحسَّاس . فهو شائكٌ بسبب وجود هذه الاختلافات التي

---

(١) - سورة النساء الآية (١٥٧) .

أوردناها . وهو حسّاسٌ بسبب أن كل بحثٍ وتحقيق يأتي بجديدٍ ، لن يُعجب أصحاب العقول التقليدية من أتباع هذه الديانات الثلاث. بل سيثير غضبهم وتشدّدهم فيما توارثوه جيلاً بعد جيل اللهم إلاّ المُثقفون أصحاب العقول الناضجة التي لا يُقنعها أمرٌ إلاّ بحجّةٍ ودليل ، والتي لاتتولّد لديها قناعات إلاّ عن طريق الحوار والبيّنة الواضحة القاطعة.

فإن شئنا تلخيص عقيدة هذه الأمم الثلاث بما يتعلّق بحادثة صلب المسيح الناصري ، نُلخصها في الأمور التالية ، وهي أنّ اليهود والنصارى أجمعوا على أنّ المسيح ذاته علّقوه على خشبة الصليب ، فلم يختلف إثنان منهم على هذا الأمر . على حين ابتدع مفسروا القرآن الكريم ومن سار على فهمهم من علماء المسلمين ، أمراً لا دليل لديهم عليه ولابينة إلاّ اجتهادهم الشخصي ، وهو أنّ المسيح نفسه لم يُعلّق على الصليب ، بل الذي عُلّق عليه هو أحد تلاميذه الذي ألقى الله تعالى عليه شبه المسيح على حدّ زعمهم ، فظنوه هو وعلقوه بدلاً عنه.

فهل مات المسيح على الصليب وأُنزل من عليه ميّتاً . فهذا هو موضوع كتابي هذا ، فسأثبت من خلال النصوص الإنجيلية نفسها ما يُكذّب اليهود والنصارى معاً ، ويُثبت أن معتقدهم في موته على الصليب إنما قام على مجرُّد الظن ، ﴿وماقتلوه يقيناً﴾ . وأنّ القرآن الكريم لم يُخالف إجماع أمتين من جهةٍ أنّ المسيح ذاته قد عُلّق على الصليب . وما فعله ، فماهو إلاّ تصحيحٌ لأمرٍ اشتبه عليهم فهمه .

وأنا كباحثٍ دينيٍّ ، أنطلق في بحثي هذا مما هو بين أيدي أبناء هذه الديانات الثلاث من مراجع يُقدّسونها ويقيمون عقائدهم على أساسٍ من تعاليمها ، وبمراجعةٍ أصوليةٍ موضوعية أساسها العقل والمنطق والأسلوب العلمي . وسأنطلق من القواسم المشتركة لعقائد هذه الأمم في موضوع حادثة الصليب المذكورة أيضاً .

فالملاحظ أن هذه الأقوام الثلاثة اتفقت في أمرين هامين : الأول تسليمهم بظهور شخصٍ اسمه المسيح عيسى ابن مريم وادعى أنّه مُرسلٌ من قِبل الله عزَّ وجل.

والأمر الثاني الذي اتفقوا عليه ، هو تعرُّض هذا الشخص لحادثة محاولة صلبه .

والأمر المُختلف عليه بين هذه الأمم الثلاثة ، هو إجماع اليهود والنصارى على أنّ الذي علقوه على خشبة الصليب ، هو نفسه المسمّى عيسى ابن مريم ، على حين يخالفهم المسلمون في ذلك ويزعمون أن الذي عُلّق على خشبة الصليب هو شخصٌ آخر غير المسيح ، وهو الذي أُلقي

ا لله عليه شَبَه المسيح فحسبوه أنه هو المسيح . فإن سأل امرؤ عن سبب هذا الاختلاف ، فالجواب هو أنَّ بعض مفسري القرآن الكريم وقعوا في هذا الإشكال ، وقلّدهم وعّاظ المسلمين دون أي تحقيق وتدقيق فيما تناقلوه عن هؤلاء المفسرين .

لاشكّ أن المسلمين قد زعم بعض مُفسّريهم عدم تعليق المسيح نفسه على الصليب ، لنفي القرآن الكريم وقوع هذه الميتة على الصليب . أما اليهود والنصارى ، فقد زعموا أن الذي عَلقوه على الصليب ، أنزلوه من عليه ميتاً لاحراك فيه . وكان لتسليمهم بهذا الأمر نتائجه الهامة . فاليهود اعتبروا المسيح الناصري كاذباً في دعوى نبوّته ، لاعتقادهم أن من يموت على الصليب يكون ملعوناً ولايكون صادقاً . كما كان لتسليم النصارى بهذا الأمر نتائجه الهامة أيضاً ، فقد ابتدع الذي يسمونه بولس الرسول عقيدةً غريبةً عن الجوّ التوراتي ، وهو أنَّ المسيح مات ملعوناً من أجل رفع خطايا الإنسان الذي يؤمن به مُخلّصاً .

فاليهود كذّبوا رسالة المسيح الناصري لاعتقادهم بموته على الصليب ، والمسيحيّون قبلوا بموت المسيح على الصليب على أنّه المخلّص . أما القرآن الكريم الذي أنزله ا لله عز وجل ﴿ **مُهيمناً**﴾ على الكتب السابقة بمعنى الرقيب والحافظ ، فقد أعلن صراحةً عدم موت المسيح على الصلب وأنّه كان نبيّاً صادقاً .

وعلى ضوء ماذكرناه ولخصناه ندرك بكلِّ وضوحٍ أنّ الأمر الذي تسبّب في اختلاف اليهود والنصارى والمسلمين في أمر نبوّة المسيح الناصري ، هو اعتقاد اليهود والنصارى موت المسيح على الصليب ليس إلاّ . ففي حال تسليم المسلم بتعليق المسيح الناصري نفسه على الصليب ، إلى جانب تسليم اليهودي والمسيحي ، بما طرحه القرآن من أن المسيح لم يمت على الصليب ، يُفضُّ هذا النزاع القائم بين هذه الأمم الثلاثة بشكلٍ جذري.

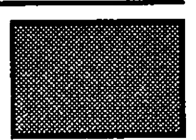
إذاً فالمطلوب منّي كباحثٍ مُحققٍ أن أثبت من القرآن الكريم أن الذي علّقه اليهود على الصليب هو المسيح الناصري نفسه ، وليس شخصاً آخر سواه. وتنتفي بذلك مُعارضة إجماع أمّتين . وأن أثبت من النصوص الإنجيلية عدم موت المسيح على الصليب ، فلا يعود لليهود حُجّة على صدق نبوّة المسيح الناصري ، وتبطل عقيدة الكفارة التي ابتدعها بولس الرسول ، ويعود اليهود والنصارى والمسلمون متّفقين على نبّوة المسيح الناصري وصدق رسالته ، وينتفي بذلك كلّ صراع دائر بينهم حول هذا الموضوع بالذات.

فمحاولتي التي احتواها كتابي هذا ، تدور في حقيقة أمرها حول هذه النقطة الأساسية وهي أن المسيح الناصري لم يمت على الصليب ، بل أنزلوه عنه حيّاً . فقد حاولت إثبات ذلك بأسلوب البحث العلمي الموضوعي . حاولت إثبات خطأ ما فهمه المفسّرون من قوله تعالى ﴿**ولكن شُبِّهَ لهم**﴾ وذلك وفق ضوابط اللغة العربية وقواعدها . لأحقق بذلك توافق إجماع الأمم الثلاثة . كما حاولت إثبات عدم موت المسيح الناصري على الصليب من النصوص الإنجيلية الموروثة التي وصلت إلى عصرنا غير سالمةٍ من الزيادة والنقصان ولا من التحريف والتبديل وبأسلوب النقد العلمي للنصوص . ومما يُسلّم به المسيحيّون أنفسهم في آخر طبعةٍ للكتاب المقدّس أصدروها عام ١٩٨٩م في بيروت بلبنان.

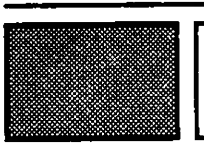
وسأحاول في نهاية النص التعرّض لإلقاء الضوء على ماحدث للمسيح الناصري بعد حادثة مُحاولة قتله على الصليب ونجاته من هذه المحاولة بتدبير إلهيّ ، وسأؤيد ما سأوضحه ببيّنات إنجيلية وقرآنيّة وتاريخيّة أيضاً .

فهذا هو تعريفي بموضوع هذا الكتاب.





٣- أهمّية هذا الموضوع



إنّ أهميّة موضوع عدم موت المسيح الناصري على الصليب تأتي من وجهاتِ نظرٍ عدّة أهمّها، وهو ماسبق أن ذكرت ، اختلاف ثلاثة أمم في تفاصيل ما حدث للمسيح عند مُحاولة صلبه . فبالرغم من أنّها حادثةٌ واحدة ، وعرضت لشخصٍ واحد ، فالجميع فيها مختلفون . ولو أننا أثبتنا لليهودي والمسيحي أنّ المسيح الناصري لم يمت على الصليب ، بل أنزله الله عنه حيّاً . لألزمنا اليهودي بالإيمان به ، ولصححنا للمسيحيّ اعتقاده الخاطئ في عقيدة كفّارة المسيح . ولوحّدنا بين هذا وذاك وبين المسلم الذي آمن برسالة المسيح الناصري عليه السلام . ذلك أنّ خطأ المفسرين المسلمين تأتّى من الالتباس في فهمهم لقوله تعالى :﴿ **ولكن شُبِّه لهم** ﴾ ، وإلاّ فهم ينفون في حقيقة أمرهم موت المسيح على الصليب .

من هذا كلّه تتجلّى أهميّة موضوع إثبات عدم موت المسيح الناصري على الصليب . فبإمكان كلّ من يُؤمن بصحّة هذا الطرح ، أن يجد نفسه لايُعادي أحداً ممّن اعتقدوا برسالة المسيح عليه السلام .

وهذه النتيجة المترتّبة على إثبات عدم موت المسيح الناصري على الصليب . وإن كانت نتيجته هي أقرب للخيالية على المدى القريب لهيمنة العقل التقليديّ على أتباع الديانات الثلاث المذكورة ، فإنّ النتائج المترتبة على إثبات هذا الموضوع أقرب إلى الحتميّة على المدى البعيد. ذلك أنّ عصرنا هو عصر علم ونور ، وكلما تقدمت الأيام ، فلابدّ أن تتحرّر الأجيال القادمة من قيود العقل التقليدي . فللموضوع آثاره البعيدة في العمل على المساعدة على توحيد اليهود والنصارى والمسلمين . فاليهودي الشاب سيتساءل في المُستقبل بالبداهة : ولماذا أكفر برسالة المسيح وهو الذي لم يمت على الصليب ؟ والمسيحي أيضاً سيتساءل في المستقبل بالبداهة : ولماذا أكفر بالإسلام وقد هداني إلى حقيقة ماجرى للمسيح في حياته؟ والمسلم سيجد أنّ كتابه لايُخالف ما توارثه الناس تاريخيّاً إلاّ عن طريق تقديم بيّنةٍ وحُجّة وبرهان . فكتاب الله الفرقان هو الكتاب المُهيمن

على الكتب السابقة بحقٍّ لاريب فيه.

وعن طريق هذه التساؤلات التي ستطرح نفسها في النفوس في المستقبل ، ستتحرّك الأمور باتجاه توحيد اليهود والنصارى والمسلمين على صعيد واحد ، هو دين الإســـلام الذي هو دين محمّد رسول ا لله ﷺ ودين جدّه إبراهيم عليه السلام . وتعود عقارب الساعة إلى مسارها الصحيح .

وتأتي أهميّة إثبات عدم موت المسيح الناصري على الصليب ، من ظواهر الصراع الدائر بين هذه الأمم الثلاث في عصرنا ، والذي يشتدّ يوماً بعد يوم ، وينحو منحى العنف والاقتتال . أفلا نلحظ كيف أنّ اليهود يتمسكون بما أكل الدهر عليه وشرب من التعاليم والذهنيّات ، فيُطالبون بفلسطين كوطنٍ قوميٍّ لهم ، أكسبهم إياه ميثاق ا لله مع موسى عليه السلام . متقوقعين على هذا الفهم والاعتقاد ، لكفرهم برسالة المسيح الناصري ورسالة خاتم النبيّين ؟ فلو أنّهم أخرجوا أنفسهم من هذه الشرنقة ، لعادت الأرض جميعها وطناً لهم ومُستقرّاً ، لافرق بين فلسطين أو سواها من الأقطار .

والمسيحيّون الذين يسعون في عصرنا إلى ترسيخ هيمنتهم السياسية والاقتصاديّة والثقافيّة على العالم . فلو أنّهم سلموا بعدم موت المسيح الناصري على الصليب ، لبطلت كفّارته في أذهانهم ، ولعادوا يسلّمون بنبوّته ورسالته وبالذي أنبأ عن ظهوره من بعده ، وهو محمّد رسول ا لله ﷺ الذي جاءهم بجميع الحقّ . لكانوا تقبّلوا الإسلام بالترحاب واليقين .

وعلى هذا فإنّ أهميّة موضوع إثبات عدم موت المسيح الناصري على الصليب من جهة أنّه يُثبت مصداقيّة القرآن الكريم وعلى أنّه تنزيلٌ من ا لله الذي بعث المسيح عيسى ابن مريم رسولاً إلى بني إسرائيل ، والذي راح يصحّح في كتابه هذا مااختلف فيه الناس ، رحمة منه عز وجلّ بعباده الضالين والمنحرفين عن الصراط المستقيم . عن صراط الذي سبق أن أنعم عليهم من عباده المقرّبين ، وهو أرحم الراحمين .

وكذلك تتأتّى أهميّة هذا الموضوع أيضاً من حيث أننا نسعى لإثباته بالحجّة والبيِّنة والدليل قاطعين الطريق على من يحاولون إثباته عن طريق العنف وسفك الدماء . ونُدين بذلك كلّ صاحب عقلٍ تقليديٍّ متزمّت رجعيّ ، لايفهم من الدين إلاّ الكراهيّة والعنف واحتقار الآخرين ، الذي يسيء إلى دين من أرسله ا لله رحمةً للعالمين . والذي امره أن يعلن صراحةً ﴿ قُل

هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرةٍ أنا ومن اتبعني وما أنا من المشركين ﴾(١) أيإنّ سبيل المشركين هو سبيل العنف وإلاّ فسبيل محمّد ﷺ ومن اتبعه هو سبيل ﴿ على بصيرة ﴾ أي سبيل الحجّةوالبرهان. فالبصيرة تعني الحجّة القاطعة.

وهل يستسيغ عصرنا ، عصر العلم والنور ، أسلوباً غير أسلوب الحوار والإقناع ؟ فمن يتجاهل هذه الحقيقة وهذا الواقع ، سينبذه أهل عصرنا يقيناً في آخر المطاف . ولابدّ لكلّ إنسان أن يتمتّع بحقوقه الطبيعيّة ، لما يمتاز به عمّن سواه من مخلوقات الله عزّ وجل .

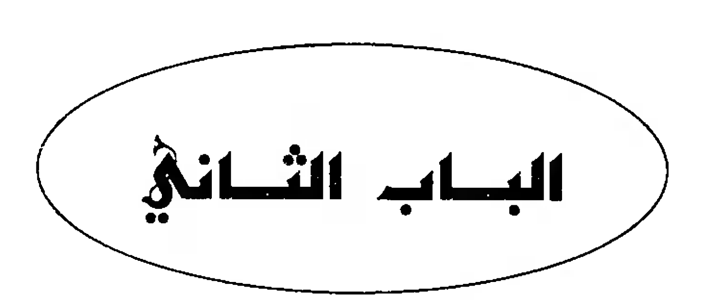
فمن هذه الجهة أيضاً يحتلّ موضوع إثبات عدم موت المسيح الناصري على الصليب أهميته ومكانته . فهو يساعد الإنسان على استعمال عقله بحريّةٍ وكرامةٍ ، ليستتبّ من جرّاء ذلك الأمن والسلام في العالم . وتتقارب هذه الأمم الثلاثة ، فتتفاهم وتتوحّد عقائدياً ، ولايعود أفرادها بحاجةٍ إلى الصراع فيما بينهم ولا إلى الاقتتال وسفك الدماء . ففي هذا الموضوع ، موضوع إثبات عدم موت المسيح الناصري على الصليب ، يكمن مفتاح الأمن والسلام الحقيقيّين .

ثم إنّ تطوّر وسائل الاتصال والنقل والمواصلات ، قرّب المسافات بين الأقطار ومُختلف القارّات ، إلى درجةٍ كاد يصبح العالم عائلةً واحدة موزّعة أممها في غرفٍ عديدة ، وهل هناك من عائلة يتزاور أفرادها وكلّ واحد منهم يُضمر للآخر الشرّ والعداوة ، فهل نسمّي مثل هذه العائلة ، عائلةً سعيدةً ومتحضّرة وذات كيانٍ سليم ؟ فهذا هو حال سكان هذه الكرة الأرضيّة ، توحدهم وسائل النقل والمواصلات ، وتفرقهم الأديان والمعتقدات .

فمن هذه النظرة المستقبليّة أندفع باحثاً عمّا يوحّد أتباع الديانات الثلاث، فمن خلال إثبات عدم موت المسيح الناصري على الصليب الذي علّقوه عليه . لئلاّ تبقى لليهود من حجّةٍ لإنكاره وعدم الإيمان به . وليفطن المسيحيّون إلى حقيقة ماحدث ، فينبذون عقيدة الكفّارة التي ابتدعها بولس الرسول الذي كان عدوّاً للمسيح في حياته ، ولبس لباس الحمل الوديع بعد مماته ، ويعود المسيح الناصري نبيّاً ورسولاً.

---

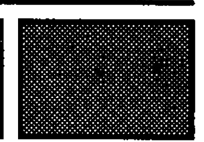
(١) سورة يوسف – الآية (١٠٥)



الفصل الأول : كبوة المفسرين وعلماء المسلمين

الفصل الثاني : الرأي في تفسير الآية ١٥٧ من سورة النساء

الفصل الثالث : ويلات ترتبت على آراء ابن كثير



١ – كبوة المفسرين والعلماء المسلمين

سبق أن ذكرت أنّ عامّة المسلمين بتوجيهٍ من بعض مفسري القرآن الكريم ، وممّن نهجَ نهجهم في الفهم من العلماء اعتقدوا خطأً أنّ المسيح الناصري لم يُعلّق نفسه على خشبة الصليب ، بل الذي عُلّق هو أحد تلاميذه ، ممّن ألقي عليه شَبَهُ المسيح ، إنقاذاً من ا لله للمسيح من محنته . وهاأنّي أستعرض ماأورده هؤلاء المفسّرون والعلماء في تفاسيرهم المنتشرة في المكتبات والتي يعود إليها عامّة المسلمين . أستعرضها وأقدّم مالديَّ من بيّنةٍ على بطلان ماذهبوا إليه.

إليكم تفسير ابن كثير واسع الانتشار والذي يعتمده كبار العلماء . فهو من تأليف الإمام الجليل "إسماعيل بن كثير القُرشي الدمشقي " المتوفّى عام (٧٧٤) هجريّة .تناول قوله تعالى :﴿ **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّهَ لهم** ﴾ وفسّره بقوله :(أي رأوا شَبَهَهُ فظنّوه إياه.) (١). وأضاف قوله :(ولهذا قال : ﴿ **وإن الذين اختلفوا فيه لفي شكٍّ منه مالهم به من علم إلاّ اتباع الظنّ** .....﴾ ﴿ **وماقتلوه يقيناً** ﴾ أي وما قتلوه مُتيقنين أنّه هو ، بل شاكّين متوهمين.).

وكبوة ابن كثير هنا هي في إعادته الضمير في (شُبِّه)وهو الهاء إلى اسمٍ خارجٍ على النصّ ، مخالفاً بذلك قواعد اللغة العربيّة وضوابطها ، ممّا سآتي على بيانه على حينه . والذي يهمنا أمره هنا هو أنّ كبوة ابن كثير التي كباها في هذا المقام ، تركت في نفوس عامّة المسلمين نظرةً خاطئةً ، خالفوا بذلك إجماع أمّتين هما اليهود والنصارى ، الذين أجمعوا في حينه على أنّ المسيح الناصري هو نفسه الذي عُلّق على الصليب . ولاشكّ أنّ من يُخالف مثل هذا الإجماع بلا بيّنة ولادليل ، تظلّ مخالفته وادعاءه قاصرين عن أن يحتلّ من الطرف الآخر التسليم والقبول . وهذا

---

(١) تفسير ابن كثير – الجزء الأول – الصفحة (٤٧٥)

ماحدث من جرّاء ذلك حتى هذا الحين

ومما أورده ابن كثير رحمه ا لله عدّة روايات تتعلّق بحادثة الصلب هذه . فممّا ذكره على نفس الصفحة ، وفي أوّلها ، حكايةعن اليهود :(سعوا إلى ملك دمشق في ذلك الزمان ، وكان – أي ملك دمشق – رجلاً مُشركاً من عَبَدَة الكواكب . وكان يُقال لأهل ملّته اليونان . وأنهوا إليه أنّ في بيت المقدس رجلاً يفتن الناس ، ويُضلّهم ، ويُفسد على الملك رعاياه . فغضب الملك من هذا ، وكتب إلى نائبه بالمقدس أن يحتاط من المذكور . وأن يصلبه ، ويضع الشوك علىرأسه ويكفّ أذاه عن الناس . فلما وصل الكتاب ، امتثل والي بيت المقدس ، وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى عليه السلام ، وهو في جماعةٍ من أصحابه : اثني عشر أوثلاثة عشر ، وقيل سبعة عشر نفراً. وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ، ليلة السبت ، فحصروه هناك . فلمّا أحسّ بهم ، وأنّه لامحالة من دخولهم عليه ، أوخروجه إليهم . قال لأصحابه : أيُّكم يُلقى عليه شبَهَي ، وهو رفيقي في الجنّة ؟ فانتُدب لذلك شابٌّ منهم ، فكأنّه استصغره عن ذلك . فأعادها ثانيةً وثالثة . وكلّ ذلك لايُنتدبُ إلاّ ذلك الشاب . فقال : أنت هو . وألقى ا لله عليه شبه عيسى ، حتى كأنّه هو . وفُتحت روزنّة –أي ثغرةٌ في سقف المنزل – وأخذت عيسى عليه السلام سَنَةٌ من النوم ، فرُفع إلى السماء وهو كذلك . كما قال ا لله تعالى : ﴿ **إذ قال الله ياعيسى إنّي متوفيك ورافعك إليّ** ......﴾ فلما رُفع ، خرج أولئك النفر . فلمّا رأى أولئك ذلك الشاب ظنّوه عيسى . فأخذوه في الليل وصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه . وأظهر اليهود أنّهم سعوا في صلبه ، وتبجّحوا بذلك . وسلّم لهم طوائف من النصارى . ذلك لجهلهم وقلّة عقلهم . ماعدا من كان في البيت مع المسيح ، فإنهم شاهدوا رفعه .وأمّا الباقون فإنّهم ظنّوا ، كما ظنّ اليهود أنّ المصلوب هو المسيح ابن مريم . حتّى ذكروا أنّ مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت. ويُقال إنّه خاطبها ، وا لله أعلم .وقد أوضح ا لله الأمر ، وجلاّه وبيّنه وأظهره في القرآن العظيم ، الذي أنزله على رسوله الكريم المؤيّد بالمُعجزات والبيّنات والدلائل الواضحات . فقال ا لله تعالى وهو أصدق الصادقين وربّ العالمين ، المطّلع على السرائر والضمائر ، الذي يعلم السرّ في السماوات والأرض ، العالم بما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون : ﴿ **وماقتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم** ﴾ أي رأوا شبهه فظنّوه إيّاه . ولهذا قال : ﴿ **وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شكٍّ منه مالهم به من علمٍ إلاّ اتباع الظنّ** ﴾ ويعني بذلك من ادّعى أنه

قتله من اليهود ومن سلّمه إليهم من جُهّال النصارى ، كلُّهـم في شكٍّ من ذلك وحيرةٍ وضلال وسُعُر. ولهذا قال : ﴿وماقتلوه يقيناً﴾ أي ماقتلوه متيقّنين أنّه هو بل شاكّين مُتوهّمين) [١]

والباحث المدقّق يطالب ابن كثير رحمه الله بالمُطالبات التالية بالنظر إلى مانقلناه :

أولاً – يُطالبه بالقاعدة العربيّة التي استند إليها في إرجاعه ضمير(شُبِّه لهم) إلى شخصٍ خارج عن النص القرآني .

ثانياً – ويُطالبه بالمرجع الذي راجعه واستقى منه روايته المذكورة .

ثالثاً – ويُطالبه إثبات ماخالف به إجماع أمّتين وهما اليهود والنصارى الذين أجمعوا على أنّ الذي عُلّق على الصليب هو شخص المسيح الناصري نفسه وليس شخصاً سواه .

رابعاً – ويُطالبه إثبات وقوع شَبَهَ المسيح الناصري على سواه ، وحدوث ثغرة في سقف المنزل وأنّه أخذت عيسى يومئذٍ سِنَةٌ من النوم ، وأنّه رُفع إلى السماء .

خامساً – ويطالبه بالمصدر القرآني الذي ورد فيه صيغة رفع المسيح إلى السماء .

سادساً – ويُطالبه بتوضيح لفظ السماء وتحديد النُقطة من السماء التي رُفع المسيح إليها.

سابعاً – ويطالبه بتقديم الدليل الذي يثبت وجود الله عزّ وجل في المكان السماوي الذي رُفع المسيح إليه . وهل أنّ الله له حيّز مادي يتواجد فيه .

فهذه الأسئلة السبعة الهامّة يسألها كلُّ من كان باحثاً ومُدققاً وله محاكمته العلميّة أيضاً .

ونحن كباحثين ، لانتمكن من محاورة ابن كثير الذي ذهب إلى رحمة ربّه عام (٧٧٤) هجريّة بل نُحاور علماء عصرنا المشهورين كالأعلام كصاحب كتاب (كبرى اليقينيّات الكونيّة – وجود الخالق ووظيفة المخلوق –). نحاوره ونطالبه بالمطالبات السالفة الذكر مادام يسير على نهج ابن كثير ، ولايُخالفه الرأي . بل وينقل على الصفحة (٣٢٤) من مؤلفه المذكور أقوال ابن كثير وطروحاته.

فصاحب (كبرى اليقينيات) استدلّ بالآية (١٥٧) من سورة النساء الوارد فيها قوله

---

(١) ابن كثير –الجزء الأوّل– الصفحة ٥٧٤.

تعالى:﴿ ولكن شُبِّه لهم ﴾ . ومن ثم نقل عن ابن كثير قوله : (وإنما شُبِّه لهم ، فقتلوا الشبه وهم لايتبيّنون ذلك . ثم إنّه رفعه إليه ، وإنّه باقٍ حيّ ، وإنّه سينزل قبل يوم القيامة ، كما دلّت على ذلك الأحاديث المتواترة التي سنوردها إن شاء الله قريباً ، فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، يعني لايقبلها من أحدٍ من أهل الأديان ، بل لايقبل إلاّ الإسلام أو السيف . فأخبرت هذه الآية الكريمة أنّه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذٍ ، ولا يتخلّف عن التصديق به واحدٌ منهم)(١) .

يبدو أنّ صاحب (كبرى اليقينيّات الكونيّة) ، من خلال تبنّيه لما نقله عن ابن كثير أنّه هو المُطالب في زماننا هذا بما طالَبْنا به ابن كثير من مُطالبات .

لذلك فإنّي كباحثٍ مُدقّق أطالب صاحب (كبرى اليقينيات) بمطالبة أساسيّة ، وهي أن يوضّح لنا على أيّ أساسٍ لُغويٍّ حقّ لابن كثير أن يحشر اسم رجلٍ غير المسيح في هذه الآية الكريمة . مع أنّ صحيح عباراتها وسباقها وسياقها لايحملا أيّ اسمٍ آخر سوى اسم (المسيح عيسى ابن مريم)؟

ولنفرض أنّ صاحب (كُبرى اليقينيّات) جلس يحادث جليساً له ، فهل يأتي في حديثه بضميرٍ يعود على اسمٍ لاعلاقة له بحديثهما ، ولم يورده فضيلته في سياق كلامه؟ وهل يُعقل أن ينحو الله تعالى غير منحى قواعد اللغة العربيّة وضوابطها في آي الذِكر الحكيم ؟ فبأيّ حقّ وعلى أيّ أساس لغويّ حقّ لابن كثير أن يعود بضمير(شُبِّه) إلى غير الإسم العائد إليه وهو اسم المسيح عيسى ابن مريم ؟ فهل أنّ أيّ إنسان غير مُسلم يجلس ليقرأ سورة النساء المذكورة ، سيخطر له اسماً غير اسم المسيح عند قراءته لها ؟ وهل نزلت هذه الآية وفق المفاهيم العامّة ، ومُيسَّرٌ فهمها لكلّ إنسانٍ يقرؤها . أم أنّ هذه الآية الكريمة قد نزلت فقط وفق مايحمله ابن كثير ومقلّدوه من أفكارٍ وخلفيّاتٍ قصصيّةٍ ؟

أقول حاشا لله الذي تحدّى الجنّ والإنس أن يأتوا بمثل هذا القرآن أن يأتوا بآيةٍ واحدةٍ في كتابه الفرقان ، تُصبح مطعناً للّغويين العرب . ويكفي أن أقول هنا أنّ النص الذي نقله لنا صاحب (كبرى اليقينيّات الكونيّة) حشوٌ لأفكارٍ غريبةٍ عن محتويات هذا الكتاب العظيم .

---

(١) – ابن كثير الجزء الأوّل الصفحة ٧٧٤.

مما لايتسع لبيانه في هذا المقام .

وهل لصاحب (كبرى اليقينيّات) أن يدلّنا على المصدر الموثوق الذي استقى منه ابن كثير معلوماته فيما يتعلّق بحادثة صلب المسيح عليه السلام ؟ ألم يلاحظ فضيلته كيف أنّ ابن كثير كان يقول (قيل وقيل وا لله أعلم) وهل أنّ هذه الكلمات مؤشّر دالّ على مصدرٍ موثوق ؟ فمن أين علم ابن كثير أنّ سِنَةً من النوم أخذت المسيح ، ومن ثم رُفع من فتحةٍ في سقف الدار إلى السّماء ؟ وهل رُفع إلى ا لله بثيابه وحذائه أم جُـرِّد منها ورُفع كما خلقته أمّه ؟ فنحن قرأنا في القرآن الكريم أنّ ا لله تعالى حين أراد أن يُكلّم موسى أمره بقوله تعالى :﴿ **فاخلع نعليك إنّك بالوادِ المُقدّس طوى...**﴾ (١).

ونسـأل فضيلته : وأين لفظ (السماء) في قوله تعالى ﴿ **بل رفعه الله إليه** ﴾ ؟ وهل يعني الجار و المجرور ﴿ **إليه** ﴾ إلى السماء ؟ وهل أنّ ا لله تعالى من مادّة حتّى يجلس في السّماء ويُجالس المسيح الناصري ؟

فهذه مُطالباتٌ يُطالب صاحب (كُبرى اليقينيّات) أن يُجيبنا عليها على رؤوس الأشهاد ، إنما نرجو من فضيلته أن تأتي إجاباته مبرهن عليها ببراهين قاطعة وبأسلوب رصين .

وأنا كباحث أعتبر ماصدر عن ابن كثير يخالف ضوابط اللغة العربيّة وأصول التفسير .وقد أسفر خطؤه في جرّ ويلات على المجتمع الإسلامي ، مما يؤسف له . فقد شغل أذهان عامّة المسلمين بل وعلماءهم كصاحب (كبرى اليقينيّات) ، بأفكارٍ حرفتهم عن جادّة الصواب ودفعتهم لانتظار نزول المسيح الناصري نفسه ' بشحمه ولحمه ،من السماء ، ليُنقذهم من واقع تخلّفهم وانحرافاتهم . في وقتٍ حدّد القرآن الكريم رسالة المسيح فيقوم بني إسرائيل وحدهم من خلال قوله تعالى : ﴿ **وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إنّي رسول الله إليكم مُصدّقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشّراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد فلمّا جاءهم بالبيّنات قالوا هذا سحرٌ مبين**﴾ (٢)

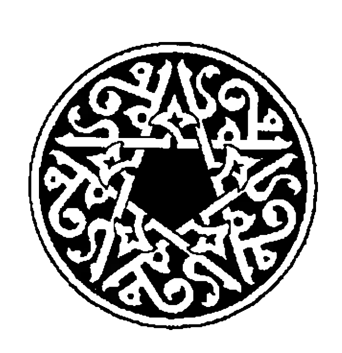
---

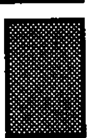
(١) – سورة طه الآية ١٢.

(٢) – سورة الصف – الآية (٦)

وصيغة ﴿ وإذ قال ﴾ واضحة الدلالة على الزمن الماضي . وقول المسيح ﴿ ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ واضحة الدلالة أيضاً فهي تُشير إلى بعثة سيّد المرسلين ﷺ.

هذا وإنّي سأتقدّم برأيي واجتهادي في تفسير آية سورة النساء وأترك للقارئ الكريم حريّة موازنة رأيي مع رأي ابن كثير تاركاً له حُريّة الفصل في الموضوع . كما أترك لفضيلة صاحب (كبرى اليقينيّات) أن يوازن بين الرأيين أيضاً قبل أن يذيع إجاباته على المطالبات التي طالبناه بها ، وا لله من وراء القصد .





٢- الرأي في تفسير الآية ١٥٧ من سورة النساء

هاكم الآية الكريمة بسياقها وسباقها أولاً . قال تعالى : ﴿ وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً * وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شكٍّ منه مالهم به من علمٍ إلاّ اتباع الظن وما قتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً * وإنّ أهل من الكتاب إلاّ ليؤمننّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾ [1]

ليلاحظ القارئ الكريم كيف أنّ هذه الآيات لم تحتوِ إلاّ على اسمٍ واحدٍ هو اسم المسيح ابن مريم ، وأنّها آيات مليئة بالضمائر . وإنّ الإشكال الذي أشكل على ابن كثير رحمه الله هو ضمير ﴿ولكن شُبِّه لهم﴾ ، فلم يفطن إلى أنّ ضمير ﴿ شُبِّه ﴾ لايعود إلاّ على الاسم السابق لهذا الضمير ، والاسم الوحيد أيضاً ، وهو اسم المسيح عيسى ابن مريم .

فابن كثير طغت على أفكاره رواياتٌ عديدةٌ سمعها ، وماكان لها أساسٌ من الصحّة ، أغفلته عن أنّ الضمائر لاتعود إلاّ إلى أقرب الأسماء منها . وأنّ الضمائر ماوجدت أصلاً إلاّ لتحلّ محلّ هذه الأسماء التي تسبقها . فالذي (شُبِّه) هنا هو المسيح ابن مريم نفسه وليس أحداً سواه قطعاً ، وفقاً للقاعدة التي ذكرناها .

والسؤال الذي يواجهنا بعد حلّ هذا الإشكال ، هو معرفة كيف (شبّه) المسيح وأبعاد ذلك . وقد أتى الله تعالى لنا بحرف (ولكن) مابين قوله تعالى :﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم ﴾ ليعيننا على حلّ هذا الإشكال الجديد . لذلك نراجع معاجم اللغة للإحاطة

---

(١) – سورة النساء الآيات ١٥٧–١٥٩.

بدلالة لفظ (ولكن) في هذا المقام .

فقد ذكر صاحب معجم (محيط المحيط) أنّ حرف (لكنْ) إمّا أن تكون مُخففةً من حرف (لكنَّ) ، وإمّا أن تكون خفيفةً بأصل وضعها ، وهي قد وُضعت لمجرَّد الاستدراك . فإن اقترنت (لكنْ) بالواو وورد بعدها مفرد ، وهذا ماورد في قوله تعالى : ﴿ ولكن شُبّه لهم ﴾ فإنّها تكون عاطفةً بشرطين : أحدهما أن يسبقها نفيٌ أو نهيٌ . وهذا الشرط قد توفّر في آية سورة النساء أيضاً حيث قال تعالى ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم ﴾ .

وهكذا يدرك القارئ الكريم أنّ (ولكنْ) عاطفة مابعدها على ماقبلها . أي أنّ جُملة ﴿ شُبِّه لهم ﴾ والتي لم يرد فيها اسم الذي شُبِّه ، ماهي بجملةٍ مستقلّة في معناها، بل استدرك الله تعالى مضمون الجملة السابقة وأكمل مضمونها بهذه الجملة المعطوفة عليها ، فلم يذكر في هذه الجملة المعطوفة اسماً معيّناً ، بسبب أنّ ضمير (شُبّه) يعود على الاسم الوارد قبل هاتين الجملتين . وتأويل ذلك هو أنّ اليهود زعموا [إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله] ونقول : وما قتلوا المسيح وما صلبوا المسيح ولكن شُبِّه هم المسيح بالمقتول والمصلوب .

وإذا ما لاحظ القارئ الكريم أنّ اليهود زعموا أمراً واحداً وهو القتل ، على حين نفى الله تعالى أمرين هما القتل والصلب . وهل يُعقل أن يفعل الله ذلك دون حكمةٍ مُعيّنة ؟

والحكمة من ذلك في نظري أنّ نفي القتل عن المسيح سيجرّ اعتراض اليهود عليه بصورة مباشرة وطبيعيّة ، ويتهمون القرآن الكريم بمخالفته إجماع أمّتين على تعليق المسيح على الصليب دون تقديم ايّ دليل مؤيّدٍ لما خالف به هذا الإجماع . والحق أنّ لهم الحق أن يعترضوا مثل هذا الاعتراض .

ودفعاً لاعتراض هؤلاء أضاف تعالى قوله ﴿ وما صلبوه ﴾ بمعنى وإن أجمعتم على أنّكم علّقتموه على خشبة الصليب ، فأنتم لم تتحققوا من موته عليه . ولايُسمّى مصلوباً من لم يمت على الصليب . كما لا يسمّى مشنوقاً من لم يمت على حبل المشنقة . فالمسيح وإن عُلّق على الصليب فإنّه لم يمت عليه . فمن خلال نفي الأمر الآخر﴿ وماصلبوه ﴾ وافق القرآن إجماع أمّتين على تعليق المسيح على الصليب ، وخالفهما في أمر موته على الصليب . ولذلك أضاف قوله مستدركاً

﴿ولكن شُبِّه لهم﴾ بمعنى أنّ اليهود والنصارى اشتبه عليهم أمر موت المسيح على الصليب ، بسبب أنّهم لاحظوه مُغمىً عليه ومُخدّراً على حسب ماسنثبته فيما بعد. وقد أُنزل من عليه حيّاً غير ميّت الأمر الذي سأثبت صحته من خلال مناقشة النصوص الإنجيليّة المعاصرة .

فبهذا الأسلوب البلاغي المعجز أعلن الله عز وجل نجاة المسيح عيسى ابن مريم من كيد اليهود ومن تآمرهم لقتله على الصليب وإثبات كذب رسالته . فملعونٌ كلّ من مات على خشبة الصليب .

ولرُبَ مُعترضٍ عاطفيّ النزعة لايحتمل أن يُقال أنّ المسيح الناصري تعلّق على خشبة الصليب ، وقاسى الآلام وهو نبي الله ورسوله . ونحن بدورنا نُذكّر أمثال هؤلاء العاطفيين بما قاساه محمّد رسول الله وسيّد المرسلين ﷺ يوم معركة " أحُد" يوم سقط في الحفرة وكُسِرَت نواجذه عليه الصلاة والسلام . فإن كُتِبَ على إمام المرسلين أن يتألم ، فلا يُستثنى المسيح الناصري من تحمّل الآلام .

وراح الله تعالى بعدها يوجّه الأنظار إلى أنّ اعتقاد اليهود والنصارى موت المسيح الناصري على خشبة الصليب ، أدّى إلى الاختلاف الحاصل بينهم . فاليهود اعتقدوا نتيجة ذلك أنّ المسيح كان كاذباً في دعواه النبوّة . والنصارى اختلقوا نتيجةً لذلك عقيدة الكفّارة التي اختلقها " بولس الرسول " . وتوضيحاً لهذه الحقيقة الناصعة أضاف قوله تعالى القول : ﴿ وإنّ **الذين اختلفوا فيه لفي شكٍّ منه مالهم به من علمٍ إلاّ اختلاف الظنّ وماقتلوه يقيناً** ﴾.

ففي هذا قد أتى سبحانه وتعالى باسم الموصول للجمع أولاً (الذين) وقد وضّح أصحاب المعاجم أنّ اسم الموصول صِيغَ في اللغة العربيّة ليُتوصّل به إلى وصف المعارف بالجُمل (محيط المحيط). أي أنّ الله تعالى باسم الموصول (الذين) ليصف للقارئ ماجرى إثر حادثة محاولة قتل المسيح الناصري على الصليب . فقال ﴿ **اختلفوا فيه** ﴾ . وحرف (في) استعمله هنا للتعليل . والضمير يعود إلى المسيح ذاته . أي اختلفوا في أمر المسيح أهو صادقٌ أم كاذب . فذهب اليهود إلى أنّه ملعون وكاذب . كما ذهب أتباعه إلى أنّه أصبح ملعوناً من أجل رفع خطاياهم .

وقد زادنا جلّ شأنه إيضاحاً ونبّه إلى أنّ الأمر الذي اختلفوا فيه ﴿ لفي شكٍّ منه ﴾. والشكُّ في اللغة ، لايعني الارتياب ، بل يعني مبدأ الارتياب كما أن العلم مبدأ اليقين . فأنت لاتقول شككني أمر كذا ، بل تقول رابني أمر كذا (محيط المحيط) . وبذلك يكون تعالى ومن خلال كلمة (الشك) التي أوردها هنا قد حثّ اليهود والنصارى على إعادة النظر فيما توارثوه جيلاً بعد جيل . مؤكداً لهم أنّ ما توارثوه ﴿ لفي شكٍّ منه ﴾. وأضاف مؤكداً ذلك بقوله تعالى ﴿ وماقتلوه يقيناً ﴾ بمعنى أنّ الذين اختلفوا في أمر موت المسيح على الصليب لايملكون أيّ دليل يقينيٍّ على مااعتقدوه . على اعتبار أنّ القتل لايتحقّق مالم يتوفّر هناك عنصران : الأول هو التعليق

على الصليب والثاني الإماتة على الصليب وإلاّ فلا يُسمّى مجرّد تعليق شخص على الصليب أنّه مات مصلوباً . كما لايسمى مجرّد وقوعه في الماء أنّه غريقٌ ، مالم يمت داخل الماء .

ونُلخص ماأبديناه من تفسير ، ونقول : مادامت هذه الآية الكريمة لاتتضمّن إلاّ اسم المسيح عيسى ابن مريم ، فجميع الضمائر الواردة بعده تعود عليه وفقاً لقواعد اللغة العربيّة ، ولاتعود على اسمٍ غائبٍ عن نصّ هذه الآية . ثم إنّ حرف الاستدراك (ولكنْ) أوتي به لتثبيت موضوع تعليق المسيح على خشبة الصليب . فهو يثبت شيئاً من الأمر المنفي قبله ويعطفه عليه بالواو . وتأويل ذلك : ماقتلوه وماصلبوه ولكن لاينفي أنّهم علقوه ، وشُبِّه لهم ميتاً على الصليب . ومن ثم أضاف أنّ زعمهم المذكور تسبّب في اختلاف هاتين الأمّتين ، على حين لو أنّهم تأكّدوا من حال المسيح حين إنزاله من على الصليب ليتبيّن لهم أنّه كان حيّاً ، وأنّ عِلمهم به كان ظنيّاً ، وليس يقينيّاً . والواقع أنّ اليهود والنصارى لم يتحققوا من موت المسيح الناصري على الصليب .

وننتقل إلى الآية الثانية وهي قوله تعالى :﴿ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ . فقد فسّرها ابن كثير بقوله : (واستلب الله نبيّه من بين اليهود ورفعه إلى السماء .). وراح صاحب (كُبرى اليقينيّات) يؤيده في تفسيره . فكتب يقول : (فأمّا عقل العاقل الذي يفهم الكلام العربي عن طريق قواعد اللغة العربيّة ودلالاتها اللغويّة . فهو يفهم من قوله تعالى : ﴿ وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه ﴾ أنّ الله عزّ وجلّ أخفى نبيّه عنهم بأن رفعه إلى سمائه فلم

يقعوا منه على شيء يقتلونه أو يصلبونه . يدلّك على هذا المعنى ألفاظ الآية ودلالاتها اللغويّة وضرورة التقابل الذي ينبغي أن يكون بين ماقبل (بل) وبعدها . فليس لك أن تقول وأنت عربي : لست جائعاً بل أنا مضطجع . وإنما تقول : لست جائعاً بل أنا شبعان .... وإنما تأتي (بل) لإبطال ماقبلها بدليل مابعدها . لاجَرَمَ إذاً أن معنى الآية : ماقتله اليهود كما زعموا ، بل إنّ ا لله استلبه من بين أيديهم ورفعه إلى السّماء .) (١).

والسؤال الآن هو أين أخطأ صاحب (كبرى اليقينيّات) في تفسيره للآية وانحرف عن جادة الصّواب ؟ أقول : قد أخطأ فضيلته في نواحٍ عديدةٍ . الخطأ الأول هو أنّه لم يفصل بين الآيتين بنقطة في مؤلفه ولا في بيانه، وتكلّم وكأن ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ جزءٌ من الآية السابقة . في حين أنّ الآيتين مستقلّتان ، الأمر الذي أوقعه فيما وقع فيه من أنّ (بل) جيء بها لإبطال ماقبلها بدليل مابعدها . حال أن (بل) لم تُستعمل كذلك في هذا المقام مما سآتي على شرحه وبيانه .

والخطأ الثاني لفضيلته تجلّى في فهمه للرفع في الآية على أنّه رفعٌ مادّي. متناسياً أنّ الذي رفع المسيح إليه منزّه عن المادّة وليس كمثله شيء ، وليس له حيّزٌ مادي يتواجد فيه ، فلايجوز والحال هذه أن يُقال هنا (استلبه من بينهم ورفعه إلى السماء) . فالسماء لغةً كلّ ما علاك . ولاذكر للفظ السماء في الآية المذكورة . وإنّما حشَرَ هو وابن كثير لفظ السّماء هنا ، بسبب أنّهما اختارا للفظ (الرفع) معناه المادّي . ففسروا (إليه) بمعنى إلى السماء خطأً .

والخطأ الثالث الذي وقع فيه فضيلته تجلّى في المعنى الذي نسبه إلى الحرف (إلى) وتقييده إياه بهذا المعنى وحده مما سآتي على بيانه .

والخطأ الرابع لفضيلته ظهر واضحاً في عدم إجراء التوازن بين ما ذهب إليه من معانٍ وبين قوله تعالى في آخر الآية ﴿ وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ . فلم ينتبه إلى أنّ استلاب المسيح من بين أيدي اليهود،لايدلّ على أنّ ا لله كان عزيزاً حكيماً في تصرّفه ، مما سآتي على بيانه أيضاً.

فأمّا الخطأ الأوّل لفضيلته وهو عدم مراعاة الفصل مابين الآيتين . فقد تأتّى عن قلّة تدبره

---

(١) – كبرى اليقينيّات الكونية – الصفحة ٣٣٠.

للآية الأولى الوارد فيها قوله تعالى : ﴿ **وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ......** ﴾ فكلمتا (رسول الله) وضّحتا المقصد الذي دفع اليهود لمحاولة قتل المسيح الناصري . وبدافعٍ من نصّ يأمر (فليُقتَل ذلك النبي) (١) إن كان كاذباً .

وقد أتى جلّ شأنه في بداية الآية الثانية بحرف (بل) ليثبت للمسيح صدق رسالته وقربه من ربّه . ذلك أنّ أصحاب المعاجم ذكروا لحرف (بل) أكثر من ثماني استعمالات ، وليس استعمالاً واحداً حصره فضيلته بقوله : (بل تأتي فقط لإبطال ماقبلها بدليل مابعدها) .

فقد أورد صاحب (محيط المحيط) أنّه إذا تبعت حرف (بل) جملةٌ - كما ورد في الآية - فتستعمل للانتقال من غَرَضٍ إلى آخر . كقوله تعالى : ﴿ **قد أفلح من تزكّى * وذكر اسم ربّه فصلّى * بل تؤثرون الحياة الدنيا ....** ﴾ (٢) وتكون (بل) حينئذٍ حرف ابتداء.

والذي يؤكّد أن الله تعـالى ابتدأ الآية الثانية بحرف (بل) للانتقال من غرضٍ إلى آخر وهو إثبات كون المسيح الناصري (رسول الله) ، هو الفقرة الأخيرة من الآية الأولى ، وهو قوله تعالى ﴿ **وما قتلوه يقيناً** ﴾ فلو كان حرف (بل) جِيءَ به لإبطال ماقبله ، لاستحال ذلك . إذ أنّ ماقبلها هو نفي القتل اليقينيّ . وهل يُعقل أن ننفي ماهو منفي أو نُبطلُ ماهو باطل ؟

وأمّا الخطأ الثاني الذي ارتكبه فضيلته ، فهو تناوله الرفع بمعناه المادّي . وخطؤه هذا كان فاحشاً . فالله عزّ وجلّ في مُعتقدنا ليس بمادّةٍ وليس كمثله شيء حتى يرفع المسيح الناصريّ إليه بجسده العنصري. ثم إنّ الرفع استعمل في القرآن للرفع المادي والرفع المعنوي . أفلا نقرأ قوله تعالى : ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾ (٣) وقوله تعالى أيضاً :﴿ **منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات** ﴾ (٤) وقوله في مقامٍ آخر :﴿ **ورفعناه مكاناً عليّاً** ﴾ (٥) وقوله : ﴿ **نرفع درجاتٍ**

---

(١) - العهد القديم - سفر التثنية < ١٨/ ٢٠ > .

(٢) - سورة الأعلى - الآيات (١٤-١٩).

(٣) - سورة الإنشراح - الآية (٤) .

(٤) - سورة البقرة - الآية (٢٣٥) .

(٥) - سورة مريم - الآية (٥٧).

من نشاء وفوق كلّ ذي علمٍ عليم ﴾ (١) وقوله تعالى أيضاً : ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ (٢) وقوله :﴿ إليه يصعد الكَلِمُ الطيّب والعمل الصالح يرفعه ...﴾ (٣) فإزاء وجود جميع هذه الآيات الكريمة التي استعمل فيها الرفع بمعناه المعنوي ، كيف استعصى على فضيلته أخذ الرفع بمعناه المجازيّ ؟

وأمّا الخطأ الثالث الذي بدر عن فضيلته ، فهو تقييده حرف (إلى) بمعنىً واحدٍ خلافاً لما أورده اللّغويون . ففضيلته تساءل في مؤلفه قائلاً : (فما معنى إليه في الآية مادام أنّ الرفع هو رفع الدرجة ؟ هل أنّ ا لله جعله إليه مثله ؟ إذ لامعنى لقولك : إنّ ا لله رفع مقام فلان إليه ، إلاّ أنّه قد جعله في مرتبته.) (٤)

إنّ فضيلته حدّد للحرف (إلى) معنىً واحداً وهو الرفع المادّي إلى السّماء . فأقحم لفظ السّماء في الآية دون مبرّر . متناسياً أنّ الحرف (إلى) يفيد المعيّة أيضاً ، في حال إرادتنا ضمّ شيءٍ إلى آخر (محيط المحيط) كما قال تعالى في مُحكم تنزيله عن لسان المسيح : ﴿ مَن أنصاري إلى الله ﴾ (٥) ولم يقصد من سؤاله هذا دعوة المؤمنين ليجعلهم بمرتبة ا لله عزّ وجل . بل دعاهم ليصبحوا في معيّته عز وجل ومن المقرّبين إليه . وبنفس هذا الاستعمال ورد قوله تعالى في الآية التي نحن بصددها وهو : ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ أي جعله في معيّته عزّ وجلّ ومن المقربين إليه ليس إلاّ ، إثباتاً منه سبحانه أنّ المسيح الناصري هو رسول ا لله يقيناً .

والخطأ الرابع الذي بدر عن فضيلته هو عدم ربطه بين ماذهب إليه من معنىً للآية وبين آخر الآية حيث قال ا لله تعالى : ﴿ وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ فالعِزّة تعني المِنعةُ والقوّة . كما أنّ الحكمة تعني وضع الشيء في موضعه . فا لله الذي يستلب المسيح الناصري من بين أيدي

---

(١) – سورة يوسف – الآية (٧٦).

(٢) – سورة المجادلة – الآية (١١) .

(٣) – سورة فاطر – الآية (١٠) .

(٤) – كبرى ليقينيات الكونيّة – الصفحة (٣٣٠).

(٥) – سورة الصف – الآية (١٤) .

أعدائه ليرفعه إلى علياء سمائه . فما دامت له هذه القوّة أما كان من الأجدر به وهو العزيـز الحكيـم الاّ يفعل ذلك ، بل يستدرج اليهود من حيـث لايشـعرون ويكتـب لرسـوله النجـاة منهـم ليكمـل ماأوكل إليه من مُهمّة تبشير جميع أسباط بني إسرائيل ؟

فالمعنى الذي ذهب إليه فضيلته صاحب (كبرى اليقينيّات) لايُظهر ا لله عزيزاً وحكيماً . بل إنّ المعنى الذي ذهبت إليه من خلال بياني ، هو الذي يُظهر ا لله عزيزاً حكيماً .

فخلاصة الرأي في مدلول قوله تعالى : ﴿ بل رفعـه اللـه إليـه وكـان اللـه عزيـزاً حكيماً ﴾ هو لتثبيت مكانة المسيح الناصري في أعين اليهود على أنّه (رسول ا لله) الصادق ، وفي معيّة ا لله وقربه . وكان أسلوب ا لله في إنقاذ المسـيح فيـه كـلّ الدلالـة علـى أنّـه تعـالى هـو العزيـز الحكيم .

وننتقل إلى الآية الثالثة التي قال فيها تعالى : ﴿ وإن من أهل الكتاب إلاّ ليُؤمنّن بـه قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾ . ونعود إلى ابن كثير رحمه ا لله فقـد قـال في تفسيره : (اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ﴿ وإنْ من أهل الكتـاب إلاّ ليؤمنّـن بـه قبـل موتـه ﴾ يعني قبـل مـوت عيسـى . يوجّـه ذلـك إلى أنّ جميعهـم يُصدّقـون بـه إذا نـزل لقتـل الدجّال ، فتصير المِلل كلّها واحدة وهي مِلّة الإسلام الحنيفيّة ، دين إبراهيم عليه السلام) (١)

هذا ماذهب إليه ابن كثير ، ومن ثم راح يسرد لنا آراء أهل التأويل ، إلى أن قال : (ثم قال ابن جرير ، وأولى بهذه الأقوال بالصحة القول الأول ، وهو أنّه لا يبقى أحدٌ من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلاّ آمن به قبل موت عيسى عليه السـلام . ولاشـكّ أنّ هـذا الـذي قاله ابن جرير هو الصحيح ، لأنّه المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ماادعته اليهود مـن قتـل عيسى وصلبه . وتسليم مَنْ سَلِمَ هم من النصارى الجَهَلة بذلك فاخبرنا ا لله تعالى أنّه لم يكن الأمـر كذلك ، وإنّما شُبّه لهم).

من هذه الأقوال ندرك أنّ ابن كثير ذهب في رأيه في تفسـير هـذه الآيـة الكريمـة إلى أنّهـا تفيد أنّ عيسى حيٌّ في السّماء ، وسوف ينزل منها في المسـتقبل ، ويؤمن به ، وقبل موته ، جميع

---

(١) – تفسير ابن كثير – الجزء الأول – الصفحة (٥٧٦).

مَنْ كان يهوديّاً أو نصرانيّاً ، فلايعود في العالم إلاّ ملّة الإسلام .

ونعود إلى صاحب (كُبرى اليقينيّات) ، نجده بأنّه وافق ابن كثير فيما ارتآه . حيث يقول : (ومحلّ الشاهد قوله تعالى ﴿ وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنّن به قبل موته ﴾ والمعنى : لايبقى أحدٌ من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلاّ آمن به قبل موت عيسى عليه السلام . فالضمير في (قبل موته) عائدٌ ، كما هو واضحٌ من سياق الآيات ، إلى عيسى ابن مريم. وهو نصّ على أنّه عليه الصلاة والسلام لم يمتْ .)(١) وبهذه الألفاظ وافق هذا العالم تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى .

أقول : لاشكّ أنّ الخطأيجرّ الخطأ . ومادام هذان قد أخطأا في ردّ ضمائر الآية الأولى والثانية ، لعدم أخذهما بعوائد الضمائر . كان من الطبيعي جدّاً أن يُخطئا في ردّ ضمائر هذه الآية إلى أسمائها .

ثم لنستعرض ألفاظ الآية ، حيث قال تعالى : ﴿ وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنّن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً .﴾ . إنّ آخر هذه الآية الكريمة يُشعرنا أنّ اليهود والنصارى سيظلّون مختلفين فيما بينهم ، لذلك يقول تعالى ﴿ ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾ وإلاّ فلا معنى لمثل هذه الشهادة إن كان أهل الكتاب سيدخلون في ملّة الإسلام

ونتناول ألفاظ الآية . قوله تعالى :﴿ وإن من أهل الكتاب ﴾ يعني : وإن أحدٌ من أهل الكتاب . فلفظ (أحد) صفة محذوفٌ لهذه الجملة القسميّة ﴿ ليؤمنّن به ﴾ . وهذا مابينه صاحب كتاب الكشّاف . وعلى هذه الصورة يعود ضمير (به) إلى المسيح عيسى ابن مريم ، لامحالة .

فالإسم هنا موضوع بحث هذه الآيات الثلاث . ويكون المعنى : سيؤمن كلّ أحدٍ من أهل الكتاب يهودياً كان أو نصرانيّاً بمقتل المسيح الناصري على خشبة الصليب .

وينشأ عن هذا المعنى سؤال وهو : متى سيؤمن كلّ فردٍ من أهل الكتاب بالمسيح مقتولاً ؟ وجاء الجواب في قوله تعالى : ﴿ قبل موته ﴾ أي قبل هذا الأحد من أ هل الكتاب . وليس قبل موت عيسى ابن مريم . ذلك أنّ " موت عيسى " هو محلّ بحث هذه الآيات الكريمة

---

(١) – كُبرى اليقينيّات الكونيّة – الصفحة (٣٢٤) .

وليس حياته في السّماء ونزوله في آخر الزمان . **فهذا بحثٌ لم تصرّح به الآيات حتى يكون مرجع** ضمير ﴿ **قبل موته** ﴾ . ففي هذه النقطة بالذات كبا وأخطأ ابن كثير وصاحب (كُبرى اليقينيّات) . فقد أعادا ضمير ﴿ **قبل موته** ﴾ إلى أمرٍ في ذهنيهما ، لاعلاقة له بمجمل بحث هذه الآيات القرآنيّة . وخطؤهما يخالف ضوابط الضمائر ، ولامبرّر له .

فابن كثير وصاحب (كُبرى اليقينيّات) ، أوقعهما مايحملانه من خلفيّة تصوّرات رسمتها في مخيلتيهما الروايات المتعلقة بأحداثٍ مستقبليّة . وقد فهماها بما يخالف النصوص القرآنيّة . وذلك لعدم تقيّدهما بأمر أصوليّ وهو عرض كلّ ما هو غير قرآني، على النصوص القرآنيّة ، ومحاولة فهمها بما يطابق منطوق الفرقان العظيم .

فالقرآن الكريم صرّح لنا بما يتعلّق بحدود رسالة المسيح عيسى ابن مريم حيث قال تعالى : ﴿ **وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل أنا رسول الله إليكم مُصدّقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشّراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبيّنات قالوا هذا سحرٌ مبين** ﴾(١) فقد تحدّد من خلال منطوق هذه الآية الكريمة مايلي : أولاً : أنّ رسالة عيسى محصورةٌ في قومه بني إسرائيل حصراً . وثانياً : أنه عليه السلام لم يأتِ بشرعٍ يخالف شرع التوراة . وثالثاً : يبشّر ببعثة محمّد ﷺ ﴿ **يأتي من بعدي** ﴾ أي يبعث الله محمّداً بعد إكمال عيسى لرسالته ووفاته أيضاً . فلو أنّه ظلّ حيّاً في السّماء ، فلايصحّ القول ﴿ **من بعدي** ﴾ بل كان واجباً أن تستعمل للتعبير عن ذلك ألفاظٌ أخرى غير هذه الألفاظ . ورابعاً : تقرّر الآية الكريمة أنّ من بشّر عيسى ببعثته قد ظهر وجاءهم بالبيّنات أيضاً ، فكذّبوه وقالوا هذا سحرٌ مبين . وفي حال وجود مثل هذا النصّ القرآني ، لايحقّ لابن كثير أو لسواه أن يحفظ في ذاكرته رواياتٍ مخالفة لهذا النصّ ، إلاّ أن يُؤوّله بما يتّفق مع هذا النصّ إن كان مُسلماً فلو أنّ ابن كثير وصاحب (كُبرى اليقينيّات) ذهبا هذا المذهب في عرضِ كُلّ ماهو خارج القرآن على القرآن ، لتبيّن لهما خطلُ ماذهبا إليه من تفسير .

والملاحظ أنّ ابن كثير استهلّ تفسيره للآية بقوله (اختلف أهل التأويل ..) في دلالة

---

(١) – سورة الصف – الآية (٦)

هذه الآية . وهل يُعقل أن يختلف هؤلاء لو انطلقوا منطلقاً سليماً ؟ لو انطلقوا من ضوابط الضمائر نحوّياً . ومن عرض ماهو غير قرآني على آيات القرآن الكريم وتأويله بما يتفق مع مُعطياتها ونصوصها .

وزبدة القول في معنى هذه الآية ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنّن به ...**﴾ هو أنّ كلّ كتابيّ ، يهوديّاً كان أو نصراني ، لايموت إلاّ مُعتقداً بموت المسيح الناصري على الصليب . ويوم القيامة يكون المسيح شهيداً أي شاهداً أميناً في شهادته على مازعموه من بُهتان مبين .

وهذا المعنى يؤكّده وجود قراءة أحاديّة لهذه الآية الكريمة . فقد ورد في قراءة " أُبيّ ابن كعب [وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنّن به قبل موتهم ...] فقراءة [وقبل موتهم] تعني صراحة أنّ ضمير ﴿ **قبل موته** ﴾ يعود على أهل الكتاب ، وليس على عيسى ابن مريم . والعجيب أن يُهمل ابن كثير هذه القراءة وينهج صاحب (كبرى اليقينيّات) نهجه ، وا لله عزّ وجلّ حثنا على أن نكون من المتّقين .

ومن أغرب الغرائب أن يزعم ابن كثير وتلميذه هذا أنّ المسيح الناصري ستوحّد على يديه جميع المِلل اليهوديّة والنصرانيّة والمُسلمة فلا تبقى هناك إلاّ ملّة الإسلام الحنيفيّة . في وقت يُصرّح لنا ا لله علاّم الغيوب في كتابه العزيز عكس ذلك ويقول:﴿ **وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة** ﴾ (١) أي أنّ اتباع ملّتي اليهود والنصارى سيستمرّ وجودهما كأعداء يبغض بعضهم بعضاً إلى يوم القيامة .فهل يعني ابن كثير وصاحبه أنّ المسيح الناصري سينزل بعد يوم القيامة ؟

كذلك قال ا لله تعالى في موضع آخر مخاطباً المسيح الناصري : ﴿ **وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة** ﴾(٢) وهذا الكلام يفيد استمرار وجود أهل الكتاب إلى يوم القيامة أيضاً . فأين ما تضمّنته هذه الآيات واين مزاعم ابن كثير وصاحب (كُبرى اليقينيّات) ؟

إن هاتين الآيتين وكثيرٌ من الآيات غيرهما ، تفيد صراحةً أنّ الاختلاف الذي حدث بين

---

(١) – سورة المائدة – الآية (٦٥) .

(٢) – سورة آل عمران – الآية (٥٥)

أتباع موسى وبين أتباع عيسى سيستمرّ حتّى يوم القيامة ، وليس حتّى نزول المسيح الناصري من السّماء ، كما يزعمون . فهذه حقيقة غيبيّة ، قرّرها القرآن الكريم .

والخلاصة هي أنّ الله عزّ وجل أوجز لنا ببيان بلاغيّ مُعجز ، في هذه الآيات الثلاث من سورة النساء ، مُلابسات حادثة الصليب التي تعرّض لها المسيح عيسى ابن مريم في حياته في فلسطين . فنبّه تعالى إلى أنّ المسيح وإن تمكّنوا من تعليقه على خشبة الصليب ، إلاّ أنّهم لم يفلحوا في إماتته عليه . وأنّ ماعتقدوه من موته عليه ارتكز إلى الظنّ المجرّد عن الحقيقة ، ولايملكون عليه دليلاً ولا بيّنةً إلاّ مجرّد الادعاء ، ﴿ **وماقتلوه يقيناً** ﴾ لذلك لا يصحّ الزعم أنّه كاذبٌ في ادعائه النبوّة وبعيدٌ عن رحمة الله . بل هو من المقبولين المقرّبين إلى الله عزّ وجل . فهذه حقائق يُدلي بها الله الذي لايخفى عن علمه شيء .

والله جلّ شأنه إذ يُطلع المسلمين والعالم على هذه الحقائق . فهو يحثّهم بالتالي على إجراء التحقيق العلمي في هذا الموضوع ، ليستفيد منه كلّ طالبِ حقيقة . وإلاّ فإنّ هذا الاعتقاد الظنّي الذي وقع فيه اليهود والنصارى ، أوقعهم في اختلاف وعداوة وبغضاء ستستمرّ بينهم إلى يوم القيامة اللهم إلاّ من يُعيد النظر من منظار هذه الآيات الكريمة ، فإنّ مثل هذا الإنسان سيتقبّل الإسلام ديناً ويعود عمّا توارثه من عقائد فاسدة ويكون من المُهتدين .

وهذه الآيات الكريمة لايُستفاد منها رفعُ أحدٍ إلى السّماء ، ولانزول أحدٍ من السماء . فلو كان المسيح الناصريّ حيّاً في السّماء وينزل في آخر الزمان ، فهل يُعقل أن ينقل لنا القرآن الكريم على لسانه قوله يوم القيامة جواباً على سؤال الله إياه بشأن من عبده من قومه : ﴿ **ما قلت لهم إلاّ ماأمرتني به أن اعبدوا الله ربّي وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلمّا توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كلّ شيءٍ شهيد** ﴾ [1] .؟ فهل كذب المسيح الناصري في إجابته هذه إن صحّ أنّه ينزل في آخر الزمان ويشاهد مافعله وماعتقده قومه من بعده ؟ فأين دلالة هذه الآية من زعم ابن كثير وصاحب (كُبرى اليقينيّات) ؟

ثمّ إنّه لو كان المسيح الناصري رُفع حيّاً بجسده العنصري إلى السّماء . فهل يُعقل أن

---

(١) – سورة المائدة – الآية (١١٦).

يخالف الله تعالى بذلك وعده الذي وعده إيّاه قبل حادثة الصلب من خلال قوله تعالى : ﴿ **إذ قال الله ياعيسى إنّي متوفيك ورافعك إليّ متوفيك ورافعك إليّ ومُطهرك من الذين كفروا وجاعلُ الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة** .﴾(١) فهذا وعدٌ إلهي قد تحقّق ببنوده الأربعة < متوفّيك - ورافعك - ومطهرك - وجاعلُ الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إاى يوم القيامة > أقول قد تحقق هذا الوعد الإلهي وبنفس ترتيب بنوده ، فلايصحّ والحال هذه أن يزعم أحدٌ أنّ المسيح الناصري رُفع بجسده العنصري وروحه إلى السّماء .

هذا وإنّ ابن كثير رحمه الله وعلى الرغم من ضعف آرائه في التأويل فقد ذكر تحت هذه الآية الكريمة أنّه : (اختلف المفسّرون في قوله تعالى ﴿ **إنّي متوفيك ورافعك إلي** ﴾ وممّا سرده من آرائهم رأي ابن عباس عن طريق علي ابن أبي طلحة : < إنّي متوفيك أي مُميتك >)(٢) فلم يجزم بمعنىً محدّد .

أمّا صاحب (كُبرى اليقينيّات) فقد كتب يقول : (وأكثر ما يتعلّقون به في هذا الصدد ، كلمة متوفّيك ....ظنّاً منهم أنّ متوفيك مُرادفةٌ لُميتك . ولم يقل أحدٌ من عُلماء اللغة ذلك . بل التوفّي معناه أخذ الشيء وقبضه تماماً ، ومرادفه الإستيفاء . نقول : استوفيتك حقّي وتوفّيته ، أي قبضته كاملاً . أمّا الإماتة التي هي أخذ الروح ، فهي نوعٌ من أنواع التوفّي التي يشملهاوغيرها ..) (٣)

إنّ هذا العالِم زعم هذا في مؤلّفه ليوهم القارئ أنّه مطلعٌ على جميع ماذكره علماء اللغة حول معنى التوفّي . في وقتٍ نجد أنّ العالم اللغوي الشهير صاحب معجم " لسان العرب " قد قال خلاف مازعمه صاحب (كُبرى اليقينيّات) ، فهو قد وضّح لنا تحت لفظ التوفّي : أنّه إذا كان المُتوفّي هو الله تعالى وكان المتوفّى ذا روحٍ كلإنسان مثلاً ، فلا يعني التوفّي إلاّ الموت وقبض الروح.

---

(١) - سورة آل عمران - الآية (٥٥).

(٢) - تفسير ابن كثير - الجزء الأول - الصفحة ٣٦٦

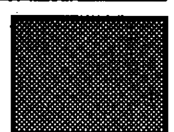
(٣) - كُبرى اليقينيّات الكونيّة - الصفحة (٣٢٩) .

كما أنّنا نلاحظ أنّ صاحب معجم " **محيط المحيط** " وافق صاحب لسان العرب رأيه في دلالة لفظ التوفّي وقال : (توفّى الله فُلاناً معناه قبض روحه . وتُوُفّي فلانٌ على المجهول قُبضت روحه ومات . فالله المتوفّي والعبد المُتوفّى .)

أسأل صاحب (كُبرى اليقينيّات) : ألم تقرأ ماكتبه هذان العالمان اللغويّان ، أم أنّك لاتحسبهما من العلماء اللغويين ؟ أجل إنّ فعل التوفّي يرد بمعنى الإستيفاء الكامل في حدود الأمور الماديّة ، وليس في مجال قبض الروح .

من هنا ندرك أنّ قوله تعالى : ﴿ **إذ قال الله ياعيسى إنّي متوفّيك ورافعك إلي** ....﴾ يعني صراحةً أنّ المسيح الناصري هو الآن في عداد الأموات وليس في عداد الأحياء . ذلك لأن بنود هذه الآية الكريمة قد تحقّقت بنفس ترتيبها القرآني.







٣- ويلات ترتّبت على آراء ابن كثير

ولايحسبنّ امرؤ أنّ ابن كثير وصاحب (كُبرى اليقينيّات) قد أخطآ الرأي في تفسير هذه الآيات الثلاث من سورة النساء وحسب ، وأنّهما سيؤجران على خطئهما المذكور واجتهادهما . بل ينبغي القول إنّهما تجاوزا حدود الرأي والاجتهاد يوم أسقطا مايحملانه من أفكارٍ جانبيّةٍ وتصوّراتٍ هشّةٍ لايستسيغها العقل ولاالعقل ولا المنطق السليم على كلام ا لله القدّوس . وقد جرّا من جرّاء ذلك ، على العقل والفكر الإسلامي مايشيب لهوله الولدان .

فقد كان معلوماً لدى ابن كثير وصاحب (كُبرى اليقينيّات) أنّ الأنبياء كانوا يُبعثون قبل الإسلام إلى أقوامهم وحسب . وأنّ ما كانوا يأتون به من تعاليم ، لاتصلح إلاّ لتلك الأقوام فلاتحمل تعاليمهم صفة التعاليم العالميّة . حتّى بعث ا لله عزّ وجلّ محمداً بن عبد ا لله ﷺ إلى الناس كافّة وبتعاليم تتّصف بصفة العالميّة والدوام وجعله رحمةً للعالمين .

فبالرغم من عِلم هذين العالمين بهذه الحقيقة . وبالرغم من تصريحهما بها في مؤلفاتهما ، فقد راحا يزعمان بأنّ ا لله تعالى لم يبعث المسيح الناصريّ إلى قومه بني إسرائيل وحسب ، بل احتفظ به حيّاً آلاف السنين ليكلّفه بمهمّة إصلاح المسلمين وهداية العالمين من بعد بعثة سيّد المرسلين وخاتم النبيّين ﷺ . أي أنّ هذين العالمين تناقضا مع نفسيهما ، ونسبا إلى المسيح الناصري مالم ينسبه القرآن الكريم لشخص المسيح من مسؤوليّات . وتناقضا بالتالي مع منطوق آيات هذا الكتاب العظيم . وأوقعا عامّة المسلمين في نفس التناقض وأعطيا لأعداء الدين حجّةً ضدّ القرآن وتعاليمه . وهكذا تسبّبا بويلٍ وثبور على الفكر الإسلامي ممّا يصعب معه اقتلاع جذوره ، وتخليص عامّة المسلمين من شروره . فهذه أوّل الويلات .

والويل الثاني الذي جرّه رأي ابن كثير وصاحب (كُبرى اليقينيّات) ، هو دفع العقل المسلم باتّجاه مخالفة العلوم الطبيعيّة ، والابتعاد عن التفكير العلميّ السليم . وذلك من خلال نسبهما للمسيح الناصريّ حياة خلودٍ انقضى منها حتّى يومنا هذا مايُقارب ألفي عام . هذا في حين

أنّ الله تعالى نفى عن البشر حياة الخلود هذه ، إذ قال : ﴿ **وما جعلنا لبشرٍ من قبلك الخُلد أفإن متّ فهم الخالدون** ﴾ (١) عِلماً بأنّ علماء اللغة قالوا أنّ الخلد لغةً يعني المدّة الطويلة دامت أم لم تدم (أقرب الموارد).

فعلى الرغم من وجود هذا النصّ القرآني الصريح ، فلايزال المسيح الناصريّ حيّاً في السماء على حدّ زعم ابن كثير وصاحب (كُبرى اليقينيّات) طوال الألفي سنةِ الماضية ، ولاندري إلى متى سيظلّ المسيح حيّاً في السّماء على حدّ زعمهما . وعلى هذه الصورة تأثرت محاكمة المسلم سلبيّاً من جرّاء مالرتآه ابن كثيرٍ وسواه ، فشذّ عن سواء السبيل العلمي ، واتّجه حيثما اتّجه أصحاب الخرافات والأساطير ، واختلّت بذلك محاكمة عقول المسلمين .

والويل الثالث الذي حاق بالعقيدة الإسلاميّة من جرّاء مالرتآه ابن كثير من آراء في تفسير الآيات الثلاث المذكورة من سورة النّساء ، هو نقضه لختم نبوّة سيّد المرسلين ﷺ وذلك باعتقاده وصاحب (كُبرى اليقينيّات) أنّ المسيح الناصري لايزال حيّاً في السّماء ، وسينزل آخر الزمان بعد بعثة محمد خاتم النبيّين ﷺ.

وإنّهما يحتجّان أنّ نبوّة المسيح سابقة لنبوّة محمد ﷺ. فيا لله هل يستسيغ عقل إنسان أن يُقال عن فلانٍ من الناس أنّه آخر ضيفٍ يدخل ، ومن ثمّ يأتي بعده ضيفٌ جديد ولوكان قد دخل قبله وغادر الدّار ؟ فهو قد أتى بعد فلانٍ على كلّ حال . على هذه الصورة كيف يجيزون لأنفسهم أن يزعموا مجيء المسيح الناصري بعد خاتم النبيين والقائل : (لانبي بعدي) ؟

والويل الرابع الذي حلّ بالإسلام من جرّاء تفسير ابن كثير لهذه الآيات الكريمة ، هو إيجاد هوّة واسعة وعميقة تحول دون أيّ أحد مفكّر من أهل الكتاب تقبّل ماجاء به القرآن الكريم . ذلك أنّ ابن كثير خالف في رأيه إجماع أمّتين هما اليهود والنصارى على أنّ المسيح الناصري نفسه هو الذي علّقوه على خشبة الصليب ، وليس إنساناً آخر . وهو إذ خالف إجماع هاتين الأمّتين لم يقدّم مايُثبت صحّة طرحه من دليلٍ أو برهان . فكيف يجرؤ على الزعم أنّهم علّقوا رجلاً آخر غير المسيح الناصري ، ولايثبت ذلك بدليلٍ وبرهان ، ويكتفي بمجرّد الادّعاء ، ناسياً زعمه الذي لايملك عليه حجّة إلى كتاب الله عزّ وجلّ ؟

والويل الخامس الذي أنزله ابن كثير بالفكر الإسلامي ؛ هو أسلوبه في التفسير الذي

لايعتمد أصولاً موضوعيّة ، بل يعتمد القيل والقال في تفسيره لآي الذكر الحكيم .

فإذا علمنا أنّ القيل والقال الذي اعتمده ابن كثير ، كان قد مضى عليه ستّة قرون من الزمان بعد بعثة محمد سيد المرسلين ﷺ. وعلمنا أنّ أحاديث رسول ا لله لم تسلم من الدسّ والافتراء طيلة تلك المدّة . فهل يُعقل أن تأتي روايات القيل والقال بعد تلك المدّة الطويلة سالمةً من الدسّ والافتراء ؟

وزبدة الكلام أنّ القرآن الكريم ، وإن اتّفق منطوق آياته الكريمة مع ما أجمع عليه اليهود والنصارى ، من أنّ المسيح الناصري هو الذي علّقوه على خشبة الصليب . فإنّ القرآن الكريم خالف هؤلاء في زعمهم موت المسيح الناصري على الصليب . فالقرآن خالف اليهود والنصارى في ذلك ، وفسح للمسلمين بذلك مجال البحث في الأناجيل لتقديم الأدلّة القاطعة على صحّة هذا الطرح القرآني . منبّهاًإيّاهم إلى النقطة الأساسيّة في الموضوع وهي أنّ عقيدة اليهود والنصارى في موت المسيح الناصري على الصليب ، قد قامت على مجرّد الظنون . فلايملك اليهود أيّ بيّنة يقينيّة على زعمهم قتل المسيح على الصليب . ولايملك النصارى أيّ بيّنة يقينيّة ضمن تراثهم الإنجيلي يثبت منها موت المسيح على الصليب وقيامه من بين الأموات .

فالواجب يقتضي منّا كمسلمين أن ننقُد الأناجيل المعاصرة نقداً موضوعيّاً وعلميّاً ، لنثبت من خلال ذلك صحّة الطرح القرآني وهو أنّ المسيح الناصري لم يمت على الصليب ، ولاقام من بين الأموات ، ولاأصبح بالتالي كفّارة عن ذنوب أتباعه .

وسأعمد من هذا المنطلق في الفصول القادمة إلى إجراء هذا النقد الموضوعي لما تضمّنته الأناجيل المعاصرة (متّى ومرقس ولوقا ويوحنّا) ، ممهّداً لذلك البحث النقدي بفصلٍ مستقلٍّ أسميته " قصّة الأناجيل ".

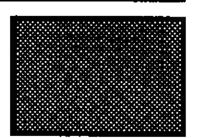
الباب الثالث

الفصل الأول : قصـــة الأنـــاجيـــل

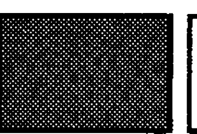
الفصل الثاني : نبـوءة واقعـــة الصـــلب

الفصل الثالث : واقعة الصـــلب من الأناجيل

الفصل الرابع : خطة بيلاطس لإنقاذ المسيح من محنته



١ - قصة الأناجيل



كلّ مسلم يأمره ربّه أن يؤمن بجميع ما أنزل الله تعالى من وحي في القرآن الكريم ومن قبله ، نزولاً عند قوله تعالى : ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أُنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴾(١). وانطلاقاً من هذا الأمر الإلهي ، فمن واجب كلّ مسلم إذا أراد محاورة أهل الكتاب ، أن يحاورهم فيما عندهم من تنزيلٍ وإن وصل إلى زماننا مُحرّفاً ومحتاجاً إلى مناقشة ماورد فيه بأسلوبٍ علمي متعلّق بنقد النصوص .

ثمّ إنّ من يطالب أهل الكتاب بكتابين منزّلين نصّاً ومعنى وبما يشبه القرآن الكريم ، يجانف الحقيقة التاريخيّة . فلم يُنزل الله عزّ وجلّ وحياً لفظيّاً سوى الوصايا العشر التي أمر موسى عليه السلام أن يدوّنها في لوحين حجريّين . فما تعاليم التوراة والإنجيل إلاّ من قبيل الوحي من وراء حجاب . وهذا الأمر يثبت ممّا احتواه الكتاب المقدّس المعاصر عند أهل الكتاب مما لاحاجة بنا للخوض فيه .

والذي يهمّني هنا هو إعطاء فكرة للقارئ الكريم ، حول الأناجيل الحاضرة ، ليس من خلال تحقيقي الشخصي ، وإنّما من خلال ما اعترف به علماء المسيحيّة أنفسهم في مقدّمة كتابهم المقدّس ، دفعاً لكلّ نقاشٍ من جانبنا مع هؤلاء .

لذلك أنطلق في بيان قصّة الأناجيل الأربعة " متّى ومرقس ولوقا ويوحنّا " ممّا احتوته طبعة الكتاب المقدّس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩م ، والذي طبعته جماعة الكتاب المقدّس في المشرق ، ونشره دار المشرق في بيروت لبنان .

والمعلوم أنّ القرآن الكريم يطالب المسيحيّين أن يعودوا إلى ما احتواه إنجيلهم . وهذه المطالبة قائمة إلى يوم الدين ، وقد نصّت عليها الآيات التالية : ﴿ وقفّينا على آثارهم بعيسى

---

(١) – سورة البقرة – الآية (٤)

ابن مريم مصدّقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدىً ونور ومصدّقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظةً للمتّقين * وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون * وأنزلنا إليك الكتاب بالحقّ مصدّقاً لمابين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتّبع أهواءهم عمّا جاءك من الحقّ لكلٍّ جعلنا منكم شِرعةً ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمّةً واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ (١)

فقوله تعالى هنا ﴿ **وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** ﴾ هو قولٌ صريح اللفظ والدلالات ، وإنّ قوله تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب بالحقّ مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه** ﴾ هو قولٌ صريح اللفظ والدلالات أيضاً . فلفظ الحق يعني العدل والصدق والقول الثابت . ولفظ ﴿ **مُهيمناً عليه** ﴾ أي مُهيمناً على الإنجيل . مِن هيمن الرجل هيمنةً إذا قال آمين ، ومن هيمن فلانٌ على كذا ا صار رقيباً عليه وحافظاً (١) والمُهيمن إسمٌ من أسماء ا لله الحسنى ، أي أنّ القرآن الكريم مصدّق لما احتوته الأناجيل الأربعة ، ليس تسليماً بكلّ ماورد فيها ، بل على مستوى الهيمنة عليهابمعنى أنّ ا لله تعالى أنزل القرآن الكريم رقيباً على الإنجيل وحافظاً . ورقب الشيء حفظه من التبديل والتحريف والضياع . فالقرآن الكريم من هذه الجهة يضع بين أيدينا مفتاح الدخول إلى أي موضوع احتواه الإنجيل بالحق أي بالعدل والصدق والقول الثابت .

فمن خلال كون القرآن رقيباً على الإنجيل وحافظاً بالعدل والصدق والقول الثابت، نندفع كمؤمنين بهذا الكتاب السماوي للبحث في الأناجيل بحث نقدٍ للنصوص الواردة فيها وعلى ضوء ما نصّح به القرآن الكريم . فنحن هنا لانريد الطعن بالأناجيل ولا الانتقاص من عقائد

المسيحيّين . وهاأنّي أنطلق ممّا احتوته الطبعة الأخيرة لهذه الأناجيل.

---

(١) – سورة المائدة – الآيات (٤٦–٤٨).

(١) – قاموس محيط المحيط .

فإن شئنا مراجعة تاريخ الأناجيل الحاضرة يواجهنا سؤالٌ مبدئي وهو : هل جرى تدوين أيّ شيءٍ من تعاليم المسيح الناصري وسيرته في حياته التي أمضاها في فلسطين ؟ أم أنّ سيرته وتعاليمه تداولها تلاميذه وسواهم بصورة شفهيّة وتناقلوها دون تحرير لها وتدوين ؟

ونجد جواب هذا السؤال في مقدمة الكتاب المقدّس المذكور حيث ورد فيه : (وأمّا أقوال الربّ – يعني يسوع المسيح – وماكان يبشّر به الرسل – أمثال بولس وبطرس وسواهما – فقد تناقلتها ألسنة الحفّاظ مدّة طويلة ، ولم يشعر المسيحيّون الأوّلون إلاّ بعد وفاة آخر الرسل بضرورة كلٍّ من تدوين أهمّ ما علّمه الرسل ، وتولّي حفظ ماكتبوه .

وماكان بدٌّ من أن تُثار ذات يوم مسألة المكانة العائدة لهذه المؤلفات الجديدة . وإن حظي في أوّل الأمر التقليد الشفهي بمكانة أفضل كثيراً ممّا كان للوثائق المكتوبة. ويبدو أنّ المسيحيّين ، حتّى مايقارب من السنة (١٥٠) بعد الميلاد ، تدرّجوا من حيث لايشعرون ، إلاّ قليلاً جدّاً ، إلى الشروع في إنشاء مجموعة جديدة من الأسفار المقدّسة ...)(١) ويتبيّن لنا من إجابة هؤلاء أنّ سيرة المسيح الناصري وتعاليمه كان يتناقلها تلاميذه ومعارفهم بصورة شفهيّة معتمدة على الذاكرة ليس إلاّ . وذاكرة الإنسان وقوّة ملاحظته وفهمه لما يسمعه ويشاهده تختلف من إنسان لآخر ومن هنا ندرك أنّ أحداث حياة المسيح وتعاليمه تعرّضت إلى تدخّل جميع هذه العوامل الشخصيّة . وقد ظلّ كذلك حتّى وفاة آخر تلميذ من تلاميذ المسيح حسب قول النص ، فلم يُدوّن أيّ أمر من أمور تعاليم المسيح وسيرته طيلة تلك المدّة من الزمن التي ربّما امتدّت إلى قرابة قرن زمني.

وأنا ألاحظ مصداقيّة ماكتبه هؤلاء بالاستناد إلى مافتتح به كاتب إنجيل لوقا من جُملات. فقد ابتدأه بالقول : (إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصّة في الأمور المتيقّنة عندنا ، كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء مُعاينين وخُدّاماً للكلمة . رأيت أنا أيضاً – والقول لكاتب إنجيل لوقا – إذ قد تتبّعت كلّ شيء من الأوّل بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيّها العزيز " ثاوفيلس " ، لتعرف صحّة الكلام الذي عُلّمتَ به . كان في أيام هيرودس ملك اليهوديّة كاهن اسمه زكريّا ....).

---

(١) – مقدمة الكتاب المقدّس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩م – الصفحة (٨) .

إنّ هـذا الإستهلال الـذي استهلّ بـه لوقـا وهـو ماسمّي بإنجيل لوقـا فيمـا بعـد ، يـدلّ بالاستنباط على صدق ماأوردته مقدّمة الكتاب المُقـدّس الـذي نقلـت الاقتبـاس منهـا أعـلاه . إذ يُستنبط من ألفاظ لوقا أنّ تعاليم وسيرة المسيح الناصري كانت متداولة بصورة شفهيّة حتّـى مـات آخر تلاميذ المسيح ، وشعر كثيرون بضـرورة توثيـق مـاسمعوه عـن الذيـن عـاينوا أحـداث المسيح وكانوا خُدّاماً للكلمة . وكان لوقا من جُملة هؤلاء الكثيرين الذين شعروا بهذه المسؤوليّة . فدقّـق ماوصله من أخبارٍ شفهيّة وجلس يكتب إلى صديقه العزيـز ثـاوفيلس ماسمعه ودقّقـه ، علـى شـكل رواية قصصيّة ، وبنيّةٍ حسنة ، وبأمانة.

ولنعد الآن إلى مقدّمة الكتاب المقدّس . فقد أضاف كاتبوها قولهم :(وأغلب الظنّ أنهـم جمعوا في بدايـة أمرهـم – ويقصـد بذلـك الذيـن شـعروا بضـرورة إنشـاء مجموعـة مـن الأسـفار المقدّسة ، وبعد مضيّ مائة وخمسين عامـاً لفـراق المسـيح النـاصريّ لقومـه – جمعـوا رسـائل بولـس واستعملوها في حياتهم الكنسيّة ، ولم تكـن غـايتهم أن يؤلّفـوا مُلحقـاً بالكتـاب المقـدّس – أي مايُسـمّى بـالعهد القديـم تـوراة موسـى وأسـفار بـني إسـرائيل – بـل كـانوا يَدَعُـون الأحـداث توجّهم : فقد كانت الوثائق البولسيّة مكتوبة . في حين أنّ التقليد الإنجيلي كان لايزال في معظمـه مُتناقلاً على ألسنة الحُفّاظ فضلاً عن أنّ بولس نفسه كان قد أوصـى بتـلاوة رسـائله و تداولهـا بـين الكنائس المجاورة (انس ٥/٢٧ وقول ٤/١٦). ولايظهر شأن الأناجيل طـول هـذه المـدة ظهـوراً واضحاً ، كما يظهر شأن رسائل بولس . ومهما يكن من أمر فليس هناك قبل السنة (١٤٠م) أيّ شهادة تثبت أنّ الناس عرفوا مجموعة من النصوص الإنجيليّة المكتوبـة . ولايُذكـر لمؤلـف مـن تلـك المؤلفات صفة مايُلزم . فلم يظهر إلاّ في النصف الثاني من القرن الثاني شـهادات ازدادت وضوحـاً على مرّ الزمن < أنّ هناك مجموعة من الأناجيل ، وأنّ لها صفة مايلزم . وقد جرى الاعتراف بتلـك الصفة على نحوٍ تدريجي " وابتدأنحو السنة (١٥٠)م عهدٌ حاسمٌ لتكوين قانون العهد الجديد.>.

يتبيّن ممّا نقلناه أنّ المسيحيّين الأوائل ، وقبل منتصف القرن الثاني للميلاد ، لم يكونوا قد عرفوا الأناجيل الأربعة (متّى ومرقـس ولوقاويوحنّـا) كمرجـع مقـدّس لديهـم. علمـاً أنّ رسـائل بولس كانت هي المتداولة لديهم . علماً أنّ بولس المذكـور لم يصـاحب المسـيح النـاصري ولايومـاً واحـداً ، بـل علـى العكـس مـن ذلـك قـد كـان مـن ألـدّ أعدائـه ومناهضيـه والمفـترين عليـه كمـا يُستدل على ذلك من مضمون رسالته إلى أهل غلاطية وسـواها. ممّا لاحاجة للاستدلال به في هذا

المقام لشهرته.

أي يتبيّن أنّ بولس كان يكتب رسائله على نحو ماسمعه من أخبار المسيح وأقواله إضافة إلى مُعتقده ذاته . هذا المُعتقد الذي تسبّب له الاختلاف مع تلاميذ المسيح أنفسهم فيما بعد.

كذلك يتبيّن مّما نقلناه أنّ الأناجيل الأربعة لم تكن طيلة المُدّة معتبرة كمرجع دينيّ مقدّس . وكان معظمها متناقلاً على ألسنة الحُفّاظ . وقد جرى الاعتراف بصفة الأناجيل الأربعة المعاصرة بالتدريج . وكان عام (١٥٠م) عاماً حاسماً في تكوين مايُسمّى اليوم بالعهد الجديد.

وهذه الوثائق التي وردت في الصفحة الثامنة من مقدّمة الكتاب المقدّس تتّفق مع ما أورده "موريس بوكاي" الذي أسلم وكتب مؤلفه الشهير (دراسة الكتب المقدّسة في ضوء المعارف الحديثة) والمطبوع عن طريق دار المعارف المصريّة . فموريس بوكاي نقل قول (أ. كولمان O.COLMAN) المُدوّن في مؤلفه العهد الجديد " Les presses universitaires de france 1987" الذي قال : (فقد بقي الإنجيل طيلة مدّة ثلاثين أو أربعين عاماً في شكله الشفهي فقط ، أو بالكاد ولكن التراث الشفهي قد نَقَل أساساً أقوالاً وروايات مُنعزلةٍ).

وهذه الحقائق التي وردت في الصفحة الثامنة من مقدّمة الكتاب المقدّس لاتتفق مع مايزعمه كثير من آباء الكنائس في بلدنا . كالأب إلياس زحلاوي مثلاً ، الذي يرسل أقواله في مؤلفه (حول الإنجيل) بلاتحقيق ولاسند ويكتب على الصفحة (١٣) : (إنّ متّى ويوحنّا – وهما مؤلفا إنجيلي متّى ويوحنّا – استقيا معلوماتهما من يسّوع مباشرةً ، إذ كان من الرسل الأولين ، فيما مرقس ولوقا استقيا معلوماتهما من زعيمي الرّسل : هذا من بولس ، وذاك من بطرس إذ كانا بمثابة أميني سرّ هما ورفيقي طريق) . فهذا الزعم يتنافى مع ما وردفي مقدّمة الكتاب المقدّس المذكور ، وهو : (ومهما يكن من أمرٍ فليس هناك قبل السنة (١٤٠م) أيّ شهادة تثبت أنّ الناس عرفوا مجموعةً من النصوص الإنجيليّة المكتوبة ، ولايُذكر أنّ لمؤلفٍ من تلك المؤلفات صفة مايُلزم ...) .

وهكذا ومن خلال ماأوردناه من أقلام علماء المسيحيّة أنفسهم ، لانكون مبالغين إذا قلنا في الجواب على السؤال المبدئي المطروح أنّه كانت سيرة وتعاليم المسيح الناصري يتداولها المسيحيّون الأوّلون في القرن الثاني للميلاد على الأقل بصورة شفهيّة واعتماداً على

الذاكرة ورواياتها . ولم يجر تدوين أيّ شيء من تلك السيرة والتعاليم في تلك الفترة الزمنيّة ، ولم تكن الأناجيل الحاضرة قد دوّنها مؤلفوها ، ولم تكن مضامينها مُلزمة لمسيحيّي تلك الحقبة التاريخيّة أيضاً . ويواجهنا سؤال آخر وهو : متى ظهرت الأناجيل الأربعة وبصفتها الإلزاميّة إذاً ؟ ومتى أطلق عليها اسم العهد الجديد ؟

وقد نجد الإجابة على السؤال المذكور على الصفحات التاسعة والعاشرة والحادية عشرة من مقدّمة الكتاب المقدّس المذكور فقد ورد هناك : (فليس هناك قبل السنة (١٤٠ م) أيّ شهادة تثبت أنّ الناس عرفوا مجموعة من النصوص الإنجيليّة المكتوبة . ولايُذكر لمؤلف من تلك المؤلفات صفة ماُيلزم .... وقد جرى الاعتراف بتلك الصفة على نحوٍ تدريجيّ ....ويمكن القول أنّ الأناجيل الأربعة حظيت نحو السنة (١٧٠ م) بمقام الأدب القانوني ، وإن لم تستعمل تلك اللفظة حتى ذلك الحين ... وقد أخذت تظهر – المؤلفات الإنجيليّة – رويداً رويداً وبالمصادفة بمظهر مجموعة اعترفت بصفتها الإلزاميّة كنائس القرن الثاني الميلادي اعترافاً واسعاً . ويُرجّح كثيراً أنّ الذي زاد في سرعة هذه الحركة هو تدخّل " مرقيون الهرطوقي " عام (١٦٠م) ، الذي نبذ سلطة العهد القديم نبذاً تامّاً ، فاحتاج أشدّ الحاجة إلى تزويد كنيسته بأسفارٍ مقدّسة وبما يقتضيه ذلك من قانون جديد فعندما حاول المرء أن يستعرض حصيلة هذا التطوّر اتضحت له هذه الأمور : فازت الأناجيل الأربعة في كلّ مكان بمنزلة رفيعة منيعة لانزاع عليها البتّة من بعد . ويمكن القول منذ ذلك الوقت : إنّ قانون الأناجيل الأربعة قد اكتمل . إنّ الأسفار التي اعترف بأنّها قانونيّة ، أصبحت بناءً على ذلك نصوصاً مقدّسة . وحصلت منذ دخولها في القانون بنوع من الحصانة ، ساعدت في وصولها إلى عهد الطباعة ، وهي في حالة حسنة . ولم تحظ بمثل ذلك المؤلفات التي لم يُكتب لها أن تدخل في القانون . فإذا حظي بعضها (كالديداكي أو رسالة برنابا) بتقدير جميع الكنائس ، فحُفِظَ في حالةٍ حسنة ، مع أنّه لم يدخل إلى القانون . فإنّ بعضها الآخر لم يتحلّ بتلك الصفات ، نُحّي تنحية أشدُّ عن الاستعمال الكنسي ، فأصبح عُرضةً للضياع ، الأمر الذي يُبيّن لماذا لم يبقَ منه سوى آثار قليلة).

يتبيّن لنا من خلال مانقلناه عن مقدّمة الكتاب المقدّس ، أنّ الأب " مرقيون الهرطوقي " الذي تواجد بعد المسيح بـ (١٦٠) عاماً ، هو الذي حوّل مجرى الاتجاه الكنسي من الأخذ بتعاليم التوراة ، والالتفات إلى مضامين روايات الأناجيل الأربعة المعاصرة وهي (متى ومرقس

ولوقا ويوحنّا) وهجر بقيّة الروايات الإنجيليّة التي كانت متداولة في تلك الفترة من الزمان كأناجيل (الديداكي وبرنابا) . فقد كان في عصر (مرقيون الهرطوقي) مؤلّفات إنجيليّة كثيرة ، كتبها رجالٌ كثيرون ، على حسب ماأشار إلى ذلك مؤلّف إنجيل لوقا التي نقلناها من قبل ، والتي ورد فيها : (إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصّة في الأمور المُتيقّنة عندنا ، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء مُعاينين وخُدّاماً للكلمة . رأيت أنا أيضاً ، إذ قد تتبّعت كلّ شيء منذ الأوّل بتدقيق أن أكتب .....إلخ) .

أي أنّه لم يكن قبل " مرقيون الهرطوقي " للعهد الجديد " الذي يُقدّسه مسيحيّو عصرنا ، والذي يحتوي على الأناجيل الأربعة (متّى ومرقس ولوقا ويوحنّا) من وجودِ مقدّس مُلزم قبله . فبهذه الحقيقة ، نجيب على السؤال الثاني المطروح ، وهو : متى ظهرت الأناجيل الأربعة بصفتها المقدّسة والإلزاميّة المعروفة اليوم ؟ أمّا لماذا ألغى " مرقيون الهرطوقي " بقيّة القصص الإنجيليّة التي ضاعت على مرّ الأيّام . وماذا احتوت تلك الأناجيل ؟ فهو سؤالٌ عريض هامّ لانجد له جواباًوالذي أراه على سبيل الظنّ ليس إلاّ ، هو أنّ رسائل بولس الرسول كانت سائدة ومتداولة منذ البدء . فلربما عمد " مرقيون الهرطوقي "عام (١٦٠ م) إلى نبذ كلّ إنجيل خالفت نصوصه رسائل بولس الذي سبق أن قلت أنّه كان من ألدّ أعداء المسيح في حياته ، ولم يصاحبه في يوم من الأيّام ، واستقى معلومات رسائله من السماع والروايات الشفهيّة ، إلى جانب ماأضافه هو من أمور وعقيدة لأمرٍ في نفس يعقوب . وهذا موضوع لايُناسب الخوض فيه في هذا المقام .

ويواجهنا سؤالٌ ثالث وهو أنّ من حق المرء أن يتساءل عن اللغة التي كُتبت بها مختلف الروايات الإنجيليّة . وهل أنّ هذه الأناجيل التي كانت مخطوطة بقلم أصحابها ومؤلفيها ، والتي كان الناس يستنسخونها جيلاً بعد جيل ، إلى أن أتى عصر الطباعة بعد ألف وأربعمائة سنة من تأليف تلك الروايات الإنجيليّة ، فهل وصلت تلك الروايات الإنجيليّة الأربعة التي أقرها " مرقيون الهرطوقي " سالمة من أيّ تحريف أو تبديل حتى بداية عصر الطباعة ؟

إننا نجد جواب هذا السؤال في مقدمة آخر طبعة للكتاب المقدّس المذكور فقد ورد هناك (وجميع أسفار العهد الجديد ، من غير أن يُستثنى واحداً منها ، كُتِبَ باليونانيّة . وهناك أكثر من خمسة آلاف كتاب خُطّ بهذه اللغة . أقدمها كُتب على أوراق البردي ، وكُتِب سائرها على الرق . وليس لدينا على البردي سوى أجزاء من العهد الجديد بعضها صغير . وأقدم الكتب الخط

التي تحتوي معظم العهد الجديد ، أو نصّه الكامل ، كتابان مقدّسان على الرق ، يعودان إلى القرن الرابع ، وأجّلهما (المجلّد الفاتيكاني)، الذي سُمي كذلك لأنه محفوظٌ في مكتبة الفاتيكان . وهذا المخطوط مجهول المصدر وقد أصيب بأضرار لسوء حظّه . ولكنّه يحتوي العهد الجديد .) (١)

وكذلك ورد في مقدّمة الكتاب المقدّس نفسه :(فإنّ نصّ العهد الجديد ، قد نُسخَ ، ثم نُسخَ طوال قرونٍ كثيرة ، بيد نُسّاخ ، صلاحهم للعمل متفاوت . وما من واحدٍ منهم معصوم من مختلف الأخطاء التي تحول دون أن تتّصف أيّ نسخة كانت مهما بُذل فيها من الجهد ، بالموافقة التامّة للمثال الذي أُخذت عنه . يُضاف إلى ذلك أنّ بعض النسّاخ حاولوا أحياناً عن حُسن نيّة ، أن يصوّبوا ما جاء في مثالهم ، وبدا لهم انّه يحتوي أخطاء واضحة ، أو قلّة دقّة من التعبير اللاهوتي . وهكذا أدخلوا إلى النصّ قراءات جديدة تكاد أن تكون كلّها خاطئة . ومن الواضح أنّ ما أدخله النُسّاخ من التبديل على مرّ القرون ، وتراكم بعضه على بعضه الاخر . فكان النص الذي وصل آخر الأمر إلى عهد الطباعة ، مُثقلاً بمختلف ألوان التبديل ، ظهرت في عددٍ كبيرٍ من القراءات .).

يتبيّن لنا مّما أفاده هذا النص أنّ الأناجيل الأربعة لم يُدوّنها كاتبوها باللّغة العبريّة التي هي لغة المسيح الناصري . بل كتبوها باللغة اليونانيّة ، الأمر الذي يؤكّد أنّ متّى ويوحنّا لم يكونا من تلاميذ المسيح قط ، وإلاّ لكانا كتبا هذين الإنجيلين المُسمّيين بإسميهما باللغة العبريّة .

كما يوضّح لنا هذا النص المُقتبس من مقدمة الكتاب المقدّس ، أنّ هذه الأناجيل الأربعة ، التي تشكّل في عصرنا العهد الجديد ، قد وصلت إلى عهد الطباعة مُحرّفة غير سالمة من تدخّل شخصيّات الذين قاموا بنسخها ، ونسخها حتى وصلت إلى عهد الطباعة .

كما يتبيّن لنا من خلال هذا النص المقتبس أنّ نسخ هذه الأناجيل لم يكن يتم على أيدي رجال مختصّين وموثوقين ومعصومين . لذلك عادت هذه الأناجيل التي بلغت عصر الطباعة بحاجة إلى إعادة التدقيق فيها ، وبأسلوب النقد العلمي للنصوص.

فعندما يبلغ القارئ هذا الحد من العلم ، يتساءل بالبداهة : وهل أخذت الكنائس بعلم نقد النصوص العلمي المذكور لنقد هذه الأناجيل التي هي بين أيديهم في هذا الزمان ؟

---

(١) – مقدمة الكتاب المقدّس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩ – الصفحة (١٢) .

ونستلهم الإجابة على هذا السؤال من مقدمة الكتاب المقدس المذكور . حيث ورد فيه قول منظّمه :(والمثال الأعلى الذي يهدف إليه علم نقد النصوص ، هو أن يُمحّص هذه الوثائق المختلفة ، لكي يقيم نصّاً يكون أقرب مايمكن من الأصل الأوّل . ولايُرجى في حالٍ من الأحوال الوصول إلى الأصل نفسه .) (١) ويضيفون قولهم : (هذا العمل لم يكتمل إلى هذا اليوم ولكنه بلغ مبلغاً عظيماً .) (٢)

ويُلفت أنظارنا هؤلاء لأخذ فكرة وجيزة عمّا أنجزه القائمون بنقد النصوص الإنجيليّة الموروثة ، فينبهون إلى أنّ هؤلاء النقّاد صنّفوا هذه المخطوطات التي بين أيديهم إلى أصناف . النص الأول (نصٌّ يُقال له الأنطاكي أو السوري ، بالنظر إلى أصله الذي يُنسب على وجه العموم إلى أنطاكية في نحو (٣٠٠م) ....) والنص الثاني (يُقال له الغربي فقد اتضح أنّ هذه التسمية ترجع إلى القرن الثامن عشر هي تسمية غير صحيحة . لأنّ هذا النص الغربي هو الصيغة الأقدم والأعم للعهد الجديد في كثير من الأمور . ولايقتصر الأمر على الفصائل الكبرى للكتب المخطوطة ، فهناك صيغ وسط بين هذه الأمثلة المذكورة ، ولا حاجة بنا إلى تفصيل ذلك .) .

ويضيف واضعوا مقدمة الكتاب المقدّس قائلين : (وهذا النقد الأول يقال له النقد الخارجي ، وهو غير كافٍ . فكثيراً مايؤول هذا النقد إلى الوقوف على فقرة لها في القرن الثاني أو الثالث روايتان انتشرتا قليلاً أو كثيراً . ومن العسير اختيار إحداهما ، فلابد من اللجوء إلى النقد الباطني . وهدف أصحاب النقد الباطني أن يوضّحوا بجلاء نوع التدخّل الذي قام به الناسخ ، والأسباب التي دعته إلى هذا التدخّل . وجرت العادة ألاّ يُستعمل هذا النقد إلاّ وسيلة متمّمة للنقد الخارجي .)(٣)

ويضيف هؤلاء قولهم :(إنّ الطبعة الأكثر انتشاراً في أيّامنا ، هي طبعة " نستلي – ألاند " . وأنّ العهد الجديد اليوناني الذي نشرته جمعيّات الكتاب المقدّس . بُذل الجهد

(١) – مقدمة الكتاب المقدّس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩ – الصفحة (١٣).

(٢) – مقدمة الكتاب المقدّس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩ – الصفحة (١٤).

(٣) – مقدمة الكتاب المقدّس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩ – الصفحة (١٥).

فيه لإدخال زيادة من التحسين على ذلك النص.). (١) يتبيّن لنا من المقدّمة المذكورة (٢) أنّ الكنائس تعترف بأنّ العهد الجديد ،بحالته الحاليّة ، لايزال قابلاً للأخذ والرد لكثرة ماأدخله نسّاخه عليه ، قبل بدء عهد الطباعة من زيادات وتصحيحات وبنيّة حسنة طوال أربعة عشر قرناً مضت . كما يتبيّن أنّ علماء النقد الكنسيّون صنّفوا ما بين أيديهم من مخطوطات ، إلى أصناف . ويقدّمون ثمار نقدهم من حينٍ إلى آخر وفقاً للنتائج التي يحصلون عليها بالأسلوب النقدي ، هذه النصوص الموروثة والمُتقاة " بمختلف ألوان التبديل التي ظهرت لهم في عدد كبير من القراءات " ويقومون بمهمّة النقد هذه ، وإن كانوا لايرجون الوصول إلى الأصل الأول نفسه . هذا وإنّ عملية النقد لهذه النصوص لاتزال جاريةً حتى يومنا هذا ، على اعتبار أنّها لم تكتمل حتى اليوم ، بالرغم من أنّها بلغت مبلغاً عظيماً .

ويتبيّن لنا أنّ هناك فرعين لهذا النقد الذي يقومون به : الأول نقدٌ خارجي ، والآخر نقدٌ باطني يكمل النقد الخارجي . والقصد من هذين النوعين من النقد هو أن يوضّحوا بجلاء نوع التدخّل الذي قام به الناسخ ، والأسباب التي دعته إلى ذلك التدخّل .

ألا إنّ هذه الحقائق التي اعترف بها الذين دوّنوا مقدمة آخر طبعة للكتاب المقدّس ، تؤكّد بمجموعها صدق وصحّة ما أشار إليه القرآن الكريم من أنّه ينبغي إعادة النظر فيما احتوته هذه الأناجيل ومن منطلق أن يكون التعليم القرآني (مُهيمناً) على هذه الأناجيل وما احتوته من معلومات . فالقرآن مُهيمنٌ بمعنى حافظٌ ورقيب . ولاتكتمل عمليّة نقد النصوص الإنجيليّة إلاّ من هذا المِنظار . ومن خلال ما قدّمه هذا الكتاب السماوي الأخير من توجيهاتٍ وطروحات ، طرحها عالِم الغيب والشهادة العزيز الحكيم . وإلاّ فإنّ عمليّة نقد النصوص التي يقوم بها المسيحيّون أنفسهم ، نطاق عملها محدود النتائج ، ولاتوصل إلى اكتشاف الإنجيل الأصل والوقائع الحقيقيّة التي جرت وعرضت لشخص المسيح الناصري عليه السلام.

وهاأنّ الطرح الذي طرحه الله عزّ وجل من خلال قوله :﴿ **وبكفرهم وبقولهم على مريم بُهتاناً عظيماً * وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما**

---

(١) – مقدمة الكتاب المقدّس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩ – الصفحة (١٥).

(٢) – مقدمة الكتاب المقدّس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩ م

قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شكٍّ منه مالهم به من علمٍ إلاّ اتباع الظنّ وماقتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه وكـان اللـه عزيـزاً حكيمـاً* وإن من أهل الكتاب إلاّ ليُؤمنَن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾(1)
هذا الطرح القرآني الذي سبق أن وضّحت مفهومه يصحّح سوء الفهم الذي وقع فيه أهل الكتاب يهوداً كانوا أم نصارى ، حول حادثة صلب المسيح عليه السلام .

وهاأنّي أثبت صحّة هـذا الطـرح القرآنـي من نصـوص الأنـاجيل المُعاصرة نفسـها الـتي وصلت إلى عصر الطباعة مُثقلة بمختلف ألوان التبديل الـتي ظهـرت للمسـيحيّين أنفسـهم في عـدد كبير من القراءات على حسب مايعترفون بـه في مقدمـة الكتـاب المقدّس المطبـوع في بيروت عـام ١٩٨٩ م ، فإذا ما أتيت على إثبات ذلك ، يتضح معنى قوله تعالى في سـورة النسـاء ﴿ **وليحكـم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** ﴾ .
ففي ألفاظ هذه الآية الكريمة حثٌّ للمسيحيّين لنقد نصوص الأناجيل التي وصلـت إلى أيديهـم مـن زاوية هذا الطرح القرآني . فهو طرحٌ طرحه الله عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم .

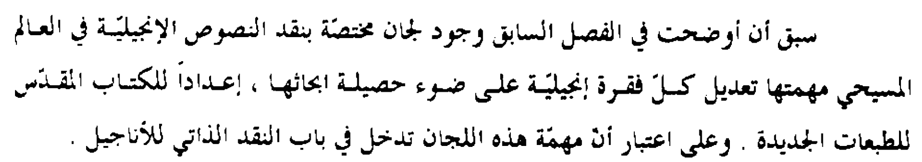
فهيا معاً إلى الأناجيل الأربعة (متّى ومرقس ولوقا ويوحنـا) نستشـفّ منهـا صحـة هـذا الطـرح القرآنـي وهـو أنّ المسـيح النـاصري لم يمـت علـى الصليـب ، ولم يفلـح اليهـود في إثبـات كذبه ، بل نزل من على الصليـب حيّاً ، وظهـر لتلاميـذه بنفـس شـخصيته السـابقة وراح يكمـل مهمته وهي تبشير بقيّة أسباط إسرائيل التي كـانت يومئـذٍ لاتـزال في الشـتات خـارج فلسـطين ولم يُسمح لها بالعودة إلى فلسطين بعد سبي بختنصّر المشهور .

---

(١) – سورة النساء – الآيات (١٥٦ – ١٥٨) .



٢ - نبوءة واقعة الصليب



سبق أن أوضحت في الفصل السابق وجود لجان مختصّة بنقد النصوص الإنجيليّة في العالم المسيحي مهمتها تعديل كلّ فقرة إنجيليّة على ضوء حصيلة ابحاثها ، إعداداً للكتاب المقدّس للطبعات الجديدة . وعلى اعتبار أنّ مهمّة هذه اللجان تدخل في باب النقد الذاتي للأناجيل .

ولاشكّ أنّ هذا شأن داخلي بالنسبة لهم ، ولاشأن لي بالتدخّل فيه ، لكنّ هذا لايمنع أن نضع هذه اللجان تجاه القرآن الكريم لعلّ هذا الطرح يفيدنا في النظر إلى المواضيع الإنجيليّة من زاوية نظرٍ جديدة مفيدة لهم في مضمار عمليّة نقدهم الذاتي للأناجيل . وماكتابي هذا ، وما أوردته فيه من معلومات إلاّ مجرّد محاولة جادّة على هذا الطريق .

أتناول شخصيّة المسيح الناصري ، كشخصيّة روحيّة ورسول ، فهو ولاشك يقع تحرّكه ضمن العناية الإلهيّة . فلا يُعقل أن يتعرّض في حياته إلى محنٍ كبيرة ، ولايكون الله عزّ وجلّ قد أطلعه سلفاً عمّا سيعرض له ويهيّئ له أسباب نجاته والمحافظة عليه لإتمام رسالته . وانطلقت من زاوية النظر هذه أبحث عمّا تنبئ به المسيح الناصري عن واقعة الصلب التي تعرّض لها في حياته . لعلّ مثل هذه النبوءات تعين الباحث وتهديه سبيل ماحدث يوم الواقعة .

والذي لاحظته هو أنّ المسيح تنبّأ حقّاً عمّا سيعرض له . وأنّ جميع الذين كتبوا هذه الأناجيل ، انتبهوا إلى هذه النبوءة وإلى علاقتها بحادثة صلب المسيح الناصري . وصرّحوا بما فهموه في مناسبات عديدة أيضاً . أي أنّ جميع كنائس العالم المسيحي تُسلّم بهذه الحقيقة وتنظر إليها من منظار أصحاب الأناجيل أنفسهم دون زيادة أو نقصان أو إعادة نظر وتدقيق فيما أوردوه في هذه الأناجيل .

فماهي تلك النبوءة ؟ وماهو مدى صحّة مافهمه منها الرجال الذين كتبوا هذه الأناجيل ؟ وهذا السؤال الجوهري دفعني إلى إعادة النظر في ذلك كباحث محايد ومن المنطلق الروحي . وسأعرض للقارئ الكريم جميع ماأورده أصحاب الأناجيل لأضعه في الصورة الحقيقيّة

إلى جانب أنّي سألفت نظر القارئ إلى النقاط التي انتبهت إليها ، ولم ينتبه إليها أحد من هؤلاء .

٢ - ١ - النبوءة فـي إنجيل متّى :

هـذه النبـوءة المتعلقـة بحادثـة صلـب المسيـح النـاصري أوردهـا إنجيـل متى مـن خــلال قولـه :(ودنـا لفريسيّون والصُّدقيـون يريـدون أن يحرجـوه ، فسـألوه أن يريهـم آيـة مـن السـماء – والمقصود أن يمنح الله المسيح آية تأتي من السـماء تـأييداً لـه في نظـر شعبه – فأجـابهم : عنـد الغروب تقولون صحوٌ ، لأن السماء حمراء كالنار . وعند الفجر : اليو م مطر ، لأنّ السماء حمراء مغبرّة . فمنظر السماء تُحسنون تفسيره ، وأمّا آيات الأوقات – ويشير بذلـك إلى علامـات زمـن بعثته – فلاتستطيعون لها تفسيراً . جيلٌ فاسدٌ فاسقٌ يطلب آية ، ولن تُعطى له سوى آية يونان . ثم تركهم ومضى .)(١)

ويتساءل القارئ ومن هو يونـان المذكـور في النبوءة ؟ أقـول إنّـه يونـس عليـه السـلام والوارد ذكره في القرآن الكريم . ويونان ذكرته التوراة المعاصرة ضمن سفرٍ ورد باسمه وهو سـفر يونان . والكنائس ربطت موضوعيّاً مابين ماورد في سفر يونان ومابين مضمون هذه النبـوءة . ففـي العهد الجديـد المطبـوع في بـيروت عـام ١٩٨٩ م ، ورد تحت عنـوان (سـفر يونـان في الإنجيـل) قولهم : (يتكلّم يسّوع على يونان ...أمام الذين لم يكونوا يصدّقونه ، والذيـن كـانوا يطلبـون منـه المعجزات والخوارق . أجاب يسوع بالرفض ، واستشهد بآية يونان ......) .

ففي سفر يونان ورد حرفيّاً : (فأعدّ الربّ حوتاً عظيماً لابتلاع يونان ، فكـان يونـان في جوف الحوت ثلاثة أيّام وثلاث ليالي . فصلّى يونان إلى الربّ إلهـه مـن جـوف الحـوت ..... فأمر الرب الحوت ، فقذف يونان إلى اليابسة ...).

إنّ يونان المذكور ، أورد القرآن الكريم ذكره مـن خـلال قولـه : ﴿ **فالتقمـه الحـوت وهو مليم * فلولا أنّه كان مـن المُسبّحين * للَبِثَ فـي بطنـه إلـى يوم يبعثـون * فنبذناه في العَراء وهو سقيم** ﴾ (٢)

---

(١) – إنجيل متّى – الإصحاح ٤/١٦ .

(٢) – سورة الصافّات – الآية (١٤٢) .

والسؤال الذي يواجه الباحث هو : أين سيكون وجه الشّبه بين حادثة يونان وبين حادثة الصّلب التي سيتعرّض لها المسيح في حياته ؟ فهل سيكون وجه الشبه في ناحية الدخول والخروج ؟ أم في المدّة الزمنيّة التي يمكثها المسيح في قبره ؟ أم الناحيتين معاً ؟ ذلك أنّ واقعة يونان ذات شقّين وليس شقّاً واحداً . ثمّ ماهو رأي صاحب إنجيل متّى في هذا الموضوع ؟

وتابعت مايُفصح عن وجهة نظر متّى في إنجيله . فهو يقول :(حينئذٍ أجاب قومٌ من الكتبة والفرّيسيّين قائلين يامعلّم نريد أن نرى منك آية . فأجابهم وقال لهم : جيلٌ شرّيرٌ فاسقٌ يلتمس آية ، ولن يُعطى سوى آية النبي يونان . فكما بقي يونان في بطن الحوت ثلاثة أيّام وثلاث ليال ، فكذلك يبقى ابن الإنسان في جوف الأرض ثلاثة أيّام وثلاث ليال ....) (١)

وهذا النصّ يطرح فيه متّى على لسان المسيح نفسه كما لاحظنا بما يُصرّح به في النص السابق الذي أوردناه . يصرّح أنّ وجه الشبه الشبه مابين واقعة يونان وواقعة الصليب مُتحدّد في المُدّة الزمنيّة التي سيمكثها المسيح في قبره ، وليس في حالة دخوله وخروجه وخروجه منه . بمعنى أنّ متّى راح يوجّهنا لفهم وجه الشبه مابين الواقعتين وجهةً مُعيّنة ومُحدّدة .

وألبس متّى نصّاً آخر لباس وجهة نظره هذه . حيث أورد على لسان المسيح قوله : (ثمّ أوصى تلاميذه بالأ يُخبروا أحداً بأنّه المسيح . وبدأ المسيح من ذلك الحين يُظهر لتلاميذه أنّه يجب عليه أن يذهب إلى أورشليم ويُعاني آلاماً شديدة من الشيوخ وعظماء الكهنة والكتبة ويقتل ويقوم في اليوم الثالث) (٢)

وكرّر متّى ذلك حينما قال :(وفيما هم يترددون في الجليل قال لهم يسّوع : إن ابن الانسان سيُسلّم إلى أيدي النّاس فيقتلونه ، وفي اليوم الثالث يقوم . فحزنوا حُزناً شديداً .)(٣)

وكرّر متّى ذلك أيضاً وبألفاظٍ قريبة من ألفاظ النص السابق : (.... ويسلّمونه إلى

(١) – إنجيل متّى – الإصحاح ١٢/٣٨.

(٢) – متّى الإصحاح ١٦/٢٠.

(٣) – إنجيل متّى – الإصحاح ١٧/٢٢.

الأمم لكي يهزؤوا به ويجلدوه ويصلبوه وفي اليوم الثالث يقوم .)(١)

فمن خلال هذا النصوص التي أوردناها تتبيّن وجهة نظر كاتب إنجيل متّى . فقد كان يعتقد أنّ وجه الشبه مابين واقعة يونان وواقعة المسيح هو في المدّة الزمنيّة التي يمكثها المسيح في قبره ، وليس دخوله فيه وخروجه منه حيّاً .

ونتابع مُجريات الأحداث على حسب ماأوردها إنجيل متّى . فإن ثبت منها أنّ المسيح الناصري في القبر الذي وضعوه فيه مدّة ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ ، فقد صدقت وجهة نظره . وإلاّ يكون قد أخطأ الرأي وجرّ قُرّاء إنجيله إلى الخطأ فيما اعتقدوه .

فإنجيل متّى يروي في إنجيله قوله : (وجاء عند المساء رجلٌ غنيٌّ من الرّامة إسمه يوسف ، وكان هو أيضاً قد تتلمذ ليسّوع . فذهب إلى بيلاطس وطلب عثمان يسّوع . فأمر بيلاطس بأن يُسلّم إليه .

فأخذ يوسف الجثمان ، ولفّه في كتّان خالص ووضعه في قبر له جديد كان قد حُفر في الصخر ، ثمّ دحرج حجراً كبيراً على باب القبر وانصرف ....وفي الغد أي بعد يوم التهيئة للسبت (٢) ذهب عظماء الكهنة والفرّيسيّون معاً إلى بيلاطس وقالوا له : ياسيّد تذكرنا أنّ ذاك المُضلّل قال ، إذ كان حيّاً : سأقوم بعد ثلاثة أيّام . فمُر بأن يُحفظ القبر إلى اليوم الثالث ، لئلاّ يأتي تلاميذه فيسرقوه ويقولوا للشعب : قام من بين الأموات . فيكون التضليل الآخر أسوأمن الأوّل . فقال لهم بيلاطس : عندكم حرس ، فاذهبوا واحفظوه كما ترون . فذهبوا وحفظوا القبر ، فختموا الحجر وأقاموا عليه حرساً . ولّما انقضى السبت وطلع فجر يوم الأحد ، جاءت مريم المجدليّة ومريم الأخرى تنظران القبر ، فإذا زلزال شديد قد حدث . ذلك بأنّ ملاك الربّ قد نزل من السّماء وجاء إلى الحجر فدحرجه وجلس عليه ، وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج . فارتعد الحرس خوفاً منه وصاروا كالأموات . فقال الملاك للمرأتين : لاتخافا أنتما ، أنا أعلم أنّكما تطلبان يّوع المصلوب ، إنّه ليس ههنا ، فقد قام كما قال . تعاليا فانظرا الموقع الذي

---

(١) – إنجيل متّى – الإصحاح ٢٠/١٩.

(٢) – يوم التهيئة : كانت هذه الكلمة تُطلق على يوم الجمعة ، وفيه كان اليهود يهيئون للاحتفال يوم السبت (الكتاب المقدّس حاشية ٣٤) .

كان قد وُضِع فيه . وأسرعا في الذهاب إلى تلاميذه وقولا لهم : إنّه قام من بين الأموات ، وهاهو ذا يتقدّمكم إلى الجليل ، فهناك ترونه ، هاإنّي قد بلغتكما .)(١)

والذي يدقّق هذا النص يعلم أنّ المسيح دُفِن مساء يوم الجمعة عند غياب الشمس . أي وقت انتهاء يوم الجمعة وابتداء ليلة السبت . على اعتبار أنّ اليوم في زمن المسيح كان يبدأمن غياب شمس اليوم الذي قبله . كما يعلم أنّ فجر يوم الأحد لم يكن للمسيح فيه في قبره من وجود . وبعمليّة حسابيّة صغيرة يتبيّن أنّ المدّة مابين مساء الجمعة ومابين فجر يوم الأحد لاتتجاوز نهاراً وليلتين . فأين هذه المدّة من مدّة ثلاثة أيّام وثلاث ليال التي مكثها يونان في بطن الحوت ، والتي اعتبرها إنجيل متّى وجه التشابه مابين واقعتي يونان والمسيح ؟

أقول : لقد حاول بعض المتعاطفين مع رأي إنجيل متّى وسواه أن يضيفوا إلى هذه المدّة ، أكثر مّما هي . فذهب الأب " روجي " إلى أنّه استنتج من هذا النص أنّ المسيح لم يبق في القبر إلاّ ثلاثة أيّام وليلتين مضيفاً قوله :(التعبير جامد ولايدلّ على شيء آخر إلاّ ثلاثة أيّام) . ثمّ إنّ المُعلّقين على الأناجيل يسكتون في غالب الأحيان أمام هذا الحدث على حسب ما يقوله " موريس بوكاي " في كتابه (دراسة الكتب المقدّسة) .

وأقول : مادامت وقائع أحداث واقعة الصليب لم يثبت منها بقاء المسيح في قبره ثلاثة أيّام وثلاث ليال . فقد ثبت من ذلك خطأ وجهة نظر كاتب إنجيل متّى يقيناً . وهذا الأمر يدفع الباحث ليأخذ بالشق الأوّل من واقعة يونان وليس بشقّها الثاني . أي لابد أن يكون المراد من النبوءة مشابهة حادثة صلب المسيح من حيث دخول يونان بطن الحوت حيّاً وخروجه منه حيّاً . إشارة إلى أنّ المسيح الناصري لن يتمكّن اليهود من إماتته على خشبة الصليب . بل سيدبّر الله الذي أرسله أسباب بقائه حيّاً وأسباب إنزاله عنه حيّاً ، خلافاً لمشيئة اليهود ومقصدهم الدني .

٢ -٢ - النبوءة في إنجيل مرقس :

وعدت إلى إنجيل مرقس أتفحّصه ، لعلّي أعثر فيه على نصّ مثيل للنبوءة المتعلّقة بحادثة

(١) - إنجيل متّى - الإصحاح ٥٧/٢٧ .

صلب المسيح . والذي لاحظته هو أنّ مرقس لم يورد نصّ هذه النبوءة في إنجيله . وهو على العكس من ذلك أورد قوله :(فاقبل الفرّيسون وأخذوا يجادلونه ، فطلبوا آيةً من السماء ليحرجوه – أي ليمتحنوه بسوء نيّة – فتنهّد من أعماق نفسه وقال : مابال هذا الجيل يطلب آية . ثم تركهم وعاد إلى السفينة ، فركبها وانصرف إلى الشاطئ المقابل .) (١)

وعلى سبيل المثال أورد مرقس في إنجيله قوله : (وبينما هم نازلون من الجبل ، أوصاهم ألاّ يخبروا أحداً بما رأوا ، إلاّ متى قام ابن الإنسان من بين الأموات ؟) (٢)

وكذلك أورد نصّاً آخر حيث قال :(... كان يعلّم تلاميذه فيقول لهم : إنّ ابن الإنسان سيُسلّم إلى أيدي الناس ، فيقتلونه ، وبعد قتله بثلاثة أيّام يقوم . فلم يفهموا هذا الكلام وخافوا أن يسألوه .) (٣)

إنّ هذا الاختلاف الملاحظ مابين المعلومات التي يقدمها إنجيل متّى وإنجيل مرقس حول ذكر نبوءة واقعة الصليب ، يدفع الباحث لينظر في مكانة هذا الإنجيل وزمن كتابته وبأقلام رجال الكنيسة أنفسهم .

وبالعودة إلى مقدمة الكتاب المقدّس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩ م ، وجدتهم يقولون بشأن هذا الإنجيل :(ويُقدّر أنّ هذا الكتاب – أي إنجيل مرقس – مُوّجه إلى غير اليهود في خارج فلسطين ، لِما يظهر فيه من الاهتمام بشرح العادات اليهوديّة (٣/٧-٤و١٤/١٢و٤٢/١٥) وترجمة الألفاظ الآراميّة ، والتشديد على أهميّة الإنجيل للوثنيين (٢٧/٧و١٠/١٢و١٧/١١و١٣/١٠) أمّا الإلحاح في ضرورة اتّباع يسّوع وحمل الصليب ، فذلك أمرٌ كان موافقاً موافقة خاصّة لحاضر جماعةٍ يهزّها اضطهاد نيرون . ولّما كان مرقس يُنبئ بخراب الهيكل ، من غير أن يُلمّح تلميحاً واضحاً إلى النحو الذي جرت عليه الأحداث ، فما من شيء يحول دون القول أنّ الإنجيل الثاني أُلّفَ بين السنة (٦٥) والسنة (٧٠) . أما صلة الكتاب بتعليم بطرس فهي أمرٌ عسير التحديد ...... وهناك سؤال لم يلق جواباً : كيف

(١) – إنجيل مرقس – الإصحاح الثامن ١١/٨ .

(٢) – إنجيل مرقس – الإصحاح التاسع ٩/٩ .

(٣) – إنجيل مرقس – الإصحاح ٣٠/٩.

كانت خاتمة الكتاب ؟ من المُسلّم به على العموم أنّ الخاتمة كما هي الآن (٦/٩-٢٠) قد أضيفت لتخفيف مافي نهاية كتاب مرقس من توقّف فجائي في الآية (٨) . ولكننا لن نعرف أبداً هل فُقدت خاتمة الكتاب الأصليّة ، أم هل رأى مرقس أنّ الإشارة إلى التراثيات في الجليل في الآية لاتكفي لاختتام روايته ؟...).(١)

ومادام هؤلاء النقّاد المسيحيّون قد اعترفوا بنقائص إنجيل مرقس . فإننا نتجاوز عن اختلافه مع إنجيل متّى في معلوماته . ونتابع ما أورده مرقس بشأن ما حدث للمسيح بعد إدخاله إلى القبر . وننظر :هل بقي في بطنه ثلاثة أيّام وثلاث ليال ياتُرى ؟

ونلاحظ أنّ كاتب إنجيل مرقس راح يروي في إنجيله ويقول :(وكان المساء قد أقبل ، ولّما كان ذلك اليوم يوم التهيئة ، الذي كان قبل السّبت ، جاء يوسف الرّامي ، وهو عضو وجيه في المجلس ، وكان هو أيضاً ينتظر ملكوت الله ، فحملته الجرأة على أن يدخل إلى بيلاطس ويطلب جثمان يسّوع . فتعجّب بيلاطس أن يكون قد مات .فدعا قائد المائة وسأله : هل مات منذ وقتٍ طويلٍ ؟ فلمّا تحقّق الخبر من القائد سمح بالجثّة ليوسف . فاشترى يوسف كتّاناً ، ثمّ أنزل يسّوع عن الصليب ، فلفّه في الكتّان ووضعه في قبرٍ حُفر في الصخر ، ثمّ دحرج حجراً على باب القبر . وكانت مريم المجدليّة ومريم أمّ يوسف تنظران أين وُضع . ولّما انقضى السبت اشترت مريم المجدليّة ومريم أمّ يعقوب وسالومة طيباً ليأتين فيطيّبنه . وعند فجر الأحد جئن إلى القبر وقد طلعت الشمس . وكان يقول بعضهنّ لبعض : مَن يدحرج لنا الحجر عن باب القبر ؟ فنظرن فرأين أنّ الحجر قد دُحرِجَ ، وكان كبيراً جدّاً . فدخلن القبر ، فأبصرن شابّاً جالساً عن اليمين ، عليه حلّة بيضاء ، فارتعبن . فقال لهنّ : لاترتعبن ، أنتنّ تطلبن يسّوع الناصري المصلوب . إنّه قام وليس ههنا ، وهذا هو المكان الذي كانوا قد وضعوه فيه . فاذهبن وقُلن لتلاميذه وبطرس : إنّه يتقدمكم إلى الجليل وهناك ترونه كما قال لكم . فخرجن من القبر وهربن لما أخذهنّ من الرهبة والدّهش ، ولم يقلن لأحدٍ شيئاً لأنّهنّ كنّ خائفات.)(٢)

ومن خلال تدقيقنا لهذا النص تبيّن أنّ المسيح الناصري دُفن مساء يوم الجمعة عندما حلّ المساء ، وأنّهم افتقدوه فجر الأحد ولم يجدوه في قبره . وإنّ المدّة مابين يوم الجمعة وفجر يوم الأحد

---

(١) - مقدمة الكتاب المقدّس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩ م - الصفحة (١٢٤).

(٢) - إنجيل مرقس - الإصحاح ٤٢/١٥ .

لاتتجاوز نهاراً وليلتين . بمعنى أنّه لايثبت من إنجيل مرقس بقاء المسيح في قبره مدّة ثلاثة أيّام وثلاث ليال . على نمط ما أفاده إنجيل متّى في هذا المجال . وتؤكّد هذه النتيجة المُستقاة من إنجيل مرقس أنّه لم يكن المقصود من نبوءة واقعة الصلب التشابه مع واقعة يونان في المدّة الزمنيّة التي مكثها يونان في بطن الحوت . بل قُصد بها تشابه الواقعتين في أمر دخول يونان بطن الحوت وخروجه منه حيّاً . إشارة إلى أنّ الله تعالى سيحفظ المسيح الناصري فلا يدعه يموت على خشبة الصليب . وذلك بتهيئة أسباب ووسائل نجاته ، وخلافاً لمشيئة اليهود ومقصدهم الدني.

٢ - ٣ - النبوءة في إنجيل لوقا :

وعدت إلى إنجيل لوقا أتفحّصه ومتقصّياً وجود نص النبوءة التي أوردها إنجيل متّى والمتعلّقة بواقعة الصليب . فتبيّن لي أنّ لوقا ذكر هذه النبوءة حيث قال :(واحتشدت الجموع فأخذ - يسّوع - يقول : إنّ هذا الجيل جيلٌ فاسدٌ يطلب آية ، ولن يعطى سوى آية يونان . فكما كان يونان آيةً لأهل نينوى ، فكذلك يكون ابن الإنسان آية لهذا الجيل)(١) وهذا النص ، وإن اختلف نوعاً ما مع نصّ إنجيل متّى في بعض التفاصيل ، إلاّ أنّه اتفق معه في جوهر محتواه . وبألفاظ أخرى نقول أنّ إنجيلي متّى ولوقا اتفقا على وجود نبوءة متعلّقة بحادثة صلب المسيح الناصري .

والسؤال الآن : هل اتفقت وجهة نظر لوقا مع وجهة نظر متّى في تفسيرهما لنقطة الشبه بين واقعتي يونان والمسيح ؟

وتابعت ما يفصح عن وجهة نظر لوقا في هذه الناحية . فلاحظت أنّه اتفق معه أيضاً فيها . فقد كتب يقول : (وقال - أي يسّوع - يجب على ابن الإنسان أن يعاني آلاماً شديدة ، وأنْ يرذله الشّيوخ وعظماء الكهنة والكتبة ، وأن يُقتل ويقوم في اليوم الثالث) (٢)

كذلك كتب يقول :(ومضى - أي يسّوع - بالاثني عشر فقال لهم : هانحن صاعدون إلى أورشليم ، فيتم جميع ماكتب الأنبياء في شأن ابن الإنسان ، فيُسلَّم إلى الوثنيّين ، فيسخرون منه ويشتمونه ويبصقون عليه ، ويجلدونه فيقتلونه ، وفي اليوم الثالث يقوم . فلم يفهموا شيئاً من ذلك

---

(١) - إنجيل لوقا - الإصحاح ٢٩/١١.

(٢) - إنجيل لوقا - الإصحاح ٢٢/٩.

وكان هذا الكلام مُغلقاً عليهم ، فلم يدركوا ما قيل .) (١)

من هذه النصوص ، يتبيّن لنا أنّ لوقا يُلبس وجهة نظره مضامينها . على شاكلة مافعله متّى في إنجيله . ووجهة نظره هي أنّ وجه الشبه بين واقعتي يونان والمسيح يتحقّق في المدّة الزمنيّة التي مكثها يونان في بطن الحوت ، وليس شيئاً آخر . لذلك أجد نفسي مضطراً لمتابعة مُجريات أحداث واقعة الصلب كما أوردها إنجيل لوقا ، لأتبيّن مدى صحّة وجهة نظر لوقا ، ومن ألفاظ إنجيله ،وليس من خارجه .

ذكر كاتب إنجيل لوقا ، يصف لنا مُجريات ماحدث بعد حادثة الصلب ، فقال :(وجاء رجلٌ اسمه يوسف ، وهو عضوٌ في المجلس ، وامرؤ صالح بارٌّ ، لم يوافقهم على قصدهم ولاعملهم ، وكان من الرّامة وهي مدينةٌ لليهود . وكان ينتظر ملكوت الله . فقصد إلى بيلاطس وطلب جثمان يسّوع . ثم أنزله عن الصليب ولفّه في كتّان ووضعه في قبر حفر في الصخر ، لم يكن قد وُضع فيه أحد . وكان اليوم يوم التهيئة . وقد بدت أضواء السّبت . وكان النسوة اللواتي جئن من الجليل مع يسّوع ، يتبعن يوسف ، فأبصرن القبر وكيف وُضع فيه جثمانه . ثمّ رجعن وأعددن طيباً وحنوطاً ، واسترحن راحة السبت على ما تقضي به الوصيّة (٢٣/ ٥٠) وعند فجر يوم الأحد جئن إلى القبر ، وهنّ يحملن الطيب الذي أعددنه . فوجدن الحجر قد دُحرج عن القبر . فدخلن ، فلم يجدن جثمان الرب يسّوع . وبينما هنّ في حيرة من ذلك ، إذ حضرهنّ رجلان عليهما ثيابٌ برّاقة ، فخفن ، ونكسْن وجوههنّ نحو الأرض ، فقالا لهنّ : لماذا تبحثن عن الحيّ بين الأموات ؟ إنّه ليس ههنا ، بل قام . اذكرن كيف كلّمكنّ إذ كان لايزال في الجليل . فقال : يجب على ابن الإنسان أن يُسلم إلى أيدي الخاطئين . ويُصلب ويقوم في اليوم الثالث . فذكرن كلامه ، ورجعن من القبر ، فأخبرن الأحد عشر والآخرين جميعاً بهذه الأمور كلّها ، وهنّ مريم المجدليّة وحنّة ومريم أمّ يعقوب ، وسائر النسوة اللواتي معهنّ اخبرت الرسل بتلك الأمور . فبدت لهم هذه الأموال أشبه بالهذيان ، ولم يصدّقوهنّ . غير أنّ بطرس قام فأسرع إلى القبر وانحنى ، فلم يرَ إلاّ اللفائف ، فانصرف إلى بيته مُتعجّباً مّما جرى) (٢)

---

(١) – إنجيل لوقا – الإصحاح ١٨/ ٣١.

(٢) – إنجيل لوقا – الإصحاح ٢٤/ ١–١٢.

وهذا النص يثبت أنّ المسيح لم يبق في قبره أكثر من يوم ونصف . فأين هذه المدّة ممّا ورد في النص يقول : (ويُصلب ويقوم في اليوم الثالث)؟

أقول : مادامت وقائع هذا النص لم يثبت منها بقاء المسيح في قبره ثلاثة أيّامٍ كاملة . فقد ثبت منه خطأ وجهة نظر كاتب إنجيل لوقا أيضاً يقينيّاً . وهذا الأمر يؤكّد أنّ المقصود من نبوءة واقعة الصليب ، لم تكن المدّة التي مكثها يونان في بطن الحوت ، بل دخول يونان بطن الحوت حيّاً ، وخروجه منه حيّاً وسالماً ليس إلاّ . وهذه إشارة من هذه النبوءة إلى أنّ المسيح الناصري لن يتمكّن اليهود من إماتته على خشبة الصليب . بل سيدبّر الله الذي ارسله أسباب نجاته وبقائه حيّاً لم يمسسه سوء ، وخلافاً لمشيئة اليهود ومقصدهم الدنيء .

فإذا راجعنا ماأورده نقّاد الأناجيل المسيحيّون على حسب ماورد في مقدمة إنجيل لوقا وجدناهم يقولون :(ويبدو أيضاً أنّ المؤلّف نفسه ينتمي إلى العالم الهلسني بلُغته وبعددٍ من الميّزات التي سبق ذكرها . وغالباً ماتبيّن للنقّاد عدم معرفته لجغرافيّة فلسطين ، ولكثيرٍ من عادات هذا البلد .) [1]

وقد حاول هؤلاء تحديد زمن كتابة إنجيل لوقا فقالوا : (إنّ النقّاد كثيراً مايعتمدون في تحديد زمن تأليف هذا الكتاب على المكان الذي يحتلّه خراب أورشليم .....ويبدو أنّ لوقا قد عاصر حصار المدينة وخرابها ، وعرف كيف قامت بهما جيوش طيطس سنة (٧٠) . فيكون الإنجيل لاحقاً لهذا التاريخ . فالنقّاد غالباً ما يُحدّدون تأليفه بين السنة ٨٠و٩٠ م . ومنهم من يجعلون له تاريخاً أقدم .) لذلك ، ومن خلال ماأوردناه ، لانعجب من وقوع اختلافات تفصيليّة مابين إنجيل لوقا وبين أناجيل متّى ومرقس .

٢ - ٤ - النبوءة في إنجيل يوحنّا :

وعُدت إلى إنجيل يوحنّا أتفحّصه ، لعلّي أعثر فيه على نصٍّ مثيل للنبوءة المتعلّقة بحادثة صلب المسيح الناصريّ . فلم أعثر على شيء من ذلك : لاإشارة ولا تصريحاً . وبذلك أضحى إنجيل يوحنّا في هذا المجال غريباً عن بقيّة الأناجيل ، فما معنى ذلك ؟

وراجعت ماكتبه النقّاد المسيحيّون حول إنجيل يوحنّا . ولاحظت قول " موريس بوكاي"

---

(١) - وردت تحت عنوان " بعض الشواهد على أصل الإنجيل الثالث " الصفحة ١٨٤.

:(وإننا لايجب أن نندهش عندما لانجد في إنجيل يوحنّا كلّ ماتحتوي عليه الروايات الأخرى . والترجمة المسكونيّة في الصفحة ٢٨٢ تذكر عدداً مُعيّناً من حالاتٍ من هذا النوع .) (١)

وراجعت مقدمة إنجيل يوحنّا التي احتوى عليها – الكتاب المقدّس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩ م – فقد ورد فيها بما يتعلّق بشخصيّة يوحنّا نفسه ، قولهم :(إن التقاليد الكنسيّة تسمّيه يوحنّا من القرن الثاني ، وتوحّد بينه وبين أحد ابني زبدي أحد الإثني عشر . هناك جزء من مؤلّف لبابيان مطران هيرابوليس فريجينا ، يرقى تاريخه إلى نحو السذنة (١٤٠م) ...)

كما أوردوا قولهم بحقّ إنجيل يوحنّا : (إن العمل يبدو مع كلّ ذلك ناقصاً . فبعض اللّحمات غير محكمة ، وتبدو بعض الفقرات غير متصلة بساق الكلام (٣/١٣-٢١ و٣١-٣٦ و١/١٥) يجري كلّ شيء وكأنّ المؤلّف لم يشعر قطّ بأنّه وصل إلى النهاية . وفي ذلك تعليلٌ لما في الفقرات من قلّة ترتيب . فمن الراجح أنّ الإنجيل كما هو مبيّن بين أيدينا ، أصدره بعض تلاميذ المؤلّف ، فأضافوا عليه الفصل (٢١) . ولاشكّ أنّهم أضافوا أيضاً بعض التعليق (مثل ٤/٢ وربّما ٤/١ و٤/٤٤ و ٧/٣٩ و١١/٢ و١٩/٣٥). وأمّا رواية المرأة الزانية (٧/٥٣ – ٨/١١) فهناك إجماعٌ على أنّها من مرجع مجهول ، فأُدخلت في زمنٍ لاحقٍ (وهي مع ذلك جزءٌ من "قانون " الكتاب المقدس)) .

ويتبيّن لنا من أقوال هؤلاء أنّ إنجيل يوحنّا كتبه كاتبه في زمنٍ متأخّر عن أزمنة كتابة بقيّة الأناجيل . وصاغه كاتبه صياغةً " تتّفق وتفكيره الشخصي " . حتّى وتدخّل تلاميذه فزادوا على الإنجيل وزادوا عليه أيضاً . لهذا السبب لم ينطلق إنجيل يوحنّا من منطلق النبوّة المتعلّقة بحادثة صلب المسيح الناصري .

وأنتقل الآن إلى ما أورده إنجيل يوحنّا حول مُجريات أمور مابعد تعليق المسيح الناصري على الصليب ، لألاحظ المدّة التي بقي فيها المسيح في بطن القبر .فهذه المعلومة تفيد عن طريق معرفة وجه الشبه القائم مابين واقعة يونان وواقعة صلب المسيح .

فقد أورد يوحنّا مايلي :(وبعد ذلك جاء يوسف الرّامي ، وكان تلميذاً ليسّوع ، يُخفي أمره خوفاً من اليهود . فسأل بيلاطس أن يأخذ جثمان يسّوع . فأذن له بيلاطس . فجاء وأخذ

(١) – كتاب دراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاي – الصفحة (٩٢)

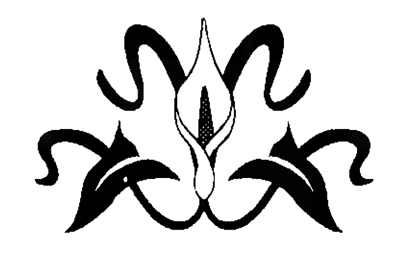
جثمانه . وجاء نيقوديموس أيضاً ، وهو الذي ذهب إلى يسّوع ليلاً من قبل ، وكان معه خليطٌ من المُرّ والعود مقداره نحو مائة درهم . فحملوا جثمان يسّوع ولفّوه بلفائف مع الطيب ، كما جرت العادة عند اليهود في دفن موتاهم . وكان في الموضع الذي طُلب فيه بستان ، وفي البستان قبر جديد لم يكن قد وُضع فيه أحد . وكان القبر قريباً ، فوضعوا فيه يسّوع بسبب تهيئة السبت عند اليهود ١٩/٣٨. وفي يوم الأحد جاءت مريم المجدليّة إلى القبر عند الفجر ، والظلام لم يزل مُخيّماً . فرأت الحجر قد أُزيل عن القبر . فأسرعت وجاءت إلى سمعان بطرس والتلميذ الاخر الذي أحبّه يسّوع ، وقالت لهما : أخذوا الربّ من القبر ولانعلم أين وضعوه . فخرج بطرس والتلميذ الأخر ، وذهبا إلى القبر يُسرعان السير معاً . ولكنّ التلميذ الآخر سبق بطرس ، فوصل قبله إلى القبر ، وانحنى ، فأبصر اللفائف ممدودة ، ولكنّه لم يدخل . ثمّ وصل سمعان بُطرس وكان يتبعه ، فدخل القبر ، فأبصر اللفائف ممدودة ، والمنديل الذي كان حول رأسه غير ممدود مع اللفائف ، بل على شكل طوقٍ خلافاً لها ، وكان كلّ ذلك في مكانه . حينئذٍ دخل أيضاً التلميذ الآخر وقد أوصل قبله إلى القبر ، فرآى وآمن . ذلك أنهما لم يكونا قد فهما ماورد في الكتاب من أنّه يجب أن يقوم من بين الأموات . ثم رجع التلميذان إلى بيتيهما.)(١)

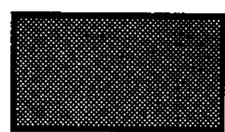
والذي يتبيّن من هذا النص هو أنّ المسيح الناصري لم يبق في قبره أكثر من يوم وليلة على أبعد تقدير . الأمر الذي يتفق مع مااستخلصناه من نصوص بقيّة الأناجيل . وثبت بالتالي أنّ شق المدّة الزمنيّة ثلاثة أيّام وثلاث ليال من حادثة يونان لم يكن المقصود بعينه من النبوءة كوجه شبه بينها وبين حادثة صلب المسيح . بل المقصود دخول المسيح قبره حيّاً وخروجه منه حيّاً ، على شاكلة يونان النبي الذي دخل بطن الحوت حيّاً وخرج منه حيّاً وسالماً .

أقول : المعلوم من تاريخ الرسالات السماويّة أنّ النبوءات السماويّة تكون دوماً مشعل نور يهتدي به المرسلون والمؤمنون . وهاأنّ نبوءة يونان النبي بين أيدي نُقّاد النصوص الإنجيليّين . فلا علاقة لها بموت أحدٍ على الإطلاق . بل ببقاء يونان قبل ابتلاع الحوت له وبعده . وخلال المدّة التي بقي فيها في جوف الحوت . فمن ناحية دوام الحياة هذه تنبع أهميّة نبوءة يونان النبي ، وليس من شيءٍ آخر . خصوصاً وأنّه قد ثبت من النصوص الإنجيليّة أنّ المدّة مابين رؤية المسيح الناصري وهم يدخلونه القبر ، وبين إطلالتهم على القبر ثانيةً لم تتجاوز يوماً ونصف . وهذه المدّة ليست هي المدّة التي بقيها المسيح في القبر بل هي مدّة بدايةٍ ونهايةٍ لزيارة قبره ، وإلاّ فهو لابدّ أن يكون قد

غادر قبره خلال ساعات فقط من إدخاله إليه . لأنّه كان مُخدّراً كما سأثبت ذلك من الأناجيل نفسها في الفصول القادمة إنشاء ا لله العزيز .

وهكذا فإنّ نبوءة يونان النبيّ تتوافق مع الطرح القرآني ، وتشير إلى أنّ المسيح الناصري لم يمت على الصليب . وأنّ اعتقاد اليهود والنصارى موته عليه كان ظنيّاً ، وإلاّ فماقتلوه يقيناً ، وكان نبيّاً صادقاً ومن المُقربين .





٣- واقعة الصلب من الأناجيل



لقد ثبت لنا في الفصل الثاني أن نبوءة (جيل فاسق شرير يطلب آية.. الخ) لم يكن المقصود بها حدوث مشابهة بين واقعة يونان النبي وواقعة صلب المسيح الناصري في ناحية المُدّة الزمنية التي مكثها يونان في بطن الحوت. بل كان المقصود منها مشابهة المسيح الناصري ليونان النبي من حيث دخوله بطن الحوت وخروجه منه حيّاً. أي أنّ المسيح الناصري سيدخل القبر الذي وضعوه فيه حيّاً وسيخرج منه حيّاً كما دخل.

ثبت لنا ذلك، وهذا الأمر توافق مع الطّرح القرآني الذي نبّه إلى نفس هذه الحقيقة التي أثبتناها. لذلك فإنّ من واجبنا كباحثين أن نعود ندقق تفاصيل حادثة الصّلب من الأناجيل الأربعة (متى، مرقس، لوقا ويوحنا)، وننظر هل أنّ هذه الأناجيل قدّمت من البراهين مايكفي للجزم بموت المسيح الناصري على الصّليب؟

٣- ١ - الواقعة في إنجيل متّى ٢٧/٢٧

اعترف المسيحيون في المدخل إلى انجيل متّى أنّ تاريخ كتابته تعود إلى ثمانين أو تسعين عاماً بعد حادثة الصّلب. وذلك على الصفحة (٣٥) حيث قالوا: (فالكثير من المؤلفين يجعلون تاريخ الانجيل الأول - إنجيل متّى - بين السّنة (٨٠) والسنة (٩٠)م، وربّما قبلها بقليل. ولايمكن الوصول إلى يقين تام في هذا الأمر). ومن خلال هذا الاعتراف نُدرك أنّ مؤلّف إنجيل متّى استقى معلومات إنجيله، مّما وصله من روايات تناقلتها الألسن شفهيّاً ثماني أو تسع عقود زمنيّة. ويستحيل أن تكون هذه الروايات الشفهيّة حاملة للحقائق دون تدخُل من شخصيات رُواتها: زيادة أو نُقصاناً هذا إضافة إلى دور مؤلف إنجيل متّى ككاتب قصصي. وهذا الأمر يقتضي من الباحث مناقشة النصوص بأسلوبٍ منطقي وعلمي.

ولنستمع الآن إلى مارواه متّى في إنجيله حول واقعة الصّليب، فقد كتب يقـول: (فمضى جنود الحاكم بيسّوع إلى دار الحاكم، وجمعوا عليه الكتيبة كلّها، فجـرّدوه مـن ثيابـه وجعلـوا عليـه رداءً قُرمزيّاً، وضفروا إكليلا من شوك ووضعوه على رأسه، وجعلوا في يمينه قصبة. ثم جثوا أمامـه وسخروا منه، فقالوا: "السلام عليـك يـاملك اليهـود". وبصقوا عليـه، وأخـذوا القصبـة وجعلـوا يضربونه بها على رأسه. وبعدما سخروا منه نزعوا عنـه الـرّداء، وألبسـوه ثيابـه وسـاقوه ليُصلـب. وبينما هم خارجون صادفوا رجـلاً قيرينيّـاً اسمـه سمعـان، فسـخّروه أن يحمـل صليـب يسـوع. ولّما وصلوا إلى المكان الذي يُقال له جلجثه أي مكان الجُمجمة، ناولوه خمراً ممزوجة بمـرارة ليشـربها(١) فذاقها وأبى أن يشربها. فصلبـوه، ثـم اقتسـموا ثيابـه مُقـترعين عليهـا، وجلسـوا هنـاك يحرسـونه. ووضعوا فوق رأسه عِلّة الحكم عليه كُتب فيها "هذا يسوع ملك اليهـود"، ثـم صُلـب معـه لصّـان أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال. وكان المارّة يشـتمونه، وهـم يهـزّون رؤوسـهم ويقولـون "يأيها الذي ينقض الهيكل ويبنيه في ثلاثة أيام خلّص نفسك إنْ كنت ابن ا لله فانزل عن الصليب". وكذلك كان عُظماء الكهنة يسـخرون فيقولـون مـع الكتبـة والشّـيوخ "خلّـص غـيره ولايقـدر أنْ يُخلّص نفسه هو ملك اسرائيل فلينزل الآن عن الصّليب فنؤمن به. اتّكل على ا لله فليُنقذه الآن إنْ كان راضياً عنه، فقد قال "أنا ابن ا لله". وكان اللصّان المصلوبان معه هما أيضاً يُعيّرانه مثـل ذلـك. وخيّم الظلام على الأرض كلها من الظهر إلى الساعة الثالثة (٢) ونحو الساعة الثالثـة صـرخ يسـوع صرخة شديدة قال (إيلي إيلي لَمَا شـبقتاني أي إلهـي إلهـي لمـاذا تركتـني؟ فسـمع بعـض الحـاضرين هناك، فقالوا: إنّه يدعو إيليّا. فأسرع واحداً منهم لوقته وأخذ إسفنجة فبللها بـالخلّ (٣) وجعلهـا على طرف قصبة وسقاه فقال سائر الحاضرين: دعنا ننظر هل يـأتي إيليـا فيُخلصّـه. وصـرخ أيضـا يسوع صرخة شديدة ولفظ الروح(٤).)(٥)

---

(١) إذا أوشك إنسان أن يُعدم جاز له أن يتناول حبّة بخوري كأس خمر ليفقد وعيه.. وكانت كرائم النّسـاء في أورشليم تقـوم بهذه المُهمة (مقاله يهودية في مجلس اليهود ٤٣).

(٢) – الترجمة اللفظيّة من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة.

(٣) – الخل شراب حاد معروف عند الجنود الرومانيين

(٤) - لا الروح القدس ولا الروح الإلهي المقيم في الإنسان بالمعنى اليوناني الذي يميّزه عن الجسد المادي، بل روح الحياة بمعنى العهد القديم.

(٥) – إنجيل متى ٢٧ / ٢٧ - ٥.

تعليقنا على هذه الرواية :

أولاً ـ في هذه الطبعة من انجيل متّى تحريف واضح لالُبس فيه، نسبة إلى الطبعات القديمة للأناجيل، ففي الطبعات القديمة المنتشرة في كل المكتبات المسيحية المخصّصة لبيع الكتاب المقدس، ذُكر أنّهم (ناولوه خلاً ممزوجة بمرارة ليشربها فذاقها وأبى أن يشربها فصلبوه..). على حين ورد في طبعة اليَسوعيين هذه المطبوعة في بيروت عام ١٩٨٩ : (ناولوه خمراً ممزوجة بمرارة..) ولاشكّ أنه من غير المعقول أن يخطيء مُترجم الانجيل الذي ترجمه من اليونانية إلى العربية، أن يخطيء فلا يفرّق بين الخلّ والخمر. ثم إنّه بفرض أنّ المترجم كان أخطأ قديماً وجاؤوا يصحّحون ترجمته. فقد كان من واجبهم الإشارة إلى هذا التصحيح. لا أن يكتبوا في الحاشية : (إذا أوشك إنسانٌ أن يُعدم جاز له أن يتناول حبّة بخور في كأس خمر ليفقد وعيه.. وكانت كرائم النّساء في أورشليم تقوم بهذه المُهمّة). فلو صحّ أن الذي قدّموه للمسيح الناصري ليشرب هو حبّة بخور في كأس خمر، لكان ذكر صاحب إنجيل متّى أنّ كرائم النساء جئن وقدّمن ليسوع حبة بخور في كأس خمر، فذاقها وأبى أن يشربها، لكنّ صاحب هذا الانجيل لم يأت في روايته على هذا الأمر.

أضف إلى ذلك أن قولهم (جاز له أن يتناول) يشير إلى الذي يبادر فيطلب و هو المحكوم عليه بالصّلب، فلا يُقدّم له دون أن يطلب الشّرب، والملاحظ أن المسيح لم يطلب أن يشرب، بل على العكس فهو ذاق ورفض أن يشرب، فهل فضّل تحمُّل الآلام على أن يفقد وعيه؟ وخصوصاً إذا كان يعرف أنّ خليط البخور والخمر طعمه مُرّ؟

والذي أراه هو أنّ رجال الكنائس عمدوا إلى هذا التحريف. ليدفعوا دليلاً يُقدّمه الباحثون، وهو أن مزيج الخلّ والمرارة الذي ورد ذكره في واقعه الصّلب، لايزيد عن مخدّرٍ كان يستعمله الأطباء الجرّاحون قديماً لتخدير المريض الذي يريدون أن يجروا له عمليّةً جراحيّة. ومادامو قد سقوه مُخدّراً، فقد كان وراء هذه الخطوة مؤامرة وخطّة لإنقاذ المسيح الناصري من محنته ـ فيتخدّر ويبدو لأعين النّاس وكأنّه قد مات، فلا يكسرون عظامه حين إنزاله من فوق خَشبة الصّليب. وإنّي سأعمد في الوقت المُناسب إلى القاء الضوء على هذه النّاحية بالذات.

ثانياً ـ وفي هذه الطبعة نفسها، لاحظت وجود تحريفٍ آخر في النّص، وهو تحريف واضح لالُبس

فيه أيضاً. فعلى حين أوردت الطبعات القديمة : (ومن الساعة السادسة كانت ظُلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة. ونحو السّاعة التاسعة صرخ يسروع بصوتٍ عظيم..) لاحظت أن طبعة اليسوعيّين هذه أ وردت في مقابل ذلك : (وخيّم الظّلام على الأرض كلّها من الظهر إلى الساعة الثالثة. ونحو الساعة الثالثة صرخ يسوع صرخةً شديدةً قال..). ولاشك أنّه من غير المعقول أن يخطىء الذي ترجم الانجيل عن اليونانية مثل هذا الخطأ الفاحش، فيترجم (من الساعة السادسة.. إلى الساعة التاسعة..) عوضاً عن (من الظهر إلى الساعة الثالثة).

والمدهش أن يعترف اليسوعيّون بتحريفهم المذكور في حاشية النّص. فقد كتبوا هناك بالحرف الواحد : (الترجمة اللفظية من الساعة السّادسة إلى الساعة التاسعة). لكنّهم لم يُعللّوا تحريفهم تعليلاً مقبولاً ومنطقيّاً.

والذي أراه هو أنّ رجال الكنائس عمدوا إلى هذا التّحريف، لعلّهم يزيدوا المدّة التي بقيها المسيح في القبر الذي وضعوه فيه ـ لكنّه بالرغم من هذا التحريف فلا تكتمل مدّة (ثلاثة أيام وثلاث ليالي) بل يظلّ يلزمهم نصف يوم على أقل تقدير ليثبت حدوث وجه شبهٍ مابين واقعة يونان النبي وواقعة الصّليب، وذلك وفقاً لنبوءة (جيل فاسق شرير يطلب آية..). النبوءة التي سبق أن تكلّمت عنها بفصل خاص أفردته لها من قبل. حيث أثبتّ هناك أنّ وجه الشبّه بينهما سيتحقّق من حيث دخول يونان النبي بطن الحوت حيّاً وخروجه منه حيّاً. وليس المقصود التشابه في المدّة المذكورة.

فهذان تحريفان أقدم عليهما رجال الكنائس اليسوعيون في نصّ واقعة صلب المسيح عليه السّلام. ولايليق أن يصدر عنهم مثل هذا التحريف المفضوخ.

ثالثاً ـ والذي لاحظته هو أن مؤلف إنجيل متّى أورد في نصّ هذه الواقعة جملة : (صرخ يسوع صرخة شديدة قال إلهي إلهي لماذا تركتني؟). والمعلوم من مُعطيات علم النّفس أنّ الإنسان في أدق حالات حرجه وإضراره يُنادي أقرب الناس إليه وأبرزهم قوّه وحنانا عليه. والملحد وقد أقبل على الغرق وسط البحر الهائج ، ينسى إلحاده ويستغيث بربّه . والطفل في حالات حرجه وخوفه ينادي أمّه أو أباه، وعليه فقد كان منطقيّاً وطبيعياً جدّاً أن يصرخ المسيح الناصري وهو على الصّليب صرخته الشديدة ويقول (أبي أبي لماذا تركتني؟) لا أن يستغيب ويقول (إلهي إلهي لماذا تركتني؟).

ومادام المسيح النّاصري لم يستعمل هنا كلمة (أبي) في موقفه البالغ الخطورة، فقد ثبت من ذلك أنّ بُنُوّة المسيح لله كانت مجازية، ولم تكن بُنُوّةً حقيقية ، أي أنه كان نبيّاً وبمنزلة الإبن من ربّه عز وجل وهذا الأمر لايتنافى والطرح القرآني.

رابعاً - لايكفي الإدعاء في أيّة قضيّةٍ من القضايا، مالم يُدّعم المُدّعي إدعاءه بأدلّة ثبوتية وأدلة وبراهين. وإني مضطر هنا لأن أقول : إنّ نصّ الرواية الذي نقلناه من إنجيل متّى لايحمل ضمنيّاً أيّ بيّنةٍ أو دليل يثبت منه موت المسيح الناصري على الصّليب. والذي يضعف هذا النص أنه كتبه متّى مابين ثمانين إلى تسعين عاماً بعد حادثة الصلب على حسب ماورد في المدخل إلى هذا الانجيل. وقد تلّقى متّى الأخبار التي حاكها على هيئة قصّة وسميت بإنجيل متّى، تلقاها عن رواة وصلتهم جيلاً بعد جيل بطريق الرواية الشفهية، وليس عن طريقٍ آخر. ولم يأت متّى على أسماء الرواة ولا أبدى أيّ سندٍ على أهليتّهم للرواية دون أيّ تحرير.

ثم إنه من حيث الشكل لم يحدّد متّى ساعة تنفيذ عملية الصّلب لأخذها بعين الاعتبار. والأرجح استنباطاً أنها حدثت قبل الساعة السادسة مساءً بقليل. كذلك لم يحدّد متّى ساعة إنزال المسيح من على الصّليب، ولا من قام بإنزاله ولا ماحدث ساعة إنزاله، والذي أرجّحه استنباطاً هو أن يكونوا قد أنزلوه قبيل الساعة التاسعة (على حسب الترجمة الحرفية)، أي ساعة انتهاء يوم الجمعة (يوم التهّيئة) وبدء ليل يوم السّبت. وقبيل الساعة التاسعة وقبلها بقليل صاح المسيح (إلهي إلهي لماذا تركتني؟) وعندما سارع أحد الحاضرين، وبلّل اسفنجة بالخلّ وجعلها على طرف قصبة وسقاه. فصاح المسيح بعدها صيحة أخرى، ووفقا لما تقوله الطّبعات السابقة للأناجيل فهو (أسلم الروح)، أما الطبعة الجديدة فتقول (ولفظ الروح)، أي أنّ المسيح عندها فقد روح الحياة.

هذا من حيث الشكل، وأما من حيث المضمون ترد اعتراضات كثيرة واستفهامات:

فالاعتراض الأول : والذي يستحيل أن يُجاب عليه، هو أنّه لايُسلّم العقل ولا العلم أن يموت المسيح وحده من دون اللّصين اللذين صُلبا معه، وفي هذه المُدّة الزمنية القصيرة التي لم تتجاوز ثلاث أو أربع ساعات من تعليقه على الصّليب.

والاعتراض الثاني : هو أنّ المسيح النّاصري، ووفقاً لمعطيات سباق حادثة الصّلب لم يبد أنّه كان مريضاً بل كان سليماً مُعافى ويتنقلّ من مكان إلى مكان ، الأمر الذي يُدعّم الاعتراض الأول ويزيده وجاهة ولمعاناً.

والاعتراض الثالث : الذي يؤخذ على مضمون واقعة الصّلب، على حسب ماأوردها (متّى) هو : مامعنى ومادلالة أن يصيح المسيح بصوتٍ مسموع، على حين لم يُسمع من اللّصين أنّهما يصيحان حتى تلك اللحظة. فهل يُحمل الأمر على ضيق صدر المسيح، وعدم اخشيشانه وضعف جسمه؟ فإن كان الأمر كذلك فهذا الأمر يتنافى والقانون الإلهي فهو يصطفي رسله من بين أولي العزم. وبما أننا نؤمن جميعاً بصدق المسيح الناصري في دعوته، فلا بُدّ أن كان لصيحته دلالة أخرى، وهو الأرجح وسأعمد إلى شرح هذه الدلالة عندما أجمع الدلائل والقرائن لأثبت عدم موت المسيح الناصري على الصليب.

والاعتراض الرابع : الذي نأخذه على رواية (متّى) هو أن نسأل : مادلالة أن يقوم أحد الحاضرين فيسقي المسيح خلاً، ولايسقيه ماءً؟ فلم يسبق أن ورد في جميع انجيل متّى أن لّمح إلى أنّ المسيح اعتاد على شُرب الخلّ. ثم نُعاود فنسأل : كيف ومن أين تأتّى لهذا السّاقي إحضار الخلّ بهذه السّرعة الواضحة المعالم؟ إلاّ أن يكون قد احضر الخلّ معه سلفاً ولغاية في نفسه.

ثم أين حراسة المصلوبين، ولِمَ لَمْ يعترض أحدٌ منهم على خطوة هذا الرّجل الذي أقدم على سقاية المسيح خلاً دون إنذار ولا استئذان؟ وفي هذه الحال فلا بدّ أن كان لسكوت جُند الحراسة أمرٌ مدّبرٌ من قبل، لذلك لم يعترضوا عليه.

والاعتراض الخامس : ومادام انجيل متّى يروي أنّه في الطريق إلى صلب المسيح الناصري قدموا له مزيجاً من خلّ ومرارة حسب الطبعات القديمة فذاق المسيح هذا المزيج ولم يرد أن يشرب. فهذه قرينة على أنّ الذي بلّل الاسفنجة بالخل ورفعها على طرف قصبة وسقى المسيح بعد أن صاح، لابُدّ أن يكون هذا الإنسان هو الذي كان يحمل هذا المزيج من الخلّ والمرارة، وأن مازعمه (متّى) خلاً لم يكن في حقيقته إلا ذاك المزيج من الخلّ والمرارة نفسه. هذا المزيج الذي كان الأطباء الجراحون يستعملونه في ذاك التاريخ كمّادة تخدير للمرضى الذين يُريدون إجراء عملية جراحية لهم.

وإلا فلا يُعقل أن يحمل أحد المتفرجين مزيجاً من خمرٍ ومرارة، وآخر خلاً وحسب، ولايقوم صاحب هذا المزيج بالإقدام على سقاية المسيح وهو يصيح، تخفيفاً له من آلامه.

فهذه الاعتراضات والمطاعن تؤخذ على نصّ واقعة الصّلب كما رواها صاحب إنجيل متّى.

وهي اعتراضات وجيهة في نظري، فلا بدّ من الإجابة عنها إجابات معقولة ومقبولة.
وإلاّ فإنّ مجرّد إدعاء الرّاوي (متّى) أن المسيح الناصري (لفظ الرّوح) بعد صيحتين، ولم يمض على تعليقه على خشبة الصليب ساعات معدودات، فإن إدعاءه هـذا لايكفي ليُقبل حقوقيّاً وقضائياً.
ولابُدّ أن يكون الأمر خلاف ذلك والتبس علـى الذيـن ينظرون إلى الأمـور مـن ظواهرهـا، وغير مُطلّعين على ماكان يُدبّر في الخفاء لإنقـاذ المسيح النـاصريّ مـن محنته. وهـو الأمر الـذي سأجمع خيوطه في فصلٍ خاص به.

٣ - ٢ - واقعة الصّلب في إنجيل مرقس

واعترف المسيحيّون في المدخل إلى إنجيل مرقس أنّ تاريخ كتابتـه تعـود إلى (٦٥ ــ ٧٠) سنة بعد حادثة الصلب. حيث قالوا : (ولّما كان مرقـس يُنبـىء بخراب الهيكـل مـن غـير أن يُلّمـح تلميحاً واضحاً إلى النحو الذي جرت عليه الأحداث. فما من شيء يحول دون القول : إنّ الإنجيل الثاني ـ إنجيل مرقس ـ أُلّف بين الّسنه (٦٥ والسنة ٧٠).)(١) فمن خلال اعـترافهم هـذا نُـدرك أن مؤلف إنجيل مرقس استقى معلومات انجيله، مّما وصله من روايات تناقلتها الألسن بصـورةٍ شـفهيّة ستّ أو سبع عقودٍ زمنيّة. الأمر الذي يجعل هذه الرّواية عاجزة عن حمـل الحقـائق دون تدخـل مـن رواتها زيادة ونُقصانا. هذا إضافة إلى دور مؤلف إنجيل مرقس نفسه ككاتب قصصي. وهذا الأمر يستدعي منّا مناقشة نصوص إنجيله بأسلوب منطقي وعلمي.

ولنستمع إلى مارواه مرقس في إنجيله حول واقعة الصلـب ، فقـد كتـب يقـول : (فسـاقه الجنود إلى داخل الـدّار، دار الحـاكم، ودعـوا الكتيبـة كُلّهـا، وألبسـوه أرجوانـاً، وكلّلوه بـإكليل ضفروه من الشّوك، وأخذوا يُحيّونه، فيقولون : السّلام عليـك يـاملك اليهـود. ويضربونـه بقصبةٍ علـى رأسـه، ويبصقـون عليـه، ويجثـون لـه سـاجدين. وبعدمـا سـخروا منـه، نزعـوا عنـه الأرجوان، وألبسوه ثيابه وخرجوا به ليصلبوه. وسخروا لحمل صليبه أحد المارّة سمعان القريـنيّ أبـا الاسكندر وروفس ، وكان آتياً من الرّيف. وسـاروا بـه إلى المكـان المعروف بالجلجُثـة، أي مكـان الجُمجمة.

---

(١) – إنجيل مرقس – الصفحة (١٢٤).

وقدّموا إليه خمراً ممزوجة بُمرٍّ فلم يتناولها (١) ثم صلبوه واقتسموا ثيابه مُقترعين عليها ، ليعرفوا ما يأخذ كلٌّ منهم . وكانت الساعة التاسعة (٢) حين صلبوه وكُتب في عنوان علّة الحكُم عليه : "ملك اليهود"، وصلبوا معه لصّين أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله. وكان المارّة يشتمونه وهم يهزّون رؤوسهم ويقولون: "ياأيّها الذي ينقض الهيكل ويَبْنيه في ثلاثة أيّام" خلّص نفسك فانزل عن الصّليب. وكذلك كان عظماء الكهنة والكتبة يسخرون، فيقول بعضهم لبعض : خلّص غيره من النّاس، ولايقدر أن يُخلّص نفسه. فلينزل الآن المسيح ملك اسرائيل عن الصليب ، لنرى ونؤمن. وكان اللذان صُلبا معه هما أيضاً يُعيّرانه ـ ولّما كان الظُهر خيّم الظلام على الأرض كُلّها حتى الساعة الثالثة (٣) وفي السّاعة الثالثة صرخ يسوع صرخة شديدة ، قال : "أُلُوي أُلُوي لَمّا شَبقتاني". أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟ فسمع بعض الحاضرين، فقالوا : "ها إنّه يدعو إيليّا". فأسرع بعضهم إلى إسفنجة وبلّلها بالخلّ، وجعلها على طرف قصبة وسقاه وهو يقول : دعونا ننظُر هل يأتي إيليا منزله. وصرخ يسوع صرخة شديدة، ولفظ الرّوح..)(٤)

تعليقنا على هذه الرّواية :

أولاً ـ وفي هذه الطبعة من إنجيل مرقس لاحظت أكثر من تحريفٍ للنّصوص الواردة في الطبعات القديمة للكتاب المقدس. فعلى حين أوردت الطبعات القديمة وبالحرف الواحد : (وكانت السّاعة الثالثة فصلبوه). فقد ورد في الطبعة التي صدرت في بيروت عام ١٩٨٩ والتي اقتبسنا منها واقعة صلب المسيح كما يرويها مرقس ، ورد : (وكانت الساعة التاسعة حين صلبوه.).

وقد اعترفوا بحاشية (١٨) أنّ (الساعة الثالثة بحسب التوقيت القديم). وقد كان من واجبهم حين أجروا هذا التّحريف وهذا الاعتراف أن يُعطونا فكرة عن التوقيت القديم ومعادلته بالتّوقيت الجديد. وإلاّ عُدّ ماأجروه من تبديل، تحريف واضح لالَبس فيه.

(١) – عادة يهودية تستند إلى مثل ٣١/٦. كانوا يقدّمون للمحكوم عليهم بلوت هذا الشراب المسكّن راجع متى ٢٧ / ٣٤ [حاشية ١٦]

(٢) – "الساعة التاسعة" الترجمة اللفظية : "الساعة الثالثة" بحسب التوقيت القديم . وقد يكون أنّ ذكر الظلام عند الظهر يشير إلى الحزن على الإبن الوحيد..[حاشية الكتاب المقدس ١٨]

(٣) – الترجمة اللفظيّة : الساعة السادسة .. الساعة التاسعة بحسب التوقيت القديم.

(٤) – إنجيل مرقس – الاصحاح ١٥ / ١٦ ـ ٣٧.

ثانياً ـ وقد حذفوا في الطبعة الجديدة جملة كاملة كانت واردة في الطّبعات القديمة. ففي القديمة ورد : (وصلبوا معه لصيّن واحداً عن يمينه وآخر عن يساره. فتمّ الكتاب القائل : وأُحصي مع أثمة) أما الطبعه الجديدة المشار إليها، فقد حذفوا منها جملة : (فتمّ الكتاب القائل وأُحصي مع أثمة). ولم يعلّلوا سبب هذا الحذف ولو بكلمة واحدة. ومعنى هذا أنّهم حرّفوا الكلم عن مواضعه.

ثالثاً ـ ولاحظت أنّهم كرّروا مافعلوه في رواية إنجيل متّى من تحريف. فبينما ورد في الطبعات القديمة : (ولّما كانت السّاعة السّادسة، كانت ظلمة على الأرض كُلّها إلى الساعة التاسعة. وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم..). فقد ورد في الطبعة الجديدة المشار إليها : (ولّما كان الظهر خيّم الظّلام على الأرض كلّها حتى الساعة الثالثة (١) وفي الساعة الثالثة صرخ يسوع صرخة شديدة قال..).

ولاشكّ أنّ هذا الاعتراف والتنويه لايكفيان. بل كان من واجبهم اعطاءنا فكرة عن التوقيت القديم ومعادلته بالجديد، وإلاّ يُعدّ هذا الأمر من باب التحريف الواضح الجلّي.

رابعاً ـ ولاحظت تحريفاً رابعاً أحدثوه. فبينما ورد في الطّبعات القديمة : (فركض واحدٌ وملأ اسفنجة خلاًّ، وجعلها على قصبةٍ وسقاه قائلاً : اتركوا لِنَرَ هل يأتي إيليا لُنزله..) فقد استبدلوا هذا النّص بمايلي : (فأسرع بعضهم إلى اسفنجة..) هذا اختلاف كان لابُدّ من تقديم تعليلٍ مقبولٍ يؤيّده وإلاّ فلا نظلمهم إذا اعتبرنا ذلك تحريفاً.

خامساً ـ وأكرّر ملاحظتي الثالثة التي أوردتها على رواية إنجيل متى من قبل هنا على رواية إنجيل مرقس وأقول : كان يقتضي وفقاً لُمعطيات علم النّفس أن ينادي المسيح الناصري وهو على الصليب (أبي أبي لماذا تركتني؟) وليس أن ينادي : (إلهي إلهي لماذا تركتني؟). ذلك أنّ الإنسان في أدقّ حالات حرجه واضطراره، ينادي أقرب الناس إليه وابرزهم قوّة وحناناً عليه.

وقد ثبت من خلال صُراخ المسيح (إلهي إلهي لماذا تركتني؟) أن المسيح الناصري لم يكن إبناً حقيقياً لله عز وجل، وأنّه على حسب الطرح القرآني كان نبيّاً وبمنزلة الإبن مجازياً.

---

(١) ـ الترجمة اللفظية : الساعة السادسة.. الساعة التاسعة بحسب التوقيت القديم. قد يكون أن ذكر الظلام عند الظهر يشير إلى الحزن على الإبن الوحيد..) [حاشية الكتاب المقدس ٢٥]

سادساً ـ وأكرّر هنا وأقول : لايكفي الإدعاء بأمرٍ في أيّة قضيّةٍ من القضايا، مالم يُدعَم المُدّعي إدّعاءه بأدّلةٍ ثبوتيةٍ وبراهين. وهذا النّص من إنجيل مرقس لايحمل ضمنيّاً أي بيّنةٍ أو دليلٍ يثبت منه موت المسيح النّاصري على الصليب، ويزيد النصّ ضعفاً ووهناً أنّ مرقس كتب إنجيله بعد ست إلى سبع عقودٍ زمنيّة من حادثة الصّلب نفسها. ومُتلقّياً أخبار قصّته عن رواةٍ وصلتهم الأخبار هذه جيلاً بعد جيل، وبطريق الرواية الشفهيّة، وليس تحريراً، ثم إنّ مرقس لم يذكر لنا اسم أيّ راوٍ من رواته.

ومن حيث الشكل، وإنْ لاحظنا أنّ مر قس حدّد الساعة الثالثة، ساعة تعليق المسيح الناصري على الصليب. فهو لم يحدّد لنا ساعة إنزاله من فوقه، ولاذكر لنا من قام بإنزاله، ولا ماحدث ساعة إنزاله من فوق الصليب. والذي أُرجّحه استنباطاً، هو أنهم انزلوا المسيح قبيل الساعة التاسعة على حسب الترجمة القديمة. أي ساعة انتهاء يوم الجمعة (يوم التّهيئة) وبدء يوم السبت.

هذا من حيث الشكل. وأما من حيث المضمون، فترد على مضمون النّص اعتراضات واستفهامات كثيرة. وهي نفس اعتراضاتنا التي اعترضناها على ماورد في النّص من إنجيل متّى. وهي كانت خمس اعتراضات، لا أرى من حاجة لتكرارها مرّة أخرى في هذا المقام. وبإمكان القارىء الكريم مراجعتها هناك. فنفس تلك الاعتراضات واردة هنا على هذا النّص المقتبس من إنجيل مرقس أيضاً.

٣ - ٣ - واقعة الصّلب في إنجيل لوقا ٢٣ / ٢٦ ـ ٤٧:

اعترف المسيحيون في المدخل إلى إنجيل لوقا أنّ تاريخ كتابته تعود إلى (٨٠ ــ ٩٠) سنة بعد واقعة الصّلب. فقد ورد على الصفحة (١٨٤) منه : (فالنُقّاد غالباً مايُحدّدون تأليفه بين السنة (٨٠ و ٩٠)، ومنهم من يجعلون له تاريخاً أقدم.). ومن خلال هذا الاعتراف ندرك أنّ إنجيل لوقا اعتمد الروايات الشفهية التي تناقلها الرّواة عبر ثمانين إلى تسعين عاماً، أو أكثر. الأمر الذي يضعف من شأن رواية لوقا كناقلٍ للحقائق وككاتب قصصيّ. لهذا كان لابُدّ لنا من مناقشة مانقرأه منه بأسلوب منطقي وعلمي.

ولنستمع الآن إلى ماوراه انجيل لوقا حول واقعة صلب المسيح الناصري. فقد كتب يقول : (وأسلم يسوع لمشيئتهم، وبينما هم ذاهبون به ، أمسكوا سمعان وهو رجلٌ قيرينيٌ كان آتياً من الرّيف. فجعلوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع. وتبعه جمعٌ كثير من الشعب، ومن نساء كُنّ يضربن الصّدور وينُحن عليه. فالتفت يسوع إليهنّ فقال : "يابنات أورشليم لاتبكين عليّ، بل ابكين على أنفسكُنّ وعلى أولادكُنّ. فهاهي ذي أيّام تأتي يقول الناس فيها : طوبى للعواقر والبطون التي لم تلد والثُديّ التي لم تُرضع. وعندئذٍ يأخذ الناس يقولون للجبال : أسقطي علينا، وللتلال غطّينا. فإذا كان يُفعَلُ ذلك بالشجرة الخضراء، فأيّاً يكون مصير الشجرة اليابسة؟ وسيق أيضاً آخران مجرمان ليقتلا معه. ولمّا وصوا إلى المكان المعروف بالجُمجمة، صلبوه فيه، والمجرمين، أحدهما عن اليمين والآخر عن الشّمال. فقال يسوع : "ياأبت اغفر لهم لأنّهم لايعلمون مايفعلون"، ثم اقتسموا ثيابه مُقترعين عليها. ووقف الشعب هناك ينظر، والرؤساء يهزؤون. فيقولون : خلّص غيره فليخلّص نفسه إن كان مسيح ا لله المختار. وسخر منه الجنود أيضاً، فدنوا وقرّبوا إليه خلّاً وقالوا : إن كُنت ملك اليهود فخلّص نفسك. وكان أيضاً فوقه كتابة خطّ فيها "هذا ملك اليهود".

وأخذ أحد المجرمين المُعلّقين على الصليب يشتُمه فيقول : ألست المسيح؟ فخلّص نفسك وخلّصنا. فانتهره الآخر، قال : أوما تخاف ا لله وأنت تُعاني العِقاب نفسه، أما نحن فعقابنا عدلٌ لأننا نلقى ماتستوجبه أعمالنا. أمّا هو فلم يعمل سوءاً. ثم قال : اذكرني يايسوع إذا ماجئت في ملكوتك. فقال له : الحقّ أقول لك : ستكون اليوم معي في الفردوس. وكانت الساعة نحو الظهر ، فخيّم الظلام على الأرض كُلّها حتى الثالثة، لأنّ الشمس قد احتجبت، وانشقّ حجاب المقدس من الوسط. فصاح يسوع بأعلى صوته، قال : ياأبت في يديك أجعل روحي. قال هذا ولفظ الرّوح.).

تعليقنا على هذه الرواية من لوقا

أولاً - وفي هذه الطبعة للكتاب المقدس الصادرة عن لبنان عام ١٩٨٩ . فيها تحريف واضح لالُبس فيه، نسبة إلى الطبعات القديمة التي سبقتها. ففي الطبعات القديمة ورد (وكان عنوانٌ مكتوبٌ فوقه بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية : هذا هو ملك اليهود..). وقد حُرّفت هذه الجمل واستبدلت بالتالي : (وكان أيضاً فوقه كتابةٌ خطّ فيها "هذا ملك اليهود".) والسؤال هنا : بأيّ حقٍ سمحوا لأنفسهم أن يحذفوا ماحذفوه في طبعتهم الجديدة؟ ولانظلمهم إن قلنا إنّ هذا

تحريفٌ للكَلِم عن مواضعه.

ثانياً ـ والتحريف الآخر الذي أقدموا عليه في الطبعة الجديدة، والذي اعترفوا به في حاشية الصفحة هو أنه ورد في الطبعات القديمة : (وكان نحو الساعة السادسة، فكانت ظُلمةٌ على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة. وأظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل..) فهم استبدلوا الساعة السادسة بتوقيت الظهر، والساعة التاسعة بالثالثة، كما أنّهم علّلوا ماحدث بقولهم (لأن الشمس قد احتجبت). على حين لم يعلل لوقا ذلك، بل قال : (واظلمت الشّمس) أي انكسفت ولاشك أن بين المعنيين بون واسع.

إنّ الذين طبعوا هذه الطبعة الجديدة، وإن اعترفوا في الحاشية أنّ الترجمة الحرفية (السادسة إلى التاسعة). لكننا لانراهم أدلوا لنا بمقارنةٍ بين التوقيتين : القديم والجديد. ومادامو لم يُعلّلوا ولم يقارنوا، فقد سمحوا لنا بذلك لاتهامهم بالتحريف.

ثالثاً ـ ثم إنّ واقعة صلب المسيح كما رواها لوقا، تختلف عمّا راه إنجيلا متّى ومرقسٍ في عدّة نقاطِ جوهرية :

١ ـ ففي حين قالوا هناك إنّ المشاهدين حاولوا سقاية المسيح الناصري، وهو في طريقة لُيصلب (ناولوه خمراً ممزوجة بمرارة ليشرب). فبان إنجيل لوقا قال بدلاً من ذلك (وسخر منه الجنود أيضاً، فدنوا وقرّبوا إليه خلّاً وقالوا..) وهذان الأمران مختلفان.

٢ ـ وفي حين ذكر إنجيلا متى ومرقس أنّه (تبعته نساء). فقد راح لوقا، يُسهب في هذا الأمر فيروي أنّ النساء كانت تنوح، وأنّ حواراً تم بين هذه النساء وبين المسيح نفسه.

٣ ـ وفي حين اكتفى متى ومرقس بالإشارة إلى أن اللّصين اللذين صُلبا مع المسيح كانا يستهزئان به أيضاً . فإنّ لوقا ذكر لنا حواراً حدث بين اللّصين والمسيح.

٤ ـ وفي حين ذكر متّى ومرقس أنّ المسيح الناصري صاح صيحته الأولى، فسقوه خلاً، وصاح بعدها صيحته الثانية (ولفظ الروح). فقد ذكر لوقا أنّ المسيح صاح صيحة واحدة ولفظ الرّوح. ولم يذكر أنّ أحداً ماقد سقاه خلاً.

٥ ـ وفي حين نقل لنا متّى ومرقس أنّ المسيح النّاصري صاح (إلهي إلهي لماذا تركتني؟) ـ فقد زعم لوقا أن المسيح صاح : (ياأبت في يديك أجعل روحي. قال هذا ولفظ الروح.).

فهذه الاختلافات الجوهرية الحادثة مابين إنجيلي متّى ومرقس من جهة، وبين إنجيل لوقا. إن دلّت على شيء، فإنّما تؤكد مانبهت إليه عند بدء الكلام عن واقعة الصّلب في إنجيل لوقا. وهو أنّه لايُعقل أن يجلس لوقا ليكتب روايته هذه عن رواة نقلوا أخبارها إليه ولايكونون إلاّ شفهياً بعد مرور ثمانية أو تسعة عقود زمنية على واقعة الصّلب، أو انقصوا أو بدّلوا في أخبارهم تلك طيلة هذه المدّة الطويلة من الزمن.

وها أنّ هذه الاختلافات الجوهرية الحاصلة مابين هذه الأناجيل الثلاث، تُعدّ أعظم برهان على مأقول.

رابعاً - ثم إنه لايكفي الادعاء في أيّة قضيّة من القضايا، مالم يُدّعم المدعي إدّعاءه بأدلة تثبته وتبرهن على صحته. فمن هذا المنطلق، لانلاحظ أن انجيل لوقا قد تضّمن أيّة أدلة تثبت موت المسيح الناصري على الصّليب، وإنّه لمجرّد إدعاء يأتي بعد مضي تسعون عاماً على واقعة صلب المسيح.

فمن حيث الشكّل لم يحدّد لوقا السّاعة التي أنزلوا فيها المسيح من على الصّليب، ولا ذكر الجهة التي قامت بذلك، ولا ذكر ماحدث ساعة إنزاله من فوق الصّليب. وإن أُرجّح استنباطاً أن عمليّة إنزاله قد تمت قبيل الساعة التاسعة مساء يوم الجمعة (يوم التهيئة) على حسب الترجمة الحرفية.

وعلى هذه الشاكلة فإن مازعمه لوقا من أنّه : (فصاح يسوع بأعلى صوته قال ياأبت في يديك أجعل روحي، قال هذا ولفظ الروح.). فما هذا القول إلاّ من قبيل الادعاء أيضاً - ولايثبت إلاّ بالتدليل على صحتّه. وعكسه هو الصحيح. ذلك أنّ اللّصين اللذين كانا عُلّقا مع المسيح، لم يمت واحد منهم، فكيف يموت المسيح الناصري؟

والمسيح الناصري لم يكن مريضاً من قبل، وكان من أولي العزم من الرسل.

هذا من حيث الشكل. وأمّا من حيث المضمون، فإنّها ترد على هذا النّص من انجيل لوقا نفس الاعتراضات الخمس التي أوردناها على نصّ واقعة الصليب المستفاد من إنجيلي متّى ومرقس ، وبإمكان القارىء الرجوع إلى تلك الاعتراضات هناك. فلا حاجة بنا لتكرارها في هذا المقام خشية الاطالة على القُرّاء الكرام.

وعليه بإمكاننا أن نقول: لايثبت من هذا النصّ من إنجيل لوقا موت المسيح الناصري

على الصليب. بل يثبت عكسه تماماً في نظري واجتهادي، الأمر الذي يتوافق مع الطرح القرآني.

٣ - ٤ - واقعة الصلب في انجيل يوحنا:

اعترف المسيحيّون في المدخل إلى إنجيل يوحنا أنّ تاريخ كتابته تعود إلى أواخر القرن الأول بعد حادثه الصّلب. فقد ورد فيه : (لابدّ من الإشارة أولاً إلى أنّ نشر جزء من الإنجيل الرابع، عُثر عليه في مصر، ويرقى تاريخه في رأي أحسن الخُبراء إلى السنوات (١١٠ ــ ١٣٠) قد فرض على النُقّاد العودة إلى أمرٍ تقليدي، وهو صدور الإنجيل الرابع في أواخر القرن الأول.).(١)
ومن خلال هذا الاعتراف ندرك أنّ إنجيل يوحنا، مَثَلُه مثل بقية الأناجيل ، قد اعتمد في جميع أخبار قصّته على روايات شفهيّة تناقلها رواتها جيلا بعد جيل عبر قرن من الزمان، زيادة ونقصانا وتشويها لحقائقها الأصلية. الأمر الذي يُضعف من شأن رواية انجيل يوحنا كناقل للحقائق وككاتب قصصي. وهذا الأمر يفرض علينا مقارنة ماورد في أخباره مع ماورد في الأناجيل الأخرى، فقرة فقرة، واستخلاص الحقائق بأسلوب منطقي وعلمي.

ولنستمع الآن إلى ماوراه إنجيل يوحنا حول واقعة صلب المسيح النّاصري. فهو كتب يقول : (فأسلمه ـ أي بيلاطس ـ إليهم ليُصلب. فأمسكوا يسوع، فخرج حاملاً صليبه (٢). إلى المكان الذي يقال له مكان الجُمجمة، ويُقال له بالعبرية جُلجثة. فصلبوه فيه وصلبوا معه آخرين، كلّ منهما في جهه. وبينهما يسوع. وكتب بيلاطس رُقعةً وجعلها على الصّليب، وكان مكتوباً فيها : "يسّوع الناصري ملك اليهود". وهذه الرّقعة قرأها كثيرٌ من اليهود، لأنّ المكان الذي صُلب فيه يسوع كان قريباً من المدينة. وكانت الكتابة بالعبرية واللاتينية واليونانية. فقال عظماءكهنة اليهود لبيلاطس : "لاتكتب ملك اليهود" بل اكتب : قال هل الرّجل : إنّي ملك اليهود. أجاب بيلاطس : ماكُتب قد كُتِب. وأمّا الجنود فبعدما صلبوا يسوع أخذوا ثيابه وجعلوها أربع حصص، لكلّ جُنديّ حصّة. وأخذوا القميص أيضاً، وكان غير مخيط. منسوجاً كلّه من أعلاه إلى أسفله ـ فقال بعضهم لبعض : لانشُقّه بل نقترع عليه، فنرى لِمن يكون. فتّمت الآية : اقتسموا ثيابي، وعلى لباسي اقترعوا، فهذا مافعله الجنود.

(١) – المدخل إلى إنجيل يوحنّا – الصفحة (٢٨٧).

(٢) ـ كان على المحكوم عليه، وفقاً لما ورد في الشريعة، أن يحمل هو نفسه أداة تعذيبه.[حاشية الكتاب المقدس رقم ١٢]

هناك عند صليب يسوع، وقفت أمّه و أختُ أمّه مريم امرأة قلوبا، ومريم المجدليه فرآى يسوع أمّه، وإلى جانبها التلميذ الحبيب إليه. فقال لأمّه : أيتّها المرأة هذا ابنك. ثم قال للتلميذ : هذه أمّك. ومنذ تلك السّاعة استقبلها التّلميذ في بيته.

وبعد ذلك كان يسوع يعلم أنّ كلّ شيء قد انتهى. فلكي يتمّ الكتاب، قال : أنا عطشان. وكان هناك إناءٌ مملوءٌ خلاً. فوضعوا إسفنجة مُبتلّة بالخلّ على ساق زوفى، وأدنوها من فمه. فلّما تناول يسوع الخلّ، قال : تم كلّ شيء، ثمّ حنى رأسه وأسلم الرّوح.).

تعليقنا على هذه الرواية من يوحنا

أولاً ـ إنّ رواية يوحنا هذه تختلف عمّا رواه متّى ومرقس ولوقا، في نقاطٍ جوهرية كثيرة منها :

١ً ـ ففي حين أورد أصحاب الاناجيل المذكورون أنّ الجنود كلّفوا رجلاً قيرينيّاً يدعى سمعان ليحمل صليب المسيح الناصري، وهو في طريقة ليصلب. فإن صاحب هذا الانجيل (يوحنا) روى الأمر نفسه مختلفاً وقال : (فأمسكوا بيسوع. فخرج حاملاً صليبه..) ويستحيل التوفيق بين الروايتين.

٢ً ـ وفي حين روى لنا لوقا قوله : (وكان أيضاً فوقه كتابة خُطّ فيها : "هذا ملك اليهود".) وغير مشير إلى الذي كتب هذه الجملة. فقد روى لنا يوحنّا نفس الأمر بقوله : (وكتب بيلاطس رُقعة وجعلها على الصّليب وكان مكتوباً فيها "يسوع الناصري ملك اليهود".. وكانت الكتابة بالعبرية واللاتينية واليونانية.). وعلى حين روى لنا إنجيل مرقس في مقابل ذلك : (وكُتب في عنوان علّة الحكم عليه "ملك اليهود".). أمّا إنجيل لوقا فقد وضع بدل "اللاتينية" اللغة الرومانية وشتّان مابين اللّغتين.

٣ً ـ وفي حين أشار أصحاب الأناجيل الأخرى إلى أن الجنود اقتسموا ثياب يسوع وحسب فإن إنجيل يوحنا راح فذكر هذا الحادث بالتفصيل. وبتفصيل لاندري مدى حقيقته.

٤ً ـ وفي حين لم يخبرنا صاحبوا الأناجيل الأخرى أنّ أمّ المسيح الناصري كانت حاضرة عمليّة صلبه. فقد انفرد صاحب إنجيل يوحنا بذلك. بل وذكر حواراً دار بين المسيح وأمّه وأحد تلاميذه.

---

(١) – إنجيل يوحنا الإصحاح ١٩ / ١٦ ـ ٣٠

موصيّاً هذا التلميذ أن يرعى له أمّه. فلو صحّ هذا الأمر لكان العالَم المسيحي قد عرفوا لأمّ المسيح الناصري قبراً في فلسطين.

٥ٌ ـ وعلى حين راح أصحاب الأناجيل الأخرى يزعمـون أنّ المسيح الناصري صاح وهو على الصّليب :

(آلهي آلهي لماذا تركتني؟) ـ فقد انفرد صاحب إنجيل يوحنا بقوله حكاية عن المسيح الناصري وهو على خشبة الصّليب : (فلكي يتمّ الكتاب قال : "أنا عطشان".). وقول يوحنا هذا أحقّ بالتّصديق. فلا بدّ أن يكون بين قول المسيح هذه الجملة وبين سقايته الخلّ وبين ماجرى من روابط سأكشف عنها في حينه .

٦ٌ ـ وفي حين راح أصحاب الأناجيل الأخرى يردّدون أنّ المسيح الناصري صاح صيحتين شديدتين وهو على خشبة الصليب. فإن إنجيل يوحنا لم يأت على ذكر ولاصيحةً واحدة له. بل الذي رواه، قوله : (فلّما تناول يسوع الخلّ قال : "تمّ كلّ شيءً، ثم حنى رأسه، وأسلم الرّوح.). وإنّ في قول المسيح إنه (تمّ كلّ شيء) دلالة على أنها كانت هناك خطّة مدبّرة لإنقاذه، كان من حلقاتها سقايته هذا الشراب. وهو أمر سآتي على بيانه على حينه.

٧ٌ ـ وفي حين كان أصحاب الأناجيل الأخرى يذكرون لنا أعاجيب قد حدثت، إثر تعليق المسيح الناصري على الصّليب. ومن هذه الأعاجيب "أظلمت الدنيا منذ الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة". فإنّ إنجيل يوحنا لم يأت على ذكر شيء من هذا القبيل. فهل اخترع أولئك تلك الأعاجيب من عند أنفسهم. أم أنّ رواة يوحنا لم تصلهم تلك الأخبار؟ وفي الحالتين فلابد أن تكون هذه الاختلافات الجوهرية بين الأناجيل فيها كلّ الدلالة على أنّ الذين رووا قصّة ماحدث ساعة تعليق المسيح الناصري على الصّليب، والذين رووا عنهم تلك الأخبار جيلاً بعد جيل طوال قرن من الزمان وبصورة شفهية. لابدّ أن يكونوا قد زادوا وانقصوا وشوّهوا كثيراً من تلك الأخبار.

لذلك لاتُعدّ الروايات الانجيلية موثوقة الأخبار الواردة فيها، بل لابدّ من نقدها وتمحيصها واستخراج حقائقها وبأسلوب منطقي وعلمّي.

ثانياً ـ والذي يهمّنا قوله، هو أنه لايكفي الإدّعاء في أيّة قضيّة من القضايا، واستناداً إلى روايات رواةٍ لم يشاهدوا الحدث. بل لابدّ للمدّعي من تدعيم ادّعائه بأدلّة وبراهين تثبت صحّة مايدّعيه. وعلى هذا الأساس فلا نلاحظ أنّ إنجيل يوحنا قد أتى بمثل هذا النوع من الأدلة، وكل مافعله، هو

وسواه من أصحاب الأناجيل أنّهم سبكوا قصّة ماحدث للمسيح الناصري دون ذكر الرّواة الذين نقلوا إليهم هذه الأخبار، ودون التحقيق بأسلوبٍ علمي ومنطقي فيما وصلهم من أخبار.

وإن يوحنّا، لم يحدّد لنا، من حيث الشكّل، ساعة تنفيذ عملية الصّلب ولاساعة إنزال المسيح الناصري من على الصليب ولا مَنْ أنزله. بل كان ماقاله بخصوص إنزاله : (وكان ذلك اليوم، يوم التّهيئة، فسأل اليهود بيلاطس أن تكُسر سوق المصلوبين وتُنزل أجسادهم، لئلاّ تبقى على الصّليب يوم السبت، لأنّ ذاك السّبت يومٌ مُكرّم. فجاء الجنود، فكسروا ساقي الأوّل والآخر اللذين صُلبا معه. أمّا يسّوع فلمّا وصلوا إليه ورأوه قد مات، لم يكسروا ساقيه. لكنّ واحداً من الجنود طعنه بحربةٍ في جنبه، فخرج لوقته دمٌ وماءٌ [1]. والذي رآى شهد، وشهادته صحيحة، وذاك يعلم أنّه يقول الحقّ لتؤمنوا أنتم أيضاً. فقد كان هذا ليتمّ الكتاب : "لن يكُسر له عظم" [2] وورد أيضاً في آيةٍ أخرى من الكتاب : "سينظرون إلى من طعنوا.") [3]

والحقّ أن في هذا الاقتباس مفتاح معرفة أنّ المسيح الناصري لم يمت على الصّليب، وهو ماسأتعرّض له بالشرح فيما بعد.

وأمّا من حيث المضمون، فإنّ مارواه لنا صاحب إنجيل يوحنا، قوله : (فلّما تناول يسّوع الخلّ قال : "تمّ كلّ شيء"، ثم حنى رأسه وأسلم الروح.). ماهذا القول إلاّ من قبيل الإدعاء الذي لايسنده دليل. وهو قول يصلح لرواية دراميّة، وليس لبيان حقيقة تاريخيه. وكيف يموت المسيح وحده ولايموت من اللصّين اللذين صُلبا معه أي مصلوب منهما؟ ولم يثبت أن المسيح كان مريضاً أو مصاباً بمرض عضال.

ثم إنّه، ووفقاً لما ورد في الحاشية (٣٢)، فقد ورد في المزامير ٢١/٣٤ (البارّ المتألّم يُحمى في المحنه). فأين الحماية الإلهية لرجل بارٍ كالمسيح الناصريّ؟

---

(١) – هذه الظاهرة تفسير طبّيّ فقد يسيل الدّم أيضاً لوقته بعد الموت، ويكون الماء نتيجة سيلان غشائي [حاشية رقم ٢٩]

(٢) – يوفّق هذا الاستشهاد، على مايبدو بين نص مز ٢١/٣٤ (البارّ المتألّم محمّيٌ في المحنة.).[حاشية رقم ٣٢]

(٣)– إنجيل يوحنا الإصحاح ١٩ / ٣١ ـ ٣٦ .

وإن زَعَمَ يوحنا وسواه من أصحاب الأناجيل الأخرى أنّ المسيح الناصري مات على الصليب. ليدلّ، من حيث لايريدون، على أنّ المسيح الناصري لم يكن محميّاً عند الله عز وجل. بل كان كما يزعم اليهود نبيّاً كاذباً. والعياذ بالله تعالى من ذلك.

وترد على هذا النّص الذي نقلناه من إنجيل يوحنا ويشرح فيه قصّة واقعة صلب المسيح الناصري. أقول ترد على هذا النّص وعلى ادعاءاته نفس الاعتراضات الخمس التي أوردناها على النّص المُستفاد من إنجيل متى وسواه من الأناجيل الأخرى وبامكان القارىء الرجوع إلى اعتراضاتنا تلك هناك.

وأقول : لايثبت من هذا النّص المُقتبس من إنجيل يوحنا أنّ المسيح الناصري مات على خشبة الصّليب. بل الذي يثبت منه هو عكسه تماما. هذا في نظري واجتهادي، وبدلالة الفقرات (٣١ ـ ٣٦) خاصة. وهو ماسأعمد إلى التفصيل فيه على حيته.

٣ - ٥ - اختلاف هذه الرّوايات ودلالاتها :

من المعقول جداً أن تختلف الروايات الإنجيلية فيما قدّمته من أخبار ومعلومات حول حادثة واقعة الصّلب خاصة. على اعتبار أن الأناجيل لم تُكتب زمن وقوع الحادثة، بل كتبت بعد مرور مابين ستين إلى تسعين عاماً، على حسب ماأوردته في فصل "قصة الأناجيل". والمستقاة معلوماته من مقدمة لكتاب المقدس نفسه المطبوع عام ١٩٨٩م. فالمعقول جداً أن تختلف مضامين الأناجيل خصوصاً وأنّها استقت اخبارها ومعلوماتها عن رواةٍ رووا ماارووه بصورة شفهيّة ونقلوه عمّن رووه شفهياً أيضاً، فلم تكن الطباعة قد بدأ عصرها بعد. ثم إنّ الأناجيل الأربعة نفسها لم تصل عصر الطباعة سالمة أيضاً.

لذلك فإن الباحث في الأناجيل المعاصرة يواجه صعوبةً في الكشف عن حقائق احتوتها هذه الأناجيل، مشوّهة وبحاجة للتدقيق فيها بأسلوب علمي أيضاً. ولولا أنّي دفعني لبحث مابحثته في هذا الكتاب، أكثر من دافع، لكان من العسير عليّ جداً أن أندفع أبحث عن عدم موت المسيح

الناصري على الصليب.

فهناك طرحٌ قرآني، وهناك نبوءة تنبّأ بها المسيح الناصري نفسه عن واقعة محاولة صلبه وهناك ماورد في التوراة من أن "البارّ المتألّم محميٌّ في المحنة"(١) وهناك موضوع إكمال تبشير الشتات من أسباط بني اسرائيل، وهو الأمر الذي كان يشير إليه المسيح الناصري نفسه في أقواله ووصاياه (٢).

هذه المُعطيات الخلفيّة عندي أعانتني كثيراً، بل دفعتني دفعاً لأبحث مابحثته، ولأثبت أن المسيح الناصري لم يمت على الصّليب.

والآن إن نحن سألنا أيّ رجل دين مسيحي : لماذا أربعة أناجيل وليس إنجيلاً واحداً؟ فلا يكون جوابه إلا بسبب نظرة الكنيسه إلى هذه الأناجيل على أنها يكمل بعضها بعضا فيما أتت به من أخبار حياة المسيح الناصري وتعاليمه. فما لانجده في إنجيل، نجده في انجيل آخر.

فإن أجاب بهذه الإجابة، تكون إجابته صحيحة ومعقولة. ذلك أنه لم يكن باستطاعه كلّ من جلس يكتب أخبار المسيح وتعاليمه أن يجمع جميع تلك الأخبار وجميع تلك التّعاليم، وأنا أُسلّم بهذه الحقيقة دفعاً لكلّ جدل عقيم.

والذي يهمّني الآن هو إثبات أو نفي موت المسيح على الصّليب، ومن خلال هذه الأناجيل الأربعة (متى ومرقس ولوقا ويوحنا). وإنّ ممّا لاشكّ فيه أنّهم أجمعوا على أنّ المسيح الناصري مات على الصليب ودُفن وقام من بين الأموات. وهذا الأجماع مجرّد إدعاء كان سائداً في زمن كتابة هؤلاء لأناجيلهم التي كتبوها بعد حادثة الصّلب نفسها بثلاثة أرباع قرن من الزّمان تقريباً، وعلى حسب ماأورده رجال الكنيسه أنفسهم ومن خلال تحقيقاتهم التي أتينا على ذكرها في فصل "قصة الأناجيل". فإجماع هؤلاء كما قلت هو من قبيل الإدعاء الذي هو بحاجة إلى إثباته. فكم وكم من الحقائق التاريخية شُوهت، وانتشرت على ألسنه الناس على غير حقيقتها. وإنّ الحادثة التي تعرّض لها المسيح الناصري هي من هذا القبيل. ذلك أنّ المسيح كان رسولاً صادقاً ونبيّاً من أنبياء الله ورسله، فلا يُعقل بأيّ شكلٍ من الأشكال ألاّ يُهيّء الله ووسائل حمايته من مكائد كهنة وكتبه اليهود الذين كذّبوه وحرّضوا الجماهير والحكومة ضدّه، وأرغموا الحاكم الروماني بيلاطس

---

(١) – التوراة سفر المزامير في (٣٤/٢١)

(٢) – (متى ١٠/٥-١٥/٢٤) يوحنا ١٠/١٦).

أن يوفّق بين مطلبهم الظّالم، وبين مايقتضيه القانون والضمير الإنســـاني. وسبق أن قلت إنّ مايدعو لإعادة النّظر في هذه الرواية التي تسلّمها كُتّاب الأناجيل دون تدقيق ولاتمحيص ولانظر إلى الواقعة بتفكير روحاني، إنّ مايدعو للنظر في حقيقها هو أنّ النّبوءة الشهيرة التي تنبأ بها المسيح عن واقعة الصّلب لاتحتمل إلاّ الاعتقاد بأنّ المسيح الناصري قد بشرّه ربه من خلال تلك النبوءة أنّه سيدبّر أسباب نجاته، كما دبّر أسباب نجاة يونان النبي (يونس عليه السلام) يوم ابتلعه الحوت، فأبقى الله عليه حيّاً في بطنه وأخرجه من بطنه حيّاً أيضاً.

فالله عز وجل وعد مسيحه الناصري في تلك النبوءة أنّ مكائد اليهود لن تحقّق حلمهم في إماتة المسيح على الصليب. تلك المكيدة التي قصدوا بها إثبات كذبه وبالتّالي إثبات كونه ملعوناً غير مقّربٍ من ربّه. فأنا سأعمد إلى هذه الأناجيل الأربعة التي يكمل بعضها بعضاً، أدقّق رواياتها وأخبارها التي أثبتّها في هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب والمتعلّقة بواقعة صلب المسيح نفسه، أدقّقها بأسلوب الناقد والمحقّق بأسلوبٍ علمي.

بحثت عن روايةٍ واحدة في هذه الأناجيل، يثبت منها رؤية أي إنسانٍ لشخص المسيح النّاصري، أنّه شاهده ميتاً، وشاهده بأمّ عينيه يصحو من موته ويقوم. فلم أعثر على روايةٍ واحدةٍ من هذا القبيل. فجميع ماورد في الأناجيل عن موت المسيح الناصري وقيامه من بين الأموات إنما ورد روايات قيل وقال. وحتى النساء اللّواتي قدمن إلى القبر فجر يوم الأحد، لم تزعم واحدة منهنّ أنّها شاهدت المسيح يقوم من قبره. بل وجدن القبر فارغاً. ومازعم أصحاب الروايات المتعلّقة برؤيتهنّ ملاكاً أخبرهم بقيامة المسيح إلا من قبيل الإدعاء أيضاً، ولايجدي قانوناً. خصوصاً وأنّ الأناجيل تضاربت في حقيقة هذا الأمر نفسه. فقد زعم إنجيل متى أنّه :(لأن ملاك الرّب نزل من السّماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه. وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج..)(١) على حين ورد في انجيل مرقس : (فتطلّعن ورأين أنّ الحجر قد دُحرج. لأنّه كان عظيماً جدّاً. ولما دخلن القبر رأين شاباً جالساً عن اليمين لابساً حُلّةً بيضاء فاندهش فقال لهن..)(٢) وعلى حين أنّ انجيل لوقا قال : (فوجدن الحجر مُدحرجاً عن القبر. فدخلن ولم يجدن جسد الرّب

(١) - إنجيل متى ٢/٢٨

(٢) - إنجيل مرقس ٤/١٦

يسوع. وفيما هُنّ محتاراتٌ في ذلك، إذا رجلان وقفا بهن بثياب برّاقة.. قالا لهن..) (1)وعلى حين قال إنجيل يوحنا :(وفي أول الاسبوع جاءت مريم المجدليّة إلى القبر باكراً والظلام باق فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر. فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يُحبّه وقالت لهما: أخذوا السيّد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه.. تقول الرواية أن بطرس ورفيقه أسرعا إلى القبر ونظر الأكفان موضوعة والمنديل.. ملفوفاً في موضعٍ وحده. فحينئذ دخل أيضاً التلميذ الآخر الذي جاء أوّلاً إلى القبر ورآى فآمن. لأنّهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنّه ينبغي أن يقوم من الأموات. فمضى التلميذان أيضاً إلى موضعهما. أما مريم فكانت واقفةً عند القبر خارجاً تبكي. وفيما هي تبكي انحنت إلى القبر فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرّجلين حيث كان جسد يسوع موضوعاً. فقالا لها ياامرأة لماذا تبكين؟ قالت لهما إنّهم أخذوا سيّدي ولست أعلم أين وضعوه. ولما قالت هذا التفتت إلى الوراء فنظرت يسوع واقفاً ولم تعلم أنه يسوع..)(2)

فهذه روايات مُتضاربة، ونحن أيّها نُصدّق؟ فلو كان لها من حقيقة، فلا يُعقل أن يرويها رواتها بهذا الاختلاف والتضارب الذي لاحظناه.

المهمّ أنني من حيث المبدأ لم أعثر على روايةٍ واحدة تروى أنّ أحداً شاهد المسيح الناصري ميتاً. ويقوم من بين الأموات. فإن كنت أخطأت فليدلّني أي إنسانٍ على هذه الرواية. والباحث المدقق إذا لم يعثر على أيّ شاهد إثبات في موضوع الإدّعاء يبحث عن القرائن التي تثبت أو تنفي هذا الإدعاء. وقد بحثتُ عن هذه القرائن في الأناجيل فلم أعثر على قرينةٍ واحدة تثبت مازعموه من موت المسيح الناصري على الصليب وقيامته من بين الأموات. بل وجدت من القرائن القويّة الدّالة على عكس مازعموه. وليصغي القارىء إلى هذه القرائن ناقداً ومتفحّصاً :

أولاً : القرائن الدالة والمرجحة الرأي أن المسيح لم يمت على الصليب:

القرينة الأولى : كان عاقل مفكر، يفترض أن يُعلن صاحب أيّ دعوة أو رسالة ، من أوّل أيّام

---

(1) – إنجيل لوقا ٢٤/٢

(2) – إنجيل يوحنا ٢٠/١-١٥

دعوته عن أُطر رسالته وأهدافها ومقاصدها. فهذا هو مايجري حقّاً على صعيد الواقع من حولنا. وأن يكون في إعلانه صريحاً وواضحاً أيضاً. خصوصاً إذا كان هذا الدّاعيه نبيّاً ورسولاً من ربّ الكائنات.

فإن صحّ مازعمه أصحاب الأناجيل من أنّ المسيح أتى إلى هذا العالم ليموت فداء خطيّة آدم وحوّاء ومن ثم يقوم من بين الأموات. فقد كان مُتوجبّاً عليه أن يُعلن ذلك للناس ولتلاميذه بالذات مني أوّل أيام دعوته. فلو فعل ذلك لتوجّب أن ينتظر جميع هؤلاء التلاميذ تحقُّق هذه المعجزة وبفارغ صبرهم أيضاً.

وقد دقّقت مانقلته لنا الأناجيل من أخبار، فلم ألحظ معالم هذه الظّاهرة الطبيعية، على صعيد الأقوال، فتناولت قضية أخبار وضع جُثّة المسيح في قبره الذي وضعه يوسف الرّامي فيه لعلي ألحظ تجمّع تلاميذ المسيح حول القبر ساعة وضع الجُثّة فيه، فلم ألحظ إلا تواجُد امرأتين هناك. فإنجيل متى روى: (وكانت هناك مريم المجدليه ومريم الأخرى جالستين تجاه القبر)(١). فأين بقية تلاميذ المسيح النّاصري ؟

وقلت في نفسي لعلّهم اتّفقوا فيما بينهم أن يأتوا إلى قبره صباح يوم الأحد يستطلعون قيامته. فدقّقت في الأناجيل الاربعة. وأدهشني أنّ غير هاتين الامرأتين لم تسارعا إلى القبر فجر يوم الأحد. ثم إنّهن ماسارعتا للقاء المسيح بعد قيامته. بل على حسب ماروى مرقس سارعتا لتدهنان جسد الميّت بالطيب. فقد ورد: (وبعدما مضى السبت اشترت مريم المجدليّة ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطاً ليأتين ويدهنّه. وباكراً جدّاً في أوّل الأسبوع ـ أي فجر يوم الأحد ـ أتين إلى القبر إذ طلعت الشّمس، وكُنّ يقلن فيما بينُهنّ : من يُدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟ فتطلّعن ورأين أنّ الحجر قد دُحرِج لأنّه كان عظيماً جدّاً..)(٢).

فالنّسوة، ومريم المجدلية من بينهن، أسرعن إلى القبر صباح الأحد. ليس لينظرن إلى قيامة المسيح الناصري من بين الأموات، بل (ليأتين ويدهنّه). من هذا نُدرك كباحثين مُدقّقين، أن تلاميذ المسيح ماكانوا ينتظرون موته وقيامته ليصبح كفّارة عن ذنوبهم.

---

(١) - إنجيل متى ٥٧/٢٧

(٢) - إنجيل مرقس ١/١٦

وهذه القرينة يثبت منها عكس مازعمه رواة الأناجيل وأجمعوا عليه من أنّ المسيح الناصريّ مات على الصليب، وقام من بين الأموات، ليصبح كفّارة عن خطيئة آدم وحوّاء.

قد يردّ على هذه القرينة قائل يقول : لقد كان سبق للمسيح الناصري أن اتّفق مع تلاميذه أن يجتمع بهم بعد قامته من الأموات على جبل الجليل. ويستدلّ بقول متّى: (هاهو يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه)(١) وقول مرقس : (إنّه يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه كما قال لكم..)(٢). ولذلك كانوا ينتظرون لقاءه على جبل الجليل وليس فجر يوم الأحد على القبر.

أقول : هذه مزاعم لايُصدّقها واقع ماجرى. فإن نحن عدنا إلى إنجيل متى نلاحظه قد قال : (وأمّا الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل، إلى الجبل حيث أمرهم يسوع.. ولّما رأوه، سجدوا له، ولكنّ بعضهم شكوّا، فتقدّم يسّوع وكلمّهم قائلاً : دُفع إليّ كل سُلطانٍ في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمّدوهم باسم الأب والابن والروح القدس..)(٣). هذا ماروا متّى.

لكننا إذا رجعنا إلى انجيل مرقس نلاحظه قد قال : (أخيراً ظهر للأحد عشر وهم مُتكئون، ووبخّ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يُصدّقوا الذين نظروه قد قام. وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كُلّها. من آمن واعتمد خلص. ومن لم يؤمن يُدن. وهذه الآيات تتبع المؤمنين : يُخرجون الشياطين باسمي، ويتكلّمون بألسنةٍ جديدة يحملون حيّاتٍ، وإن شربوا شيئاً مُميتاً لايضُرّهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرؤون..)(٤). فهذا الكلام يتضارب مع ماأورده إنجيل متى في نواحي كثيرة يدركها كلّ قارىء للنّصين. ولايثبت منها أنّ تلاميذ المسيح كانوا ينتظرونه من أنفسهم على جبل الجليل، بل على حسب ماروى متّى (ولكنّ بعضهم شكّوا) وعلى حسب ماروا مرقس (ووبّخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يُصدّقوا الذين نظروه قد قام.).

(١) – إنجيل متّى ٧/٢٨

(٢) – إنجيل مرقس ٧/١٦

(٣) – إنجيل متّى ١٦/٢٨

(٤) – إنجيل مرقس ٤/١٦

وإن نحن رجعنا إلى انجيل لوقا، فلا نجد أثراً للقاء المسيح الناصري بتلاميذه على جبل الجليل، بل في أورشليم. فقد ورد : (فقاما في تلك الساعة ورجعا إلى أورشليم ووجدا الأحد عشر مُجتمعين هم والذين معهم. وهم يقولون إنّ الرّب قام بالحقيقة وظهر لسمعان. وأما هما، فكانا يُخبران بما حدث في الطريق وكيف عرفاه عند كسر الخُبز. وفيما هم يتكلّمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسَطِهم، وقال لهم : سلامٌ لكم. فجزعوا وخافوا وظنوا أنّهم نظروا روحاً. فقال لهم : مابالكُم مضطربين، ولماذا تخطُر أفكارٌ في قلوبكم؟ انظروا يديّ ورجليّ إنيّ أنا هو. جُسّوني وانظروا فإنّ الرّوح ليس له لحمٌ وعظامٌ كما ترون لي. وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه.)(١).

وأمّا إنجيل يوحنّا فلم يتطرّق إلى جميع ماأوردته الأناجيل الأخرى. بل روى أموراً لاتمتّ إلى اجتماع المسيح بتلاميذه في الجليل ولاشيئاً من ذلك. بل روى اجتماعات في طبريه وسواها ممّا لاحاجة بنا إلى إيراده في هذا المقام.

وأنا أرجو من القارىء أن يتدبّر جميع هذه النصوص التي نقلتها له، وينظر، هل يثبت ولو من واحدة منها مايشكّل قرينة تؤكد إيمان تلاميذ المسيح بقيامته من الأموات وانتظارهم لها؟

القرينة الثانية : وكلّ عاقل مفكّر، يفترض، إذا كان القصد من وجود المسيح الناصري في هذا العالم أن يفتدي خطيئة آدم وحواء بنفسه فيموت ومن ثم يقوم من بين الأموات، وأنّ هذا كان ابناً وحيداً لله خالق السموات والأرض، وباراً بوالده، ويحمل بعضاً من قوى الربوبية. فإن صحّ ذلك القصد وهذه الأمور في نظر الإنسان العاقل المفكر كما قلت، فإنه يفترض أن يسمع من رواة الأناجيل، أنّ المسيح الناصريّ كان ينتظر تحقق ذاك القصد بفارغ الصبر على يديه، فينتظر ساعة موته على الصّليب وهو في شوقٍ زائدٍ إليها، ليُرضي الذي أرسله ويثبت عدم عقوقيته له. وليس أن يبدو حن تقترب السّاعة تلك، خائفاً منها، ويعود يخاطب الذي أرسله ليعفيه من مهمته تلك. وكأنّ الذي أرسله لايملك قلب حنان على ولده، بقدر مايملك من حنانٍ على الذين يعصونه ولايقيمون لوصاياه وزناً.

فإن نحن دققنا في الأناجيل، فلا نلحظ وجوداً لهذا التّصور والافتراض، وهذه القرينة. بل نلحظ مايعاكس ذلك تماماً.

---

(١) - إنجيل لوقا ٢٤/٣٣

ذلك أن إنجيل متّى يروي لنا ماأصاب المسيح النّاصري من خوفٍ وهلع، ممّا أرسله والده لتنفيذه على حسب مايزعمون، فقد ورد : (وابتدأ يحزن ويكتئب، فقال لهم : نفسي حزينة جداً حتى الموت. امكثوا هَهُنا واسهروا معي. ثم تقدم قليلاً وخرّ على وجهه وكان يُصلّي قائلاً : ياأبتاه إن أمكن فلتَعْبرُ عني هذه الكأس. ولكن ليس كما أريد انا بـل كما تريد أنت)(١) فمتّى يصف حال المسيح وقد دنت ساعة تعليقه على خشبة الصّليب، أنه حزن واكتأب إلى حدّ أن تزهق روحه وأخذ يصلّي ويرجو أباه أن يعفيه من هذه المهمة. ولخشيته من بطش أبيه كان يقـول (ولكـن ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت). ويضيف متّى : (فمضى - أي يسوع - ثانية وصلّى قائلاً : ياأبتاه إن لم يمكن أن تعبُر عني هذه الكأس، إلاّ أن أشـربها، فلتكـن مشـيئتك.. وصلـى ثالثة قـائلاً ذلـك الكلام بعينه.). ولايروي لنا أيّ جوابٍ سمعه المسيح الناصري من أبيه الذي إن كـان يسـمع كـلام إبنه، فعلى الأقل كان عليه أن يواسيه ويصبّره ويشبّعه حناناً. لكـن هـذا الأب المزعـوم كـان يملـك قلباً أشدّ قساوة من الحجارة الصمّاء. وهل يستسيغ عقل القارىء أن يحدث هـذا إن كـان مارواه متّى صحيحاً؟

وإنّ إنجيل مرقس ٣٤/١٤-٤٣ راح يروي نفس الحادثة، وإنما بألفاظٍ مختلفة.

أما إنجيل لوقا فقد روى الحادثة بألفاظ مختلفـة، وممّـا ذكـره أنّ المسـيح : (كـان يصلّـي بأشدّ لجاجةٍ، وصار عرقُهُ كقطرات دمٍ نازلةٍ على الأرض..)(٢).

وأما مؤلّف إنجيل يوحنّا فلم يتعرّض لذكر هذه الحادثة من قريبٍ ولا من بعيـد. وكأنـه لم تصلـه أخبارهـا. بـل الـذي ورد في انجيـل يوحنـا: (تكلـم يسـوع بهـذا ورفـع عينيـه نحو السّـماء وقال : أيّها الآب قد أتت السّاعة - ساعة تعليقه على الصليب - مجّد ابنك ليمجّدك ابنُك أيضاً، إذ أعطيته سُلطانا على كل جسدٍ ليُعطي حياةً أبديّةً لكلّ من أعطيته. وهـذه هـي الحيـاة الأبديـة : "أن يعرفوك أنت الإله الحقيقيُّ، وحدك، ويَسّوعَ المسيح الذي أرسلته..")(٣). فما أبدع هـذه الكلمـات أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك فهذا هو التوحيد بعينه. فما هي منزلة يسّوع تجـاه هـذا الإلـه الحقيقي؟ الجواب (ويسّوع المسيح الذي أرسلته) أي أن يســــــوع اعترف من خلال هذه الجملة

---

(١) - إنجيل متّى ٣٨/٢٦

(٢) - إنجيل لوقا ٤١/٢٢

(٣) - إنجيل يوحنا ١/١٧

أنّه مجرّد رسول أرسله الإله الحقيقي. فلا هو ربٌّ ولا هو ابن ا لله، ولا هو الفادي المخلّص.

وأنا أرجو من القارىء أن يتدبّر جميع ماأوردته هنا من نصوص إنجيليّة وينظر : هل يثبت ولو من واحدة من هذه النصوص مايشكّل قرينة تؤكّد أنّ الغاية من إرسال وبعث المسيح الناصري هو أن يموت على الصليب ويكون كفّارة ومُخلّصاً؟ فهل ورد في هذه النّصوص مايفيد أنّ المسيح كان يرجو ليرسل الإله الحقيقي بدلاً عن المسيح رجلاً آخر يفتدي خطيئة آدم وحواء بدلاً عنه. وأين القانون الطبيعي الذي يُسلّم به البشر منذ أن وجدوا على وجه الأرض والمُعبّر عنه بالقول : (لاتزرُ وازرةٌ وزر أخرى)؟

القرينة الثالثة : وكلّ عاقل مفكّر، لابدّ أن يفترض أنّ المسيح النّاصري المُنبأ عن ظهوره في التوراة، أن تكون التوراة نفسها قد أنبأت عن أنه سيكون ابن ا لله، وأنّه سيموت تكفيراً عن خطيئة آدم وحواء ويقوم من الأموات، ويصبح كفّارة لمن يؤمن به.

فإن نحن عُدنا إلى الصّراع الذي دار بين كهنة اليهود وبين المسيح الناصري، فلا نلاحظ أنّه دار حول هذه النقطة وهذه العقيدة، بل حول كونه نبيّاً صادقاً أو كاذباً.

ذلك أنّ الذي دفع اليهود ليصلبوا المسيح وليقتلوه، هو النّص الوارد في سفر التثنية: (سأُقيم لهم نبيّاً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيخاطبهم بكلّ ماآمره به. وأيّ رجل لم يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي، فإنّي أُحاسبه عليه. ولكنّ أيُّ نبيٍّ اعتدّ بنفسه فقال باسمي قولاً لم آمره أن يقول أو تكلّم باسم آلهةٍ أُخرى، فليُقتل ذلك النبي.)(١). ولابأس أن أورد نفس النّص المطبوع على نفقة جمعية التوراة الأميركانية قبل التاريخ المذكور، فالنّص مُترجم هناك ترجمة حرفيّة عن اليونانية ١٨/ ١٨ : (أُقيم لهم نبيّاً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلّمهم بكلّ ماأوصيه به. ويكون أنّ الإنسان الذي لايسمع لكلامي الذي يتكلّم به باسمي أنا أطالبه. وأمّا النّبي الذي يُطغي، فيتكلّم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلّم به، أو الذي يتكلّم باسم آلهة أُخرى، فيموت ذلك النّبي.).

لاشكّ أنّ بين الترجمتين بعض الفروق، والذي يهمّنا منها آخر جملة من كلّ ترجمة. ففي ترجمة عام، كانت آخر جملة (فليُقتل ذلك النّبي) على حين وردت الجملة الأخيرة ١٩٨٩في

---

(١) – الكتاب المقدس بيروت ١٩٨٩م. سفر التثنية ١٨/١٨

الطبعة الأخرى (فيموت ذلك النّبي) وبين الجملتين فرق واضح.

فالجملة الأولى حدّدت طريق موت النّبي الكاذب وتأمر بقتله. على حين لم تحـدّد الجملـة الأخرى طريق موت النّبي الكاذب. ولايُعقل من حيث المبدأ أن يقع في التّرجمة مثل هذا الاختـلاف في الدّلالة، إلاّ أن يكون المترجم قد حرّف المعنى الاصلي.

وأنـا لاأخـوض هنـا في أمـر هـذا الاختـلاف. وأتنـاول النتيجـة الـتي تـترتّب علـى دلالـة النّصين، وهي أن يموت مدعي النبوة الكاذب إمّا قبـل إتمـام رسـالته، أو يمـوت قتـلاً. وهـو ماسـعى اليهود إليه ليثبتوا كذب المسيح الناصريّ في ادّعائه للنّبوه.

فاليهود بدافعٍ من هذا النّـص التوراتـي بـالذات، سـعوا إلى صلـب المسـيح وقتلـه. وهـم زعموا أنّهم أفلحوا في سعيهم وأماتوا المسيح على الصليـب وأثبتـوا بذلـك كذبـه وبُطـلان نُبوّتـه. فالصّراع دار إذن حول نبوّءة المسيح الناصريّ وليس حول أمرٍ آخر.

ثم إنّ المسيح الناصري قال : (لاتظنّوا أنّي جئت لأنقُـض النـاموس أو الأنبيـاء، مـاجئت لأنقُض بل لأكمل. فإني الحقَّ أقول لكم : إلى أن تزول السّماء والأرض، لايزول حرفٌ واحـدٌ أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكُلّ. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصُّغرى، وعلّم النـاس هكذا، يُدعى أصغر في ملكوت السّموات. وأمّا من عمل وعلّم، فهـذا يُدعـى عظيمـاً في ملكـوت السّموات. فإني أقول لكم: إنّكم إن لم يزد برُّكم علـى الكتبـة والفرّيسـيّين، لـن تدخلـوا ملكـوت السموات.)(1)

المهمُّ في الأمر أنّ المسيح الناصري لم يـدّعِ أنّـه جـاء بـامرٍ يخالف التعليـم التوراتـيّ. وإنّ عقيدة "الكفّارة" الـتي يعتقدهـا رواة الأنـاجيل الأربعـة، تُخَـالف صريـح التعليـم التوراتـي. وعليـه فالصّراع الذي دار بين كهنة اليهود وبين المسيح الناصريّ حول نبوّته، واسـتناداً للنـصّ الـوارد في سفر التثنيه، إذا انتهى بموت المسيح على الصّليب، فاليهود يُعذرون إن هم لم يؤمنوا بنبوّته. ومـادام المسيح نفسه لم يزعم أنّه أتى بشيء يخالف التّعليـم التّوراتـي، بـل ليكمـل وبمـا لاينقـض حرفـاً مـن التّوراة. فإنّ هذه الأمور مجتمعـةً لابُـدّ أن تُشـكّل قرينـةً علـى أنّ مـن المسـتحيل أن يكـون المسـيح الناصري قد مـــات على الصليب. وهذه قرينةٌ ثالثة تميل بالباحث المُدقّق أمثالي ليرجّح عدم موت

(1) – إنجيل متّى : 5/17-20.

المسيح الناصري على الصليب. وأترك للقارىء أن يتدبّر معالم هذه القرينة وينظُر فيما إذا كان يتفق ورأيي فيها.

القرينة الرابعة : وكل عاقل مفكّر لابُدّ أن يرجع إلى أقوال المسيح الناصري نفسه ليحدّد دائرة المهمة والرسالة التي بعثه الله تعالى ليؤدّيها.

والذي لاحظته أنّ المسيح النّاصري راح يكُرر جُملةً في مناسباتٍ عديدة، وهي قوله في إنجيل متى: (لم أرسل إلا إلى خراف بيت اسرائيل الضالة.)(١). هذه الجملة وردت في الطبعات القديمة الحرفية. على حين وردت نفس الجملة في طبعة بيروت عام ١٩٨٩م (لم أُرسل إلاّ إلى الخراف الضّالة من بيت اسرائيل.) أي أنّهم ادخلوا الألف واللام على كلمة خراف، وهو الأصح في نظري. فالمسيح عبّر عن أسباط بني اسرائيل المشتّتة خارج فلسطين، والتي سباها بختنصّر ملك العراق قبل المسيح بـ (٥٨٨) عام، والتي لم يَعُد منها إلا سبطان، سمح لهما وريث بختنصّرعلى عرشه بالعودة إلى فلسطين.

أقول : إنّ المسيح الناصري أطلق مجازاً (لفظ الخراف الضالة) على الشتات من الأسباط اليهود التي تشتتت خارج فلسطين.

والمسيح الناصري أكدّ على أنّ (من مهمتّه السيّاحة إلى الأقطار التي هاجرت إليها تلك الأسباط اليهودية لتبشيرها ولَم شملها أيضاً. صرّح بذلك في إنجيل يوحنا بقوله : (ولي خرافٌ أُخَر ليست من هذه الحظيرة، ينبغي أن آتي بتلك أيضاً، فتسمع صوتي وتكونُ رعيّةً واحدةً وراعٍ واحد. لهذا يُحبّني الآب لأني أضع نفسي لآخُذها أيضاً. ليس أحدٌ يأخذها منّي، بل أضعُها أنا من ذاتي. لي سُلطانٌ أن أضعها، ولي سُلطان أنْ آخذها أيضاً. هذه الوصيّة قبلتها من أبي.)(٢) ومقابل هذه الترجمة الحرفيّة، فقد ورد في ترجمة طبعة بيروت عام ١٩٨٩م مايلي : (ولي خرافٌ أخرى ليست من هذه الحظيرة ـ أي خارج فلسطين ـ فتلك أيضاً لابُدّ لي أن أقودها، وستُصغي إلى صوتي. فيكون هناك رعيّةٌ واحدةٌ. إنّ الأب يحبُني لأني أبذل نفسي لأنالها ثانية. مامن أحدٍ ينتزعها منّي. ولكنّي أبذلُها برضاي. فلي أن أبذلها، ولي أن أنالها ثانية. وهذا الأمر تلقّيتُهُ من أبي.).

والمهّم في الأمر أنّ المسيح الناصري كان مُكلّفاً بصورةٍ رسمية أنّه، إذا ماأنقذه ربّه من الموت على

---

(١) - إنجيل متّى ٢٤/١٥

(٢) - إنجيل يوحنّا ١٦/١٠

الصليب، فمن واجبه أن يسيح إلى الأقطار خارج فلسطين، تلك الأقطار التي يتواجد فيها الشتّات من خراف بيت اسرائيل أي الشتّات من الأسباط الاسرائيلية المسبيّة على أيدي بختنصّر، والتي توزعت في بلاد فارس وماوراءها.

فهذه الأقوال تعدُّ قرينة واضحة على أنّ المسيح الناصري، إن مات على الصّليب، فلا يعود قادراً على الهجرة لتبشير جميع الخراف الضّالة التي ليست هي من حظيرة فلسطين.

وإني أترك للقارىء أن يُقلّب أقوال المسيح التي نقلناها له، على أوجهها، وينظر : أفلا تُعد في نظره قرينة واضحة على ضرورة الأخذ بالرأي القائل بعدم موت المسيح الناصريّ على الصليب؟

ثانيا ـ الدّلائل الانجيلية التي تثبت عدم موت المسيح على الصليب :

سبق أن قلت إنّ إجماع كتبه الروايات الانجيليّة على موت المسيح الناصري على الصّليب، إنّما هو من قبيل الإدعاء ليس إلاّ. وإلاّ فلم يُقدّم لنا هؤلاء أيّة بيّنةٍ قانونية تثبت صدق ماأجمعوا عليه سوى القيل والقال.

ولابدّ أن لاحظ القارىء القرائن الأربعة التي قدمتها، والتي تُرجّح عدم موت المسيح على الصّليب. هذا وإني بعد تدقيقٍ للنّصوص الإنجيلية، عثرت على أدّلة موجبة الدلاله، تثبت عدم موت المسيح الناصري على الصليب. وإلى القارىء هذه الأدلّة فلعلّها تُقنعه بما أسعى لإثباته.

الدّليل الإنجيلي الأول :

من المعلوم أنّ وسائل تنفيذ عقوبة الإعدام تعدّدت عبر تاريخ البشر. فقد كان المحكوم عليه بالإعدام يُحرق، وتارة يُصلب، وتارة يُطلق عليه الرصاص، وتارة يقطع رأسه بالسيف وتارة يُشنق بحبل المشنقة، وابتدعت فرنساً المقصلة للتخفيف من عذاب المحكوم عليه.

وإنّ وسيلة إعدام المحكوم عليه بتعليقه على خشبة الصّليب، كانت إحدى أقسى وسائل الإعدام. ذلك لأن الذي يريدون صلبه، لاتكفي ساعات لموته. بل كان لابُدّ من إبقائه طوال الأسبوع مُعلّقاً على خشبة الصليب ليموت، ليس بسبب نزيفٍ دموي يصيب يديه ورجليه، بل ليموت عطشاً وجوعاً وإعياءً. فما كان لِيُسمّى أي إنسان مصلوباً إلاّ إذا مات على الصليب. وإلاّ فلا تُعتبر عملية تعليقه وحدها صلباً. كما يُعتبر من يسقط في الماء غريقاً.

فإذا عُدنا ندقق محاولة صلب المسيح الناصري، من هذا الفهم وممّا احتوته الروايات

الإنجيليّة التي بين أيدينا. نُلاحظ أنّها أجمعت على أنهم علّقوا المسيح على الصليب منتصف أو عصر يوم الجمعة الذي يسمونه "يوم التهيئة". بسبب أن اليهود يتهيؤون يوم الجمعة لاستقبال يوم السبت كيوم راحةٍ لهم. فإذا ترجمنا هذا الإجماع إلى لغة الأعداد. نقول إنّ المسيح الناصريّ لم يبق مُعلّقاً على الصليب إلا ساعات تتراوح مابين ثلاث إلى ستّ ساعات. وهذه المدّة لاتكفي يقيناً ليموت المسيح من جرّاء ماتسببه له من آلام. خصوصاً وأنّ اللّصين اللذين عُلّقا لم يمت منهما أحد. وهذا الأمر يشكل أوّل دليل مُستنبط من هذا الإجماع الانجيليّ الذي ذكرناه.

ولاأدري مدى غفلة متّى ومرقس ولوقا ويوحنّا عن حقيقة هذا الدّليل الإيجابيّ. فلو أنّهم استعملوا عقولهم، وتدبّروا الأمر من هذه الزاوية التي نظرتها ولما وصلهم من روايات بهذا الشأن لخجلوا من أنفسهم أن يُدرجوا هذه الروايات في أناجيلهم، على حسب ماأتصوّره وأعتقده.

ثم إنّ هذه الأناجيل لم تنقُل لنا في أيّ موضعٍ منها أن المسيح الناصري كان يشكو قبل واقعة الصلب من مرض أو ضعف قلب أو سواه من الأمراض. بل على العكس من ذلك، فقد روت أن المسيح تعرّض لحادثة صلبه وهو لايزال في سنّ الثالثة والثلاثين من عمره. أي أنّه كان في ريعان صباه.

والروايات الإنجيلية التي ذكرت لنا استهزاء اللّصين بشخص المسيح وبعض ألفاظ الإهانة التي كانا يُوجّهانها إليه، لم تورد اطلاقاً أنّ أحداً من هذين اللّصين طلب أنْ يشرب وقال إني عطشان على شاكلة مافعله المسيح الناصري نفسه. ولا أوردت لنا هذه الأناجيل أنّ أحداً من هذين اللّصين قد مات. ومادام الأمر كذلك فلايستسيغ الإنسان العاقل أن يعطش المسيح وحده، وأن يموت وحده من بينهما، ولايكون وراء الأكَمَةِ ماوراءها.

ثم إنّ رواة الأناجيل، اختلفت رواياتهم فيما حدث في آخر اللّحظات التي مرّ بها المسيح وهو على الصليب. كما اختلفت فيما تفوّه فيه من ألفاظ ولنستعرض معالم مااختلفوا فيه : فنحن نُلاحظ أنّه في الوقت الذي جاءت رواية انجيلي متّى ومرقس قريبتان فيما رَوَياه من أنّه : (وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم.. آلهي آلهي لماذا تركتني؟ فقال قوم من الحاضرين لّما سمعوا: هو ذا يُنادي إيليّا. فركض واحد وملأ اسفنجه خلاً وجعلها على قصبة وسقاه قائلاً : اتركوا لِنَرَ هل يأتي إيليا لينُزله. فصرخ يسوع بصوتٍ عظيمٍ وأسلم الروح.).

هذا على حين أننا نُلاحظ أنّ إنجيل لوقا يختلف فيما رواه، وكلّ ماذكره هو هذه الجملة فقط :

(فصاح يسوع بأعلى صوته، قال : ياأبت في يديك أجعل روحي، ولفظ الرّوح.).

فلم يذكر أن المسيح قد صاح إلا صيحة واحدة. وأنّ المسيح نادى (ياأبت) بينما نادى المسيح في إنجيل متى ومرقس (ياإلهي) ولاشك أنّ بين اللّفظين فرق معنوي كبير.

أما يوحنا وهو الإنجيل الرابع فقد ورد فيه مقابل ذلك : (وبعد ذلك كان يسوع يعلم أنّ كُلّ شيء قد انتهى، فلكي يتمّ الكتاب قال أنا عطشان. وكان هناك إناءٌ مملوءٌ خلاً. فوضعوا إسفنجةً مُبتلّةً بالخلّ على ساق زوفى، وأدنوها من فمه. فلما تناول الخلّ، قال : تمّ كلّ شيء، ثم حنى رأسه، وأسلم الرّوح).

لاشكّ أنني صرّحت سابقاً أنني اتّفق مع القائلين أن الأناجيل الأربعة يُكمِل بعضها البعض الآخر. وعلى هذا الأساس دقّقت في هذه الرّوايات. وتساءلت أوّل ماتساءلت : ولكن مادلالة هذه الاختلافات التي وقع فيها أصحاب هذه الأناجيل ؟

ودقّقت نواحي الاختلاف، ولم يستسغ عقلي مارواه إنجيلا متّى ومرقس أن يصيح المسيح (إلهي إلهي لماذا تركتني؟). فهذه جملةٌ توحي إلى سامعها أنّها صادرةٌ عن فؤادٍ قنط من رحمة الله، ولم يعد يشعر بعطفه وحنانه. وهذا المضمون يتنافى وماورد في سفر المزامير: (البارّ المتألّم محميٌّ في المحنة.)(1). فلا يستسيغ عقلي أن يكون المسيح الناصري صادقاً، ويتخلّى عنه ربّه في أحرج لحظات حياته.

وها أنّ إنجيل لوقا، لم يرو هذه العبارة، بل روى صياح المسيح (ياأبت في يديك أجعل روحي). وهي فقرةٌ أخفّ وقعاً على النّفس، وتشعر باستسلام المسيح لمشيئة الله وقَدره. ومع ذلك فالزعم (فصاح يسوع بأعلى صوته، قال..)، لاأراها تليق أن تنسب إلى رجلٍ في منزلة المسيح الناصري.

أمّا ماكتبه إنجيل يوحنا، فهو الأكثر اتّزاناً وقبولّية ومعقولية، ويتفّق مع ماأحاول إثباته في هذا الكتاب. فهو كتب يقول : (فلّما تناول الخلّ، قال : تمّ كل شيء، ثمّ حنى رأسه وأسلم الروح.).

ففي هذه الجمل ربطٌ موضوعيٌّ بين سقاية الخلّ، وبين (تمّ كلّ شيء). ويبدو من خلال هذا الرّبط أنّه كانت هناك خطّةٌ مدّبرة في الخفاء من حلقاتها أن يسقوه الخلّ، وأن تنجح الخطّة لتخدير المسيح، وينتهي الأمر به ليحني رأسه ويسلم الرّوح ظاهريا.

---

(1) – سفر المزامير ١٢/٣٤

وألفاظ يوحنّا هذه لها حقيقتها ودلالتها، فهي كشفت لي على أقلّ تقدير أنّ تعليق المسيح الناصري على الصليب ساعاتٍ معدودات ماكانت لتكفي لإماتته عليه. وكانت هناك خطّة خفيّه لإنقاذه من هذه الميتة. وهو أن يسقوه مخدّراً بحيلةٍ ما لتخديره. شرط أن يعطي المسيح الإشارة التي تبرّر لهم سقايته هذا المخدّر. وهذه الإشارة أن يقول (إني عطشان) ليُسارع من جهزوه بهذا المخدر ليسقيه إياه. وهذا الأمر يفسّر معنى تواجد الخلّ الممزوج بمرارة، ووجود الإسفنجة والقصبة، والشخص الذي سارع بعد سماع الاشارة (أنا عطشان) وسقاه، فأين الحُرّاس وأين تقاليد أن يُترك المحكوم عليه بالصّلب ليموت جوعاً وعطشاً؟

وإنّ مايؤكّد فهمي وتحليلي لهذه الفقرات، هو مانطق به المسيح الناصري قبل أن يصيح (إني عطشان). فقد نقل يوحنّا قوله : (وبعد ذلك كان يسّوع يعلم أنّ كُلّ شيء قد انتهى. فلكي يتمّ الكتاب، قال : أنا عطشان.). أي أن المسيح نفسه كان يرقب تنفيذ حلقات الخطّة الموضوعه لإنقاذه من محنته، وهذه دلالة قول يوحنا من أنّ المسيح كان (يعلم أنّ كلّ شيء قد انتهى).

ثم إنّ جُملة (فلكي يتمّ الكتاب) تؤكد أيضاً وجود الخطّة المذكورة. ففي هذه الجملة إشارة إلى وجود نبأٍ سابقٍ عن مساعدته في محنته وإنقاذه من الموت على الصليب. وهل نسينا ماورد في سفر المزامير أن (البارّ المتألّم محميٌّ في المحنة)؟ والمسيح الناصري كان بارّاً ومحمياً في محنته.

والدّليل الأعظم على وجود خطّة مدبّرة لإنقاذ المسيح من محنته، فلا يتمكّن أعداؤه من إماتته على الصليب. هو ماحدث حين أراد هؤلاء إنزال المسيح من على الصّليب. يوحنّا أورد قوله : (فأتى العسكر وكسروا ساقي الأول والآخر المصلوب معه. وأما يسوع فلما جاؤوا إليه لم يكسروا ساقيه، لأنهم رأوه قد مات.). أي أنّ المخدّر فعل فعله في تخدير المسيح الذي نكّس رأسه من جرّاء شُربه، وبدا للعسكر ولسواهم أنه أسلم الرّوح. علماً بأنّ ساعات معدودة ماكانت لتكفي ليموت على الصّليب. فالمسيح شُبّه للناظرين مقتولاً ومصلوباً وفق التعبير القرآني. فهذا هو دليلي الإنجيلي الأول الذي يثبت منه عدم موت المسيح الناصري على الصليب.

الدليل الانجيلي الثاني :

- لقد كان من التقاليد السائدة عند اليهود زمن واقعه الصّلب، ألاّ يُترك المحكوم عليه على الصليب يوم السبت. بل ينزلونه من عليه عشيّة يوم الجمعة الذي كانوا يُسّمونه "يوم التهيئة"، فإذا تبين لهم أن المصلوب لم يمت على الصليب، يكسرون ساقيه قبل إنزاله إجهازاً منهم عليه.

والذّي يتبيّن لنا من خلال الرّوايات الانجيلية، أنّ الحاكم الروماني بيلاطس، ظلّ يماطل اليهود إلى أن أتى يوم الجمعة، فأبدى حينئذٍ موافقته على صلب المسيح ظاهراً. فلايبق المسيح على هذه الشاكلة على الصليب أكثر من ساعاتٍ معدودة، ويُنزله، ويأمر ئلا تكسر ساقاه.

ولنستمع إلى مارواه كاتب إنجيل يوحنا حيث قال : (وكان ذلك اليوم يوم التهيئة. فسأل اليهود بيلاطس أن تكُسر سوق المصلوبين، وتُنزل أجسادهم، لئلاّ تبقى على الصليب يوم السّبت، لأن ذاك السّبت يومٌ مكرّم. فجاء الجنود، فكسروا ساقي الأوّل والآخر اللّذين صُلبا معه. أما يسوع، فلّما وصلوا إليه ورأوه قد مات، لم يكسروا ساقيه. لكنّ واحداً من الجنود طَعنه بحربةٍ في جنبه، فخرج لوقته (وفي الطبعات القديمة "وللوقت") - واللّفظين بمعنى فوراً - فخرج لوقته (دمٌ وماء)، والذي رآى شهد، وشهادته صحيحة، وذاك يعلم أنّه يقول الحق، لتؤمنوا أنتم أيضاً. فقد كان هذا ليتمّ الكتاب "لن يكُسر له عظم". وورد أيضاً في آيةٍ أُخرى من الكتاب "سينظرون إلى من طعنوا")(١).

يبدو من خلال ألفاظ رواية يوحنا هذه، أن المخدّر الذي سقوه للمسيح الناصري وهو على الصّليب، أتى أُكُله، وخدّره ونكّس رأسه وكأنه ميت. وتراءى للجنود أنّه ميّت.

والميّت لاتكُسر سيقانه، فلم يكسروا ساقيه، ونُجّيَ المسيح عليه السلام من جرّاء ذلك من الموت على الصّلب، ميتة اللّصين اللّذين صُلبا معه.

ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ. فلا يُعقل أن تنطلي هذه اللُعبة الذكّية على الجنود الأربع الذّين كانوا هناك. ففطن أذكاهم إلى أنّه لايُعقل أن يكون المسيح قد مات وحده من بين الثلاثة، وخلال ساعات معدودة. وظنّ أنّ الأمر انطلى على رئيسه، فعمد إلى حركةٍ هي من صميم علم الطّب. فالقلب يضُخُ دم الجسم مادام ينبض بالحياة.

فإن جُرح الجسم يخرج هذا الدّم للوقت، أي فوراً، بسبّب الدّفع الذي يسبّبه له القلب الحيّ. لذلك، وكما يروي لنا إنجيل يوحنا "لكنّ واحداً من الجنود طعنه بحربةٍ في جنبه". فماذا حدث إثر هذه الطعنة؟ الذي حدث كما يروي لنا إنجيل يوحنا : "فخرج لوقته -أي للوقت وفوراً- دمٌ وماء". ومع أنّ رئيس الجُند رآى بأمّ عينيه الدّليل القاطع على أن المسيح لم يمت على الصليب وأنّه

---

(١) - إنجيل يوحنا ٣١/١٩

لايزال قلبه ينبض بالحياة. فلم يأبه هذا الدّليل وظلّ مُصراً ألاّ يكسر الجنود ساقي المسيح الناصري. فلماذا وقف رئيس الجُند هذا الموقف؟ لايقف أمثاله هذا الموقف، إلا إذا كان قد تلقى أمراً بذلك من بيلاطس، ووفق خطّةٍ موضوعة الغرض منها إنقاذ المسيح من محنته.

وأنا راجعت عدداً من الأطباء المختصّين ورويت لهم مُجريات هذه الحادثة كما لاحظنا آنفا. فلم أجد أنّ أحداً من هؤلاء الأطباء قد اختلف معي فيما ذهبت إليه من رأي. وعلى العكس من ذلك أظهروا كلّ اندهاشٍ وحيرةٍ أن كيف لاينتبه إلى هذه الحقيقة أحدٌ من الذين يطالعون هذه الأناجيل؟ فالحادثة بألفاظ إنجيل يوحنا فيها كلّ الدلالة على أن المسيح الناصري لم يمت على الصليب.

والذي لاحظته أيضاً هو أن الذين أشرفوا على طباعة طبعة عام ١٩٨٩م، كانوا يقظين لملاحظتنا. وقد حاولوا تشويه الحقيقة وحَرْف الأنظار عنها، وذلك من خلال حاشيةٍ دوّنوها على صفحة (٣٥٥) من العهد الجديد جاء فيها : (لهذه الظاهرة تفسير طبيعيٌّ، فقد يسيل الدّم أيضاً لوقته بعد الموت، ويكون الماء نتيجة سَيَلان غشائي.).

وأنا أرجو من القارىء أن يستفت أيّ طبيبٍ شرعيٍ مُختصّ، مع تنبيهه إلى أنه كان قد مضى على تنكيس المسيح لرأسه وتسليمه روحه حسب زعم الأناجيل، كان قد مضى أكثر من ساعةٍ أو ساعتين حسبما يُستفاد ذلك من الأناجيل نفسها. فالمسيح لم يمت في الدقيقة التي جاء الجند لينزلوه فيها عن الصّليب حتى يُقال أنه لربّما حدث ذلك لهذا السّبب. بل مضى زمن يزيد عن مائة دقيقة. فلو كان المسيح مات قبلها، لكان دمه قد تخثر، ولايخرج دمٌ فوراً إثر طعنه. فليستفت القارىء هذه الفتوى.

على هذه الصورة أكون قد قدّمت بينّةً وبرهاناً ثانياً ومن الأناجيل نفسها، يثبت منها تأييدها للطّرح القرآني، وهو أنه أي المسيح الناصري، [ولكن شُبّه لهم] أي شُبّه لهم مقتولاً ومصلوباً وهو على الصّليب، على حين كان مُخدّراً وحيّاً. وأنزلوه حيّاً عن الصّليب، ﴿وماقتلوه يقيناً﴾.

٤- خطة بيلاطس لإنقاذ المسيح من محنته

لاشكّ أن الذي يُطالع الفصل الذي أفردته للكلام عن تاريخ الأناجيل، والذي أسميته "قصة الأناجيل"، تضعف ثقته بصحّة كل ماأورده مؤلفوا هذه الأناجيل الأربعة من أخبار وروايات. ويجد نفسه مُضطراً لإعادة نظره في كلّ مايقرؤه منها. خصوصاً وأنّ رُواة الأناجيل اعتمدوا روايات أشخاص لم يذكروا أسماءهم ولا قدّموا أبحاث تثبت صدقهم فيما رووه، ولاكان بين هؤلاء الرّواة من شاهد أحداث واقعة الصّلب بأم عينيه. بل وإن هذه الروايات التي اعتمدها الذّين كتبوا الأناجيل، وعلى حسب ذمّة ماورد في المدخل إلى الكتاب المقدس للعهد الجديد والمطبوع في لبنان عام ١٩٨٩م وعلى الصفحة السابقة منه. ذهبوا إلى أن هذه الروايات الانجيلية اجتازت (نحو أربعة عشر قرناً من التاريخ الحافل بالأحداث التي مضت بين تأليفها من جهة، وضبطها على وجهٍ شبه ثابت، عند اختراع الطّباعة من جهةٍ أخرى. ولاغنىً له في الوقت نفسه عن أن يشرح كيف يمكن ضبط النصّ، بعدما طرأ عليه من اختلافٍ في الرّوايات في أثناء النّسخ..).

وقد سبق لي أن صرّحت في فصل "قصّة الأناجيل" أنّني لاأسعى للتدخّل في شأن لايعنيني، عندما جلست أدقّق في روايات الأناجيل. بل أقوم بهذا التدقيق بدوافع إنسانيه سعياً وراء التوفيق بين أهل مُختلف أصحاب الدّيانات. ولذلك فأنا أتوسّل إلى كلّ مسيحيٍ ويهوديٍ يريد وجه ربه ويسعى للخلاص في آخرته أن يأخذ ماكتبته في هذا الكتاب نظرة جدٍ وتسامحٍ على أقل تقدير.

وإني أفردت هذا الفصل من كتابي لجميع ماعثرت عليه من خيوطٍ تدلّ دلالة واضحةً على أنّ الحاكم الروماني "بيلاطس البُنطي" مااستساغ مطالبة اليهود له ليصلب المسيح الناصري. فهو علم أنهم يريدون موته هذه الميتة الشّنيعة حسداً من عند أنفسهم، وخلافاً للقانون الروماني النّافذ في ولايته، وبدافع من مصلحته الشخصية أيضاً. فقد كان هذا الانسان يحمل بين جَنباته مشاعر إنســـانية ، ولم يكن ســياســياً بالمعنى المعروف الذي يهدف إلى إرضاء الجماهير لكسب

احترامهم له وزعامته عليهم. خصوصاً وأنّ هؤلاء اليهود الغوغائيين المُتزمّتين أهانوا هذا الحاكم حين هدّدوه بالشكوى إلى قيصر دون مبرّر كما ثبت ذلك مّما رواه إنجيل يوحنا في الإصحاح ١٢/١٩ منه. وهذه الخيوط والحقائق التي عثرت عليها دفعتني دفعاً لأعتقد أنّ الحاكم بيلاطس، عندما يئس من محاولته إقناع اليهود بالعفو عن المسيح الناصري الذي لم يرتكب إثماً يُدينُه القانون الرّوماني، اندفع بمحرّكٍ من مشاعره الإنسانية النبيلة، وثأراً لكرامته التي أهانها اليهود، فوضَعَ خطّة لانقاذ المسيح من محنته.

وأبدأ بتصوير ماعرض لنفسية الحاكم بيلاطس من تقلُّباتٍ وتطوراتٍ أدت به إلى وضع الخطّة المُشار إليها. وذلك من النُصوص الإنجيلية نفسها بلا زيادةٍ ولا نُقصان :

فإنجيل متّى يروي : (حينئذٍ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشّعب إلى دار رئيس الكهنة الذي يُدعى "قيافا". وتشاوروا لكي يُمسكوا يسّوع بمكْرٍ ويقتلوه.)(١) وفي موضع آخر قال متّى: (تقدّموا وألقوا الأيادي على يسوع وأمسكوه.)(٢) وفي موضع ثالث قال: (والذين أمسكوا يسوع، مضوا به إلى "قيافا" رئيس الكهنة، حيث اجتمع الكتبة والشّيوخ.)(٣). و قال أيضاً: (فمَزق رئيس الكهنة حينئذٍ ثيابه قائلاً : قد جدّف. ماحاجتُنا بعد إلى شهود ـ وهذا اعتراف من قيافا أنّ الحاكم لايقبل بادعاء دون شهود اثبات ـ هاقد سمعتم تجديفه. ماذا تَرَوْن؟ فأجابوا وقالوا : إنّه مُستوجبٌ الموت. حينئذٍ بصقوا في وجهه ولكموه ـ يقصد أنهم فعلوا ذلك بالمسيح ـ وآخرون لطموه قائلين: تنبّأ لنا أيُّها المسيح من ضربك ؟)(٤) .

ويتساءل القارىء هنا عمّا صدر عن المسيح الناصري من تجديفٍ مزعوم؟ وانجيل متّى يجيبه على هذا السؤال ويقول أنهم سألوا المسيح : (استحلفك با لله الحيّ أن تقول لنا : هل أنت المسيح ابن ا لله؟ قال له يسوع : أنت قلُت.) (٥) وهل يستسيغ عقل الإنسان أن يعتبر هذه الإجابة تجديف؟ وأيّ نوعٍ من التّجديف؟ التجديف الذي يستحقّ المسيح الناصري من جرائه عقوبة القتل

---

(١) - إنجيل متّى ٣/٢٦

(٢) - إنجيل متّى ٥٠/٢٦

(٣) - إنجيل متّى ٥٧/٢٦

(٤) - إنجيل متّى ٦٥/٢٦

(٥) - إنجيل متّى ٦٢/٢٦

والصّلب.

ويتابع إنجيل متى يروي لنا ويقول : (ولّما كان الصّباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشّعب على يسّوع حتّى يقتلوه. فأوثقوه ومضوا به إلى بيلاطس البُنطيّ الوالي.)(١). والآن لننظر في الموقف الذي وقفه الوالي بيلاطس حيال هذا الموضوع :

فإنجيل متّى يروي لنا ويقول : (فوقف يسّوع أمام الوالي قائلاً ـ أي سأله الوالي أأنت ملك اليهود؟ فقال له يسوع : أنت تقول. وبينما كان رؤساء الكهنة والشّيوخ يشتكون عليه، لم يُجب ـ يسوع ـ بشيء. فقال له بيلاطس : أما تسمَعُ كم يشهدون عليك ؟ فلم يجبه ـ يسوع ـ ولاعن كلمةٍ واحدةٍ، حتى تعجّب الوالي جدّاً.)(٢).

والآن ومن هذه اللّحظة التي أدرك بيلاطس فيها براءة المسيح الناصري ممّا ينسبونه إليه لنلاحظ ماجرى بعد تعجُّبه من صمت المسيح. فهو التفت إلى اليهود وقال لهم بصورةٍ مُباشرة : (قال لهم بيلاطس : من تُريدون أن أُطلق لكم ؟ باراباس أم يسوع الذي يُدعى المسيح ؟ لأنّه عَلِمَ أنّهم أسلموه حسداً.). أي أنّ بيلاطس، وقد لاحظ براءة المسيح الناصري ممّا اتّهموه به. أخذ يفكّر في طريقةٍ يُنقذ بها المسيح من بين براثن هؤلاء اليهود الغوغائيون الذين أسلموه إليه حسداً من عند أنفسهم على حسب ماروى متّى في إنجيله منذ لحظات. وقد خطر لبيلاطس فكرة وهي أن يعرض على اليهود، وبأسلوبٍ دبلوماسيٍ لطيف، أن يُطلق سراح المسيح الناصري الموقوف لديه بمناسبة أنّ العيد على الأبواب، والعادة أن يُطلق الحاكم قبل كل عيدٍ أحد المحكومين بالموت.

وهذا إنجيل متّى يُفاجئنا بحدثٍ جديد طرأ على مسار الأحداث. حيث قال :

(وإذا كان بيلاطس جالساً على كُرسي الولاية، أرسلت إليه امرأته قائلة : إيّاك وذلك البارّ ـ تشير إلى المسيح الناصري ـ لأنّي تألّمت اليوم كثيراً في حُلْمٍ من أجله.)(٣). فكم هي عجيبةٌ تقادير الله عز وجلّ الذي أخاف زوجة بيلاطس في منامها على هذه الصّورة التي دفعتها دفعاً لتُرسل إلى زوجها وهو على كرسيّ الولاية بهذا التحذير المخيف؟ أفلا يدلّ ذلك على أنّ الحاكم بيلاطس أيقن ببراءة المسيح الناصري من صميم فؤاده، وهو الذي أدرك من قبل أنّهم أسلموه إليه

(١) - إنجيل متى ١/٢٧

(٢) - إنجيل متّى ١١/٢٧

(٣) - إنجيل متّى ١٩/٢٦

حسداً، وهو الذي اقترح عليهم اطلاق سراحه بمناسبة العيد. أفلا نستنبط من خلال تطّورات الأحداث هذه أنّ بيلاطس راح يخطّط لاشعورياً خطّة إنقاذ هذا البارّ البريء من محنته؟

وإني لأعتقد أن الرؤيا التي اخبرته زوجته لها، لابُدّ أن تكون قد ألهبت مشاعر بيلاطس زوجها فهذا مايؤكّده علماء النّفس. فالإنسان يؤثّر ويتأثّر.

ولنعُد الآن إلى مايرويه لنا إنجيل متّى عمّا فعله رؤساء الكهنة وشيوخ اليهود، بعدما لاحظوا تهرّب بيلاطس من الاستجابة لطلبهم لقتل المسيح. فهو يقول : (حرّضوا الجموع على أن يطلبوا باراباس، ويهلكوا يسوع.)(1). وبهذا الأسلوب الغوغائي حاولوا إثارة الجماهير ضدّ بيلاطس للضّغط عليه جماهيرياً. وراح انجيل متّى يروي لنا ماقام به بيلاطس تجاه الجماهير الغاضبة قال : (قال لهم بيلاطس : فماذا أفعل بيسّوع الذي يُدعى المسيح؟ أجابة الجميع : ليُصلب ــ فقال الوالي: وأيّ شر عَمِل؟ فكانوا يزدادون صُراخاً قائلين : لِيُصلب.)(2).

أفلا يتّفق القارىء معي أنّ بيلاطس حاول مع الجماهير نفس المحاولة التي حاولها مع رئيس كهنة اليهود، وهو أن يستدرجهم ليعفو عن المسيح ويطلق سراحه بمناسبة يوم العيد؟ وألا يتّفق معي أن جماهير اليهود كانوا في مُنتهى الانقياد الأعمى لكهنتهم وشيوخهم؟

ولنُصغي إلى مايرويه لنا متّى عمّا حدث بعد ذلك وعن الخطوة التي خطاها الحاكم بيلاطس بعدما يئس من اليهود ومن كهنتهم وشيوخهم. قال : (فلّما رأى بيلاطس أنّه لاينفع شيئاً، بل بالحريّ يحدث شغب، أخذ ماءً وغسل يديه قُدّام الجمع قائلاً : إني بريء من دم هذا البارّ. أبصروا أنتم.)(3). فما أعظم هذه الخطوة التي أقدم عليها بيلاطس دلالةً على يأسه من اليهود من جهة، وعلى التّعبير عمّا يدور في أعماق قلبه من مشاعر إنسانية لصالح المسيح الناصري. فما كانت هناك من حاجةٍ لبيلاطس أن يفعل ذلك، لولا ماكان يضطرم في فؤاده من لهيب الصّراع النفسي في نفسه.

ولابدّ للمرء أن يتساءل هنا عن ردّة فعل الجماهير اليهودية الغاضبة تجاه مافعله

---

(1) - إنجيل متى ٢٠/٢٦

(2) - إنجيل متى ٢٢/٢٦

(3) - إنجيل متى ٢٤/٢٦

بيلاطس، وماطلبه منهم. فهذا انجيل متى يروي لنا ردّة فعلهم ويقول : (فأجاب جميع الشّعب وقالوا : دَمُهُ علينا وعلى أولادنا)(١). وماذنب أولادهم أن يحشروهم فيما يفعلونه بالمسيح الناصريّ؟

إلى هنا أكون قد أعطيت القارىء صورة كاملة عمّا رواه إنجيل متّى حول ماحدث قبيل واقعة صلب المسيح الناصريّ.

وإنجيل مرقس لايختلف كثيراً في روايته عمّا رواه إنجيل متّى. وكل ماهنالك أنه توسّع في الكلام عمّا قدّمه رؤساء الكهنة من حُجج واهية لاقناع بيلاطس بإدانة المسيح. فمرقس روى لنا قول هؤلاء : (وجدنا هذا ـ يقصدون المسيح ـ يُفسد الأمّة، ويمنع أن تُعطى جزية لقيصر قائلاً : إنّه هو مسيحٌ ملك. فسأله بيلاطس قائلاً : أنت ملك اليهود؟ فأجابه وقال : أنت تقول. فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع : إنّي لا أجد عِلّةً في هذا الإنسان.)(٢).

وهنا يروي مرقس أنّ بيلاطس أرسل وهو موقوف إلى حاكم الجليل هيرودس المجاور له في ولايته ليحاكمه. لكنّ هيرودس وجده بريئاً أيضاً وأعادة إلى بيلاطس. وهنا يروي مرقس ويقول : (فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب وقال لهم : قد قدمتّم إليّ هذا الإنسان كمن يُفسد الشّعب. وها أنا قد فحصت قُدّامكم، ولم أجد في هذا الإنسان علّة ممّا تشتكون به عليه ولاهيرودس أيضاً. لأني أرسلتكم إليه. وها لاشيء يستّحق الموت صُنع منه. فأنا أؤدّبه وأُطلقه. وكان بيلاطس مُضطراً أن يُطلق لهم كُلّ عيدٍ واحداً. فصرخوا بجملتهم قائلين : خذ هذا، وأطلق لنا باراباس، وذلك كان قد طُرح في السّجن لأجل فتنةٍ وقتل حدثت في المدينة.)(٣).

ويشارك إنجيل لوقا إنجيلي متى ومرقس فيما رووه لنا. ويزيد على ذلك ويقول حكاية عن بيلاطس أنّه : (فناداهم أيضاً بيلاطس، وهو يريد أن يُطلق يسوع. فصرخوا قائلين : إصلبه إصلبه. فقال لهم بيلاطس ثالثة : فأيّ شرّ عمل هذا ؟ إنّي لم أجد فيه علّة للموت، فأنا أؤدّبه وأُطلقه) أي أنه أعاد اقتراحه الأول للمرة الثالثة أما اليهود (فكانوا يُلّحون بأصواتٍ عظيمةٍ

(١) – إنجيل متّى ٢٥/٢٦

(٢) – إنجيل مرقس ٢/٢٣

(٣) – إنجيل مرقس ١٤/٢٣

طالبين أن يُصلب. فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة. فحكم بيلاطس أن تكون طلبتهم..)(١) .

وإنجيل يوحنّا يروي لنا زيادة على ماروته الاناجيل الثلاثة، أقول يروي لنا الحوار المنطقي الذي دار بين الحاكم بيلاطس وبين المسيح الناصري ويقول: (بيلاطس سأل : أنت ملك اليهود؟ أجابه يسوع : أمن ذاتك تقول هذا، أم آخرون قالوا لك عنّي؟ ـ واعتراض المسيح في محلّه ـ أجابه بيلاطس : ألعلّي أنا يهودي ؟ ـ بمعنى أنّك تدري أنني روماني ـ أُمّتك ورؤساء الكهنة أسلموك إليّ، ماذا فعلت؟ أجاب يسوع : مملكتي ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم، لكان خُدّامي يُجاهدون لكي لا أُسلَّم إلى اليهود. ولكن الآن ليست مملكتي من هنا)(٢) وجاء جواب المسيح في محلّه ومنطقيّ أيضاً. ولايجيب بمثل هذا الجواب المنطقي إلاّ من كان نبيّاً. فلو كان مبعوثاً ليموت على الصليب ليصبح كفّارة عن الذّنوب، لَواجَهَ بيلاطس بهذه الحقيقة ولَطَالب بالتعجيل بصلبه.

فلّما انتهيت من تصوير ماعرض لنفسيّة الحاكم بيلاطس من تقلُّبات وتطوّرات حملته على تَبْييت خطةٍ لإنقاذ المسيح من الموت على الصليب، وذلك من النّصوص الإنجيليّة نفسها بلا زيادةٍ ولانُقصان. أنتقل بالقارىء خطوة أخرى لأضع بين يديه خيوط هذه الخطّة التي أمسكت بها ومن الأناجيل نفسها.

فأنا تساءلت قبل ذلك : هل كانت لبيلاطُس مصلحةٌ حقيقية في موضوع وضع هذه الخطّة الهادفة إلى إفشال مُخطَّط اليهود لإماتة اليهود مقتولاً على الصّليب؟ وقد تبيّن لي أنّ بيلاطس أضحى صاحب مصلحة في ذلك نتيجة التطوّرات التي استقينا معلوماتها من الأناجيل، وللأسباب التّالية :

أولاً ـ فقد كان على بيلاطس تنفيذ القانون الرّوماني الذي لايُدين المسيح الناصريّ بأيّ شكلٍ من الأشكال، فهو تيقّن أنّ القانون لايُدين المسيح بل يبرّئه ويُطالب بالإفراج عنه. وهو مسؤول عن ذلك تجاه الامبراطور الذي عيّنه والياً على فلسطين. فلم علم الامبراطور بقتله رجلاً بريئاً كالمسيح الناصري مثلاً، فلا بدّ أن تُساء سُمعته، ويُعاقب أيضاً. من هذه النّاحية يتّضح لي كباحثٍ

---

(١) - إنجيل لوقا ٢٠/٢٣

(٢) - إنجيل يوحنا ٣٣/١٨

أنّ بيلاطس من هذه الناحية أضحى صاحب مصلحة شخصية لوضع خطّـة تنفـذ المسـيح النـاصري من محنته.

ثانياً ـ ثم إنّ اليهود أهانوا بيلاطس يوم هدّدوه، على حسب مارواه إنجيل يوحنـا وقـال: (من هـذا الوقت كان بيلاطس يطلب ـ من اليهود ـ أن يُطلق سراح المسيح ـ ولكن اليهود كـانوا يصرخـون قائلين : إنْ أطلقت هذا فلست مُحبّاً. كلّ من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر ـ أي أنّ اليهود هـدّدوا بيلاطس بهذا الأسلوب المُوارب غير السّـديد، وتوعـدوه. ويكونـون بذلـك قـد استهانوا بكرامـة بيلاطس نفسه. وهو الذي لم يتحيّز إلى طرف من هذين الطّرفين، حتى يُوجّه إليه هذه الإهانة وهـذا التهديد. وبيلاطس تجاه هذه الإهانـة لايسـتطيع إنقـاذ كرامتـه إلاّ إذا وضـع خطّـة لانقـاذ المسـيح الناصري خلافاً لمشيئة اليهود الغوغاء. وهكذا أرى أنّ بيلاطس مـن هـذه الناحيـة أصبـح صـاحب مصلحة في أمر إنقاذ المسيح من محنته.

ثالثاً ـ ثم إنّ الرؤيا المُرعبة التي رأتها زوجة بيلاطس والتي استيقظت من نومها فأرسلت إلى زوجهـا تخبره وتُحذّره من محاولة ايذاء المسيح البارّ كما سمّته هي. لابُدّ أن تكون هذه الرؤيا قد أثرت علـى بيلاطس نفس التأثير الإيجابي لصالح إنقاذ الذي تريد إنقـاذه وهـو المسيح النّاصري الـذي أسـلمه اليهود إليه حسداً، ولايملكون ضدّه أيّة بيّنةٍ ودليل يدينه ويستوجب له الموت على الصلّيب.

وكيـف لايتـأثر بيلاطـس في أعماقـه بهـذا التأثـير الإيجـابي، والـتي أخبرتــه هــي رفيقــة حياته، ولامصلحة لها في موضوع صلب المسيح ولا في إنقاذ منه. والرّومـان كـانوا في ذاك التـاريخ وثنيّون، تأخذ مثل هذه الرؤيـا بأعصـابهم وتهزُّهـا هـزّاً عميقـاً. ولابُـدّ أن يكـون قـد سـيطر علـى بيلاطس من جرّاء هذه الرؤيا هاجسٌ راح يدفعه لينقذ المسيح من الموت على الصليب بكلّ وسـيلةٍ يملكها، فهو الآمر الناهي في ولايته.

فمن هذه الناحية أُضمّن أنا أنّ بيلاطس أمسى يؤمئذٍ صاحب مصلحةٍ في إنقاذ المسيح في محنته. فهذه أسباب ثلاثة تكفي لتولّد القناعة في نفسي أنّه صـاحب مصلحة في ذلـك، إجابـة علـى السؤال الذي تساءلته في حديث نفسي كما ذكرت.

(١) - إنجيل يوحنّا ١٢/١٩

وبعد أن تولـدت لـديّ هـذه القناعـة، رُحت أتلّمـس خيـوط هـذه الخطّـة السـرّية الـتي افترضت أنّ الحاكم بيلاطس خطّط لها لإنقاذ المسيح الناصري، كيلا تعود لأمـبراطوره حُجّةٌ عليـه إن هو صلب المسيح دون بيّنةٍ تدينُه، وليردّ على الإهانـة الـتي أهانـه اليهـود بهـا، فـيردّ صـاعهم بصاعين ويفشّل مخطّطـاتهم، وليُهـدّىء مـن عواطـف زوجتـه صاحبـة الرؤيـا المخيفـة الـتي أرعبتهـا وأرعبته. وقد وقعت في يديّ هذه الخيوط لتلك الخطّة، والتي التقطتهـا مـن ثنايا سـطور الروايـات الإنجيلية نفسها وهي :

أولاً - جرت عادة الحُكّام الرّومان أن يُعلّقوا المحكوم عليـه بـالصّلب، مـن أول يـومٍ مـن الأسـبوع. وذلك ليظلّ هذا مُعلّقاً طوال الأسبوع ويموت جوعاً وعطشـاً. وعلـى اعتبـار أنّ سـاعات لاتكفـي لموته على الصّليب.

والذي جرى في واقعة الصّلب هذه، أنّ بيلاطس راح يُماطل اليهـود ويُمـاطلهم، إلى أن جاء آخر يوم من الأسبوع وهو يوم الجمعة الذي كانوا يُسمّونه "يوم التّهيئة"، تهيئـة لدخـول عيـد يوم السّبت.

ولم يأمر بيلاطس بصلب المسيح إلا بعد أن أتت السّاعة الثالثة من بعد ظهر الجمعة، على حسب ماثبت من رواية إنجيل مرقس: (وكانت الساعة الثالثة فصلبوه.)(١). وبذلك فلم يبق لدخول يوم السّبت إلا ساعات تُعد على الأصابع، وكـان لابُـدّ مـن إنـزال المسـيح حينئـذٍ وكسـر سـاقيه للقضاء عليه.

ولاتحدث مثل هذه المُماطلة صدفة وعبثـاً واعتباطـاً، بـل تخطيـطٍ مـن بيلاطـس مقصـود. ولولا ذلك لكان انتبه بيلاطس إلى مابدر منه، ولكـان إذ قـرّر صلـب المسـيح، عمـد إلى اسـتمهال اليهود ليصلبه لهم اعتبـاراً مـن صبـاح أول يـوم مـن الأسـبوع الـذي بعـده، ليبقـى المسـيح طـوال الأسبوع مُعلّقاً ويموت جوعاً وعطشاً. ويشفون منه غليل حقدهم الديني الدّفين.

والذي أميل إلى الاعتقاد به أنّ بيلاطس فعل مافعله بدافعٍ من خطّةٍ في نفس يعقوب كما يقولون. ولايعقل أن يترك هذه الفرصة تفلت من يديه، إن كان يريد إرضاء اليهود.

---

(١) - إنجيل مرقس ٢٥/١٥

ثانياً ـ وقد لاحظنا كيف أن إنجيل يوحنا روى لنا قوله : (وأمّا يسّوع فلّما جاؤوا إليه لم يكسروا ساقيه، لأنّهم رأوه قد مات. لكّن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربةٍ، وللوقت خرج دمٌ وماء.)(1).

والذي أثار ريبتي هو أنّ رئيس الجند لم يأخذ للبيّنة التي قدّمها له الجندي بصورة علميّة، وهو أصرّ على ألاّ يكسر الجندي ساقي المسيح الناصري على أنه مات. فلا يُقدم على هذه الخُطوة إلا من سبق أن كان قد تلقّى أمراً من بيلاطس نفسه ألاّ يحاول كسر ساقي المسيح بأية صورةٍ كانت.

فإن صحّ مارابني فلا بدّ أن كانت هناك خطّة في ذهن بيلاطس، وكانت هذه الوصية لرئيس الجند إحدى حلقاتها، وذلك لانقاذ المسيح الناصري من الموت على الصليب.

أضف إلى ذلك أنّ اليهود كانوا يراقبون مايجري. وهم الذين طالبوا بكسر سيقان الثلاثة المصلوبين، وفق ماذكره إنجيل يوحنا من أنّه : (سأل اليهود بيلاطس أن تكُسر سيقانهم ويُرفعوا.)(2).

فاليهود، بالرغم أنّهم شاهدوا المسيح مُنكّس الرأس على الصليب، فلم يستثنوه من طلبهم المذكور. وقد كان من واجب بيلاطس ورئيس جُنده أن يكسروا ساقي المسيح كما كسروا ساقي اللّصين الآخرين.

لذلك فقد مِلْتُ للإعتقاد أنّ استنكاف رئيس الجند عن كسر ساقي المسيح الناصري، لم يأت عبثاً ولاصدفة ولا اعتباطاً. لكنّه حدث وفق خطّة مرسومة في ذهن بيلاطس لينقذ المسيح من محنته، وهذا ماكان. فقد أفلت المسيح الناصري المخدّر من كسر ساقيه ونجى من الموت على الصّليب.

ثالثاً ـ والمعلوم قانوناً وعُرفاً أنّ جُثّة المصلوب أو المعدوم، تُسلّم إلى أهله أو إلى أحدٍ من أقاربه. لكنّ الذي حدث في واقعة الصّلب المذكورة أنّ بيلاطس أمر بتسليم جُثّة المسيح الناصري إلى يوسف الرّاميّ. هذا الرجل الذي كان مستشاراً عند بيلاطس نفسه، وكان مؤمنا سرّاً بالمسيح أيضاً كما يستفاد من الروايات الانجيلية نفسها التي سبق أن ذكرناها.

---

(1) – إنجيل يوحنا ١٩/٣٣

(2) – إنجيل يوحنا ١٩/٣٢

حدث هذا، بالرّغم من أن انجيل يوحنا ذكر لنا أنّـه : (وكانت واقفاتٌ عند صليب يسّوع أمُه وأخت أمّه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدليه.)(١). فهل يُعقل أن يحدث ذلك صدفة دون تخطيطٍ سابقٍ من بيلاطس نفسه الذي يثق بمستشاره يوسف المذكور.

فلابدّ تجاه هذا الأمر أن يتساءل المرء بداهةً : كيف اتّفق أن مرّ يوسف الرّامي من هناك؟ ومن أين يأتي ليوسف الرّامي أن يُحضر الاكفان والطيّب جميعاً في وقت ذهب أصحاب المحلاّت إلى دورهم ليَسبتوا فيها وفق تعاليم شريعتهم؟ ومن أين تأتّى أن يكون موقع الصّلب قريباً من القبر المحنور في الجبل حديثاً والعائد ليوسف الرّامي؟ وكيف لم يتقدّم أحدٌ من تلاميذ المسيح وأمه وأقاربه مطالبين بجثّته؟ فهذه تساؤلات يتساءلها المُحقّقون والباحثون في مثل هذه المناسبات.

ولايجد إجابات مُقنعةٍ على هذه التساؤلات إلا في حالةٍ واحدةٍ وهي أن نعتقد بوجود خطّةٍ غير مُعلنةٍ، كان بيلاطس قد وضعها وخطّط لها ونفذّها بهذه الدّقة من الحذر والاحياط. ولايُستبعد عن حاكمٍ رومانيٍ أن يكون على هذا المستوى من الحنكة والدّهاء وهو يحكم غوغاء كاليهود.

رابعاً ـ وموضوع المخدّر الذي حمله بعض الجنود، وهو عبارة عن مزيج خلٍ ومرارة، وكان يستعمله أطباء ذاك الزمان لتخدير مرضاهم قبل إجراء العملية الجراحية التي يريدون إجراءها لهم. فأصحاب الأناجيل كانوا يذكرون تارة خلاً وحده، وفي رواية خلاً ومرارة وفي رواية خمراً ومرّ. إن هذا الاختلاف الذي تراءى في الأناجيل حول هذا الشّراب إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على جهلهم بحقيقته وبالمقصد من إحضاره. فجميع هذه الروايات، لايُعقل إلاّ أن تكون واحدة في أصلها، وحوّر فيها رواتها وبدّلوا وزادوا وانقصوا، وانتهت إلى ماسمعها عنهم الذين كتبوا هذه الأناجيل.

فلا يُعقل أن يعلم الجند وسواهم أن المصلوب يُترك دون ماء وطعام ليموت جوعاً ومع ذلك يأتي هؤلاء بهذا الشّراب.

والذي يتدبّر مارواه يوحنا، والذي قال: (بعد هذا رأى يسوع أنّ كُلّ شيء قد كملُ، فلكي يتمّ الكتاب، قال أنا عطشان. وكان إناءٌ مملوءٌ خلاً. فملؤوا إسفنجةً من

---

(١) إنجيل يوحنا ١٩/٢٥

الخلّ، ووضعوهاعلى زوفا وقدّموها إلى فمه. فلّما أخذ يسوع الخلّ قال : قد أكمل ـ أي تم كلّ شيء كما في طبعة عام ١٩٨٩م ـ ونكّس رأسه وأسلم الرّوح.)(١).فما معنى أن يقول المسيح "إنه عطشان لكي يتم الكتاب"، ولايطلب أحدٌ غيره من المصلوبين معه أي شراب ليشربوا، ولايقول أيٌّ منهم إني عطشان؟

فما معنى أن يقول المسيح "إنه عطشان لكي يتم الكتاب"، ولايطلب أحدٌ غيره من المصلوبين معه أي شراب ليشربوا، ولايقول أيٌّ منهم إني عطشان ؟

ثم مامعنى أن يروي يوحنا قول المسيح : (رأى يسوع أنّ كلّ شيء قد كمل، ويعللّه بقوله (فلكي يتم الكتاب). وقد كان من واجب يوحنّا أن يشرح لنا ذلك ويدلُّنا على المصدر الذي استقى منه قوله المذكور. أمّا أنا كباحث لاأرى معنىً لما نقله انجيل يوحنّا إلا دلالته على وجود خطّة مُتّفق عليها مابين بيلاطس وبين المسيح الناصري. وهذه الخطّة هي ماأشير إليه على لسان رواة يوحنا (فلكي يتمّ الكتاب) وأنّ يسوع رأى أنّ كلّ شيء قد كمُل.

وإنّ الباحث المدقّق ليتساءل نفس التساؤلات التي أوردناها عند رواية تسلمّ يوسف الراميّ لجُثّة المسيح. نتساءل : من أين أحضروا القصبة التي وضعوها على طرفها إسفنجة؟ وكيف تأتّى هم أن يجدوا إسفنجة في تلك اللحظات ومن الذي أحضرها هم؟

ومادام المُعلّق على الصليب يُترك ليموت جوعاً وعطشاً، فلِمَ لم يمانع الجند ويحولوا دون سقاية المسيح؟ والعطشان يريد ماءً ليُطفيء ظمأه، فما معنى أن يسقوه هذا الخلّ؟

أجل، يجد الباحث إجابات لجميع هذه التّساؤلات وذلك في حالة واحدة وهي أن يعتقد بوجود خطّةٍ سريّةٍ خطّط لها بيلاطس، ونفذّها بهذه الدّقة من الحذر والاحتياطات. وسبق أن قلت إنّه لاتستُبعد عن حاكمٍ رومانّي مثل هذه الحنكة والدّهاء.

أقول : هذه خيوط هذه الخطة غير المعلنة التي وضعها بيلاطس لانقاذ المسيح الناصري من الموت على الصّليب. وكان الهدف الخفيّ منها أن يستعيد بيلاطس بذلك كرامته الإنسانية ويُرضي رفيقة حياته، ويتّقي غضب الامبراطور الروماني عليه، خصوصاً وأنّ بيلاطس كان هو الحاكم بأمره في منطقته، ويملك زمام الأمور في ولايته، وقادراً على إتخاذ مثل هذه الخطّة وهذه الخطوات.

---

(١) – إنجيل يوحنا ٢٨/١٩

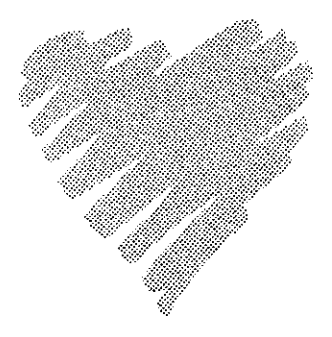
وأنا إذ أمسكت بهذه الخيوط التي ساعدتني على اكتشاف الخطّة المذكورة، أكدّت لي صحّتها القرائن العديدة التي سبق أن أتيت على ذكرها سابقاً. فمن تلك القرائن، النبوءة التي تنبأها المسيح نفسه قبل واقعة صلبه والتي أفردت لها فصلاً خاصاً في كتابي هذا فليعد القارىء إليه. فتلك النبوءة أنبأت كما أثبت هناك، أن واقعة الصلب ستشبه واقعة الحوت الذي ابتلع يونان النبي. وكما ظلّ يونان في بطن الحوت حيّاً وخرج منه حيّاً، كذلك سيحدث هذا الأمر نفسه للمسيح الناصري يدخل القبر حيّاً ويخرج منه حيّاً ولايموت على خشبة الصّليب. ويتحقّق هذا جميعه بأسباب يهيئها الله عز وجل الذي أرسل المسيح الناصري ليحميه من مكيدة اليهود، ووفقاً لما ورد في سفر المزامير ١٢/٣٤ (البارّ المتألّم محميٌّ في محنته.). وكنت أثبت أنّ عقيدة كفّارة المسيح هي عقيدة لاحقة للاعتقاد بموت المسيح على الصليب، وتعليلٌ علّله بولس الرّسول، ولا أساس لها في التعليم التوراتيّ ولا التعليم القرآني الذي يقول (لاتزر وازرة وزر أخرى).

فقرينة النبوءة المذكورة، وقرينة سفير المزامير ٢١/٣٤، وخيوط الخطّة التي شرحتها وملابساتها جميع هذه الأمور أكّدت لي أنّ الله عز وجلّ الذي أرسل المسيح "إلى خراف بيت اسرائيل الضاله" أي إلى جميع أسباط بني اسرائيل، الموجود منها في فلسطين آنذاك، والأسباط الشتات خارجها. أقول إنّ الله الذي يُدافع عن مرسليه وأنبيائه ويحميهم في الأزمات، لابُدّ أنّه ألقى في روع الحاكم بيلاطس أن يُخطّط ماخطّطه وأن يفعل مافعله، حمايةً منه عز وجلّ لبنيّه المسيح الناصريّ مّما كاد له اليهود وخططوا له لقتله هذه القتلة الشّنيعة على الصليب.

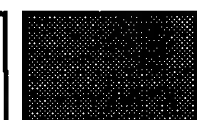
وأنا، عندما توضّحت لي هذه الأمور التي تثبت عدم موت المسيح الناصري على الصليب، توضّح لي سرّ قول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ولكن شُبّه لهم﴾ وقوله ﴿ وماقتلوه يقيناً.﴾. وتملكّتني نشوةٌ روحيّة مابعدها نشوة. ويكفي أنني وجدت، على حسب مأرى، أنّ الاعتقاد بعدم موت المسيح الناصري على الصليب هو مفتاح توحيد اليهود والنصارى والمسلمين جميعهم على صراطٍ مُستقيم واحد، فما اختلف اليهود والنصارى والمسلمون إلاّ لسبب أنّهم انطلقوا في هذه العقيدة انطلاقة خاطئةً فرّقت بينهم، ومزقّت المودّة الإنسانية من صدورهم. في وقت يعتقد فيه هؤلاء جميعهم أنّ الذي خلقهم هو إلهٌ خالق واحد.

وقد يسألني هنا سائل: مادام المسيح الناصري لم يمت على الصليب وكان مُكلّفاً بتبشيريقيّة أسباط اليهود، فماذا بشأن فترة مابعد حادثة الصلب؟

والجواب سيجده القارىء في الباب الثالث من هذا الكتـاب والـذي خصصتـه للجـواب على هذا السؤال بعينه.



الباب الرابع





١- مصير المسيح حسب الأناجيل

أما وقد فرغت من اثبات عدم موت المسيح الناصري على الصليب. أجد من واجبي بيان ماأتت به الأناجيل الأربعة بما يتعلق بمصيره الذي آل إليه.

١ - ١ - مصير المسيح في انجيل يوحنا :

لم يتطرّق انجيل يوحنا إلى موضوع المصير الذي آلَ إليه المسيح الناصري بعد نجاته من الموت على الصليب، لا من قريبٍ ولا من بعيد. وهو أنهى انجيله بالجملة التالية حيث قال : (وأشياء كثيرة صنعها يسوع إن كُتبت واحدةً واحدةً، فلستت أظنّ أنّ العالم نفسه يسع الكُتب المكتوبة. آمين.)(١). والظاهر من هذه الجملة أنّها مبالغة كلامية لاتنزل في ميزان ولاقبان كما يقولون. قالها عن شاب لم يتجاوز عمره الثالثة والثلاثين يوم تعرض لمحاولة صلبه. ويوحنّا لم يفكّر حين كتب هذه الجملة ولا للحظةٍ واحدة أنه وماضرورة اظهار المسيح الناصري لهذه العجائب كلها، مادامت لم تُودّ إلاّ إلى هداية اثني عشر تلميذاً، علماً بأنّ واحداً منهم قد خانه وسلّمه إلى رؤساء كهنة اليهود لقاء دُريهمات معدودات؟

١ - ٢ - مصير المسيح في انجيل لوقا :

وإنجيل لوقا تطرّق إلى ذكر مصير المسيح الناصري في الاصحاح الأخير منه حيث قال هناك : (وأخرجهم خارجاً إلى بيت عَنْيا، ورفع يديه وباركهم. وفيما هو يباركهم، انفرد عنهم وأُصْعِدَ إلى السّماء. فسجدوا له، ورجعوا إلى أورشليم بفرحٍ عظيم. وكانوا كُلّ حين في الهيكل يسبحون ويُباركون الله. آمين.)(٢). وكلمة (أُصعِد) تعني أنّ المسيح ماكان يملك قدرة ذاتيه على الصعود إلى السماء. وأيّ موضعٍ من السّماء؟ وما المقصود هنا بالسّماء؟ فلا غير هذه

(١) - إنجيل يوحنا ٢١/٢٤

(٢) - إنجيل لوقا ٢٤/٥٠

التساؤلات في هذا النّص أيّ جوابٍ كان.

١ - ٣ - مصير المسيح في انجيل مرقس :

وإنجيل مرقس تطّرق إلى ذكر مصير المسيح الناصري في الاصحاح الأخير فهـو استعمل للمسيح صفة (ربّ)، وقال (ارتفعَ) وليس (أُصْعِد). وزايد علـى لوقـا وقـال : (وجلس عن يمين ا لله). ولا أدري هل رأى مرقس المسيح الناصري وهو يجلس عن يمين ا لله؟ أم أنّه يروي لنا ماسمعه من رواته؟

١ - ٤ - مصير المسيح في انجيل متّى :

وإنجيل متّى تطرّق إلى ذكر مصير المسيح الناصري في الإصحاح الأخير منه وقال :عنه (دُفع إليّ كلّ سلطان في السّماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والرّوح القُدس. وعلّموهم أن يحفظوا جميع ماأوصيتكم به، وها أنا معكم كلّ الأيّام إلى انقضاء الدهر. آمين.)(١).

أمّا كيف أصبح حال المسيح بعد أن دُفع إليه كلّ سُلطان، ولِمَ لَمْ يُظهر نفسه لليهود بالحال الجديد. ثم كيف نوفّق بين (تلمذوا جميع الأمم) وبين (لم أُرسل إلاّ إلى خراف بيت اسرائيل الضالة)؟ ومن أين ابتدع متّى جملة (وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس)؟ التي لانجد لها أصلاً في أيّ إنجيلٍ كان. ثم مامعنى أن يكون معهم إلى انقضاء الدهر؟ وهل لايكون معهم بعد انقضاء الدهر؟ وما المقصود من الدّهر؟ فهذه أسئلة لم يتطرق إنجيل متى ليجيب عنها بأي شكل من الأشكال.

خلاصة ماذكرناه : فمن ملاحظة مااقتبسناه للقارىء من هذه الأناجيل الأربعة، يتبيّن لنا بكل وضوح أن الذين كتبوا هذه الأناجيل لم يتفّقوا على أمرٍ واحدٍ فيما يتعلّق بمصير المسيح بعد نجاته من محاولة إماتته على الصليب.

فإنجيل يوحنا لايذكر شيئاً من ذلك. وإنجيل لوقا يذكر أن المسيح بارك تلاميذه وأُصعِد إلى السّماء دون أن يوصي تلاميذه بشيء. وإنجيل مرقس يذكر أنّ المسيح كلّم تلاميذه وارتفع إلى السّماء بنفسه، وجلس عن يمين ا لله، وكأنّ ا لله بجسم بحجم جسم المسيح أو أضخم بقليل.

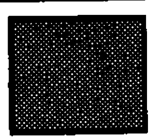
---

(١) - إنجيل متّى ٢٨ / ١٦

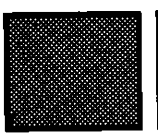
من هذا كلّه نُدرك أن الأناجيل لم تتفق على أمرٍ مُحدّدٍ معقول ومُبَرهنٍ عليه. فيما يتعلّق بمصير المسيح الناصري بعد نجاته من الموت على الصليب، وظهوره لتلاميذه واجتماعه معهم.

والنتيجة التي نستخلصها ممّا ذكرناه واحدة، وهي أنّ الذين كتبوا هذه الأناجيل، لم يكتبوها كمحققين باحثين عن الحقيقة. بل كتبوها وبَوبّوها ورتّبوها على أساس ما وصلهم من رواياتٍ دون النظر في حقيقة وصدق هذه الروايات. وبألفاظٍ أخرى نقول الأناجيل قِصصٌ دراميّة على حسب مافهمناه من مُعطياتها.





٢- كيف تولّدت عقيدة كفّارة المسيح



كيف تولّدت عقيدة "كفارة المسيح" لدى المسيحيين؟ ومن كان وراء نشوئها؟ هذا مابحثت عنه. وقد وجدت الإجابة فيما كتبه رجال الكنيسة أنفسهم حيث قالوا :

(ويبدو أنّ المسيحيّين حتى مايقارب من السنة (١٥٠) تدّرجوا من حيث لم يشعروا بالأمر، إلاّ قليلاً جدّاً، إلى الشّروع في إنشاء مجموعة جديدة من الأسفار المقدّسة. وأغلب الظّن أنّهم جمعوا في بدء أمرهم رسائل بولس واستعملوها في حياتهم الكنسيّة.. فقد كانت الوثائق البولُسيّة مكتوبة، في حين أن التقليد الإنجيلي كان لايزال في معظمه مُتناقلاً عن ألسنة الحُفّاظ. فضلاً عن أن بولس نفسه كان قد أوصى بتلاوة رسائله وتداوُلها بين الكنائس المتجاورة (١ تس ٥/٢٧ وقول ٤/٦) ومهما يكن من أمر فإنّ كثيراً من المؤلفين المسيحيين أشاروا منذ أوّل القرن الثاني إلى أنهم يعرفون عدداً كبيراً من رسائل كتبها بولس، فيمكننا أن نستنتج من ذلك أنّه أُقيمت من غير إبطاء مجموعه من هذه الرّسائل، وأنّها انتشرت انتشاراً واسعاً سريعاً لِما كان للرسول بولس من شُهره..

ولايظهر شأن الأناجيل هذه المُدّة ظهُوراً واضحاً، كما يظهر شأن رسائل بولس.. ومهما يكن من أمر، فليس هناك قبل السنة (١٤٠) أي شهادة تثبت أنّ الناس عرفوا مجموعةً من النّصوص الانجيلية المكتوبة، ولايُذكر أنّ لمؤلّف من تلك المؤلّفات صفة مايُلزم.

فلم يظهر إلاّ في النصف الثاني من القرن الثاني شهادات ازدادت وضوحاً على مرّ الزّمن بأنّ هناك مجموعة من الأناجيل، وأنّ لها صفة مايُلزم. وقد جرى الاعتراف بتلك الصّفة على نحوٍ تدريجيّ. وابتدأ نحو السّنة (١٥٠) عهدٌ حاسمٌ لتكوين العهد الجديد..)[١].

نستنبط مّما اقتبسناه أن رسائل "بولس" كانت هي المتداولة قبل تأليف الأناجيل وتداولها بين المسيحيّين.

وأنا عُدت إلى رسائل بولس التي احتواها " أعمال الرّسل " المُلحق بالأناجيل المعاصرة

(١) – مقدمة الكتاب المقدّس المطبوع في بيروت – لبنان عام ١٩٨٩ م – الصفحة (٨).

فتبيّن لي بكلّ وضوح أنّ بولس المذكور هو الذي ابتدع عقيدة (كفّارة المسيح) تعليلاً منه لموت المسيح الناصري على الصّليب. ولم يحقّق هو بنفسه في مدى صحّة ماوصله من روايات متعلّقة بحادثة الصّلب. فسلم بموت المسيح بشكلٍ طبيعيّ.

ذلك أن بولس كتب في رسالته إلى أهل قورنتس ١٥/٣ يقول، في وقتٍ لم يكن للأناجيل من وجود : (وهو أنّ المسيح مات من أجل خطايانا، كما ورد في الكُتُب، وأنّه قُبر وقام في اليوم الثالث كما ورد في الكتب..) ويعلم القارىء أني أثبت من قبل أن المسيح الناصري لم يبق في قبره أكثر من يومٍ ونصفٍ فقط. وبذلك يكون بولس قد ارتكز إلى أساسٍ فاسدٍ، وماقام على فاسدٍ فهو فاسدٌ أيضاً. وعليه فقول بولس (إنّ المسيح مات من أجل خطايانا) هو قول لايستند إلى حقيقة مطلقاً.

ثم إن بولس المذكور ماكان تلميذاً للمسيح، بل كان في حياة المسيح من ألدّ أعداء المسيح. وها أنّه بولس يعترف بهذه الحقيقة في رسالته إلى أهل غلاطيه ١/١٣ ويقول فيها : (فقد سمعتُم بسيرتي الماضية في ملّة اليهود. إذ كنت أضطهد كنيسة ا لله غاية الاضطهاد، وأحاول تدميرها..).

وراح بولس المذكور يصيغ عقيدة "كفارة المسيح" في رسالته إلى أهل روما الاصحاح العاشر ويقول : (فإذا شهدت بفَمِكَ أنّ يسّوع ربّ، وآمنت بقلبك أنّ ا لله أقامه من بين الأموات، نِلْتَ الخلاص. فالإيمان بالقلب إلى البرّ، والشهادة بالفمّ تؤدي إلى الخلاص.). فهذه الألفاظ دفع بولس المسيحيين يوم لم تكن الأناجيل مكتوبة، إلى فهم "كفارة المسيح" بهذا الفهم الوارد في رسالته.

وقد حوّل بولس المذكور رسالة المسيح القومية، فنزع عنها صفتها القومية، وألبسها لباس الرسالة العالمية مخالفاً قول المسيح نفسه (لم أُرسل إلاّ أن الخراف الضالة من بيت اسرائيل.) (١) فبولس المذكور قال في نفس رسالته إلى أهل روما : (فلا فرق بين اليهوديّ واليونانيّ. فالربّ ربُّهم جميعاً يجود على الذين يدعونه. فكل من يدعو باسم الرّب ينال الخلاص.). واصطدم مع بطرس لهذا السّبب مما تجدونه في أعمال الرسل.

---

(١) – إنجيل متى ١٥/٥.

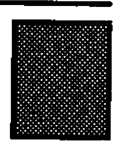
وقد شعر بولس المذكور بضرورة إيجاد فلسفة لكلمة الخلاص المستندة إلى عقيدة الكفّارة التي ابتدعها للمسيحيين في ذاك الزمان. فكتب إلى أهل رومه ٧/ ٢٠ يقول : (لأنّ شريعة الرّوح الذي يهب الحياة في يسوع المسيح، قد حرّرتني من شريعة الخطيئة والموت. فالذي لم تستطعه الشريعة والجسد قد أعياها، حقّقه ا لله بإرسال إبنه في جسدٍ يُشبه الخاطيء، كفّارةً للخطيئة. فحكَمَ على الخطيئة في الجسد، ليتمّ فينا ماتقتضيه الشّريعة من البرّ. نحن الذّين لايسلكون سبيل الجسد بل في الرّوح.. والذين يَحْيَون في الجسد لايستطيعون أن يُرضوا ا لله. أمّا أنتم فلستم تحيون في الجسد بل في الرّوح، لأن الرّوح حالٌّ فيكم. ومن لم يكن فيه روح المسيح، فما هو من خاصّته.).

وراح بولس المذكور، يُصوّر موت المسيح الناصري على الصليب وكفّارته التي ابتدعها، أنّها نعمةٌ إلهية حُرم منها الذين ولدوا قبل ولادة المسيح. فهو قال في رسالته المذكورة إلى أهل روما : (.. ذلك بأنّ جميع النّاس قد خَطِئوا، فحُرموا مَجْدَ ا لله. ولكنّهم بُرروا مجّاناً بنعمته، بحكم الفداء الذي تمّ في المسيح يسّوع. ذاك الذي جعله ا لله (كفّارةً في دمه) بالإيمان، ليُظهر برّه، بإعفائه عن الخطايا الماضية في حِلمه تعالى، ليُظهر برّه في الزّمن الحاضر..).

والذي يتبين لي من جميع ماأوردته أنّ رسائل بولس المذكور ابتدعت كفّارة المسيح، استناداً إلى أساسٍ فاسد وهو أنّ المسيح مات على الصليب ودُفن وقام من بين الأموات بعد ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، وهو ماأثبت بُطلانه.

ولايُستبعد أن يكون الذين كتبوا هذه الأناجيل التي بين أيدينا استقوا بعض معلوماتهم الفاسدة مما وصل إلى أيديهم من رسائل بولس المذكور.

والذي يحاكم عقيدة "كفارة المسيح" عقلياً، على شاكلة ما حاكمتها أنا، لاتثبت له هذه العقيدة بأيّ معيارٍ كان. فكيف يُؤخذ ابن ا لله الوحيد بجريرة خطيئة آدم وحواء؟ وأين قُدرة ا لله على العفو والغفران؟ ولايستسيغ عقلي أن يتجسّد "الرّب يسوع" في جسد الخطيئة.



٣- مصير المسيح بعد حادثة الصلب وأدلته

مادمنا قد ثبت لنا أنّ المسيح الناصريّ لم يمت على الصّليب وأنّه أُنزل من فوقه حيّاً، بل وظهر من بعد ذلك لتلاميذه أكثر من مرّة. فالسؤال الذي يواجهنا هنا هو ماهو المصير الذي انتهى إليه المسيح عليه السّلام؟ فلا بُدّ من الإجابة على هذا السؤال إجابة واضحة ومُقنعه. وأن يكون هذه الإجابة أساس من الأناجيل أيضاً.

والحقيقة هي أنّه كما وقع رواة الأناجيل في تناقضات وأخطاء تاريخيّة وتحريفات، فإنّ هؤلاء الرّواة الانجيليين لم يكونوا على مستوى تدوين ما دوّنوه، لعدم امتلاكهم ناصية البحث والتدقيق العلميين على حسب ماأثبتناه في أبحاثنا السالفة الذكر.

فأنا كباحث تتراءى لي خيوط موضوع المصير الذي آل إليه المسيح من خلال جُملةٍ كان المسيح يكرّرها في مناسباتٍ عديدة، تأكيداً على هذا المصير الذي سيؤول إليه. وهذه الجملة هي تعبير (الخراف الضالة من بيت اسرائيل). ذلك أنّ المُلاحظ أنّ المسيح عليه السّلام كان يكرر هذه الجملة، ولم ينتبه الذين كتبوا الأناجيل إلى دلالة هذا التعبير.

فالمسيح قال: (فتقدّم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين : اصرفها لأنّها تصيح وراءنا - مشيراً بذلك إلى حادثة الامرأة الكنعانية التي استنجدت بالمسيح لابنتها - فأجاب - المسيح - وقال : لم أُرسل إلاّ إلى خراف بيت اسرائيل الضالة..)(١). ولنلاحظ أنّ هذه الألفاظ احتواها إنجيل متى المُترجم من اليونانية إلى العبرية قديماً، ومطبوع على نفقة جمعية التوراة الأميركانية. وسبق أن أشرت إلى ترجمة جديدة للأناجيل قام بها اللاّتين حديثاً وطبعوها بتاريخ ٧ تشرين الثاني عام ١٩٨٩م وقد تُرجم النّص الذي اقتبسناه على النحو التالي : (فدنا تلاميذه يتوسّلون إليه فقالوا : اصرفها فإنّها تتبعُنا بصياحها. فأجاب : لم أُرسل إلاّ إلى الخراف الضّالة من بيت اسرائيل).

---

(١) - إنجيل متى ١٥ / ٢٤

ولانجد بين الترجمتين من اختلاف وإن تُرجمت جملة : (لم أرسل إلا إلى خراف بيت اسرائيل الضالة.) بتقديم وتأخير، وايرادِ للفظ (خرافِ) مُعرّفاً بالألف واللاّم. وهذا التعريف لهذا اللّفظ هو الأصح في نظري واجتهادي. لأنّه يحدّد المقصد من كلام المسيح بوضوحِ وجلاء أكثر.

والملاحظ أيضاً أنّ المترجم الجديد قد أتى بأداة التعريف هذه في موضع آخر، فقد ورد في إنجيل متى قوله : (هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً : إلى طريق أمم لاتمضوا، وإلى مدينةِ للسّامريين لاتدخلوا. بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت اسرائيل الضالة..)(١).
وهذا النّص ورد في الترجمة الجديدة : (هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قال : لاتسلكوا طريقاً إلى الوثنييّن، ولاتدخلوا مدينة للسّامريين، بل اذهبوا إلى الخراف الضّالة من بيت اسرائيل.).
وفي هذه الترجمة تقديم وتأخير وتعريف للفظ (خراف) بالألف واللام أيضاً. وهذه الترجمة هي الأصحّ في نظري واجتهادي. لأنّه يحدّد المقصد من كلام المسيح بوضوحِ وجلاءِ أكثر أيضاً.

فإضافة الألف واللاّم على لفظ (خراف)، أورده المسيح عليه السّلام لبيانِ وتخصيصِ لكلامه ودلالته. ذلك أننا إذا أمعنّا نظرنا في لفظ (خراف)، نُلاحظ أن المسيح يستعمله من جملته المذكورة على سبيل المجاز وليس على سبيل الحقيقة.
فقد تسلّط على اليهود في فلسطينيين والفريسيّون والكتبه والكهنة الفاسقون الأشرار، على حسب ماكان يُصرّح المسيح نفسه بذلك في كلامه، الأمر الذي يعني بأن اليهود أضحوا (خرافاً) أي رعيّةً لاتملك قيادةً روحيه حكيمة ومُخلصة، ترعاها وتضبط أمورها لتصل ببني اسرائيل إلى شاطىء الأمان. فهذا هو المقصود من استعمال المسيح للفظ (الخراف) مُعرّفاً، وبدلالته المجازية.

ثم إنّ جمله (الضّالة من بيت اسرائيل) المقصود منها الأسباط المُشتّتة خارج فلسطين لاقتران لفظ (الضّاله) بلفظ (خراف) ويعني المُشتّت من قطيع الغنم. ولايعني الضّلالة عن الهدي.

والمسيح نبّه تلاميذه في حياته قبل واقعة الصلب إلى الخراف الاسرائيلية الشتات خارج فلسطين، وذلك فيما رواه إنجيل يوحنا عن لسان المسيح الناصري قوله : (أنا الرّاعي الصالح، أعرف خرافي، وخرافي تعرفني، كما أنّ أبي يعرفني وأنا أعرف أبي، وأبذل نفسي في سبيل الخراف. ولي خرافٌ أُخرى ليست من هذه الحظيرة، فتلك أيضاً لابُدّ لي أن أقودها، وستُصغي إلى

---

(١) – إنجيل متى ٥/١٠

صوتي، فيكون هُناك رعيّة واحـدة وراع واحـد.)(١) . فـإذا كـان الاسـرائيليون الفلسـطينيون هـم الخراف الأوّلون، فإنّ الشّتات من أسباط اسرائيل خـارج فلسـطين هـم الخـراف الـتي ليسـت مـن الحظيرة الفلسطينية. وكان مُحتّما على المسيح الناصري أن يُهـاجر إليهـا ليقودهـا، ويُبشّـر أن ربّـه بشرّه أنها ستصغي إلى صوته فيكون هناك خارج فلسـطين خـلاف مـاحدث داخلهـا. تكـون رعيّـةٌ واحدة وراع واحد. وسأوضح هذه الحقيقة فيما بعد وأثبتها.

وعليه فبالإمكان استبدال هذين الاقتباسين مـن أقـوال المسـيح النـاصري بألفـاظٍ أخـرى تقول : لاتظنّوا أنّ رسالتي مُنحصرة في يهود فلسطين الذين يضطهدونني ويسعون إلى قتلـي، ليثبـوا كذب نبوّتي ورسالتي. بل إنّ رسالتي أوسع نطاقاً فهـي تشـمل الشّـتات مـن أسـباط بـني إسـرائيل المتواجدين خارج فلسطين، ولابدّ لي من الهجرة إليهـم، مـن بعـد نجاتي مـن المـوت علـى الصليـب بتدبير الذي أرسلني ويحميني. ولن يحدث لي خارج فلسطين مالاقيته داخلها من ابتلاءات وعناء.

على ضوء هذين القولين المُقتبسين من أقوال المسيح الناصريّ، يتّضح لأعين القـاري بصـورةٍ جليّـةٍ أن بولـس الرسـول هـو الـذي لم يفهـم هـذه الأقـوال، وعمـد إلى صـرف المسـيحيين عـن قـول المسيح : (لاتسلكوا طريقاً إلى الوثنيين) (٢)

وخالف بذلك وصيّة المسيح الناصري مُخالفة صريحة وواضحة. وتسببّ في الشّقاق الذي وقع بينه وبين بطرس وسواه.

وعندما ذكرت جُمله (الشتات من أسباط اسرائيل)، فقد تضطرنـا هـذه الجملـة للعـودة ومراجعة القرآن الكريم والتوراة معاً، بحثاً عن دلالة لفظ أسباط اسرائيل.

فإذا عاودنا مطالعة القرآن الكريم، نعثر على قول ا لله تعالى: **﴿ومن قوم موسى أمةٌ يهدون بالحقّ وبه يعدلون * وقطّعناهم اثنتـي عشـرة أسـباطاً أممـاً، وأوحينـا إلـى موسى إذ استسقاه قومه أن أضرب بعصـاك الحجـر فانبجسـت منـه اثنتـي عشـرة عيناً قد علم كُلّ أُناسٍ مشربُهم وظلّلنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المنّ والسلوى**

---

(١) – إنجيل يوحنا الاصحاح ١٠/١٤ - ١٨

(٢) – إنجيل متى ٥/١٠.

كُلوا من طيّبات مارزقناكم وماظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.﴾(١).فإذا عُدنا إلى معنى (السّبط) في معاجم اللغويّين، تبيّن لنا أنّه يعني "ولد الوالد". فإذا لاحظنا إضافة الله عز وجل للفظ السّبط لفظ (أُمماً) على اعتباره تعالى قد قال : ﴿وقطّعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً..﴾، يكون معنى ذلك أنّ بني إسرائيل حين خروجهم من مصر، كانوا أحفاداً مؤلفين من اثنتي عشرة عشيرة، كل عشيرة منهم من سلالة حفيدٍ من الأحفاد الاسرائيليين. ذلك أنّ (أسباطاً) في هذه الآية منصوب على البدل من (أُمماً)، لا على التّمييز. ولذلك ورد في الكليات : أنّ كلّ واحد من وُلد يعقوب فهو سبط. وكل واحد من وُلد اسماعيل عليه السلام فهو قبيلة. والسّبطة في اللّغة تعني الزيادة في كلّ شيء.

فالقرآن الكريم يُقسّم بني اسرائيل إلى أسباطِ أمم، أي إلى عشائر. ونحن لو راجعنا التوراة المعاصرة، لاحظنا أنّها تُقسمهم نفس التقسيم القرآني. من حيث استعمال لفظ (سبط) الذي أورده سفر الخروج في الاصحاح ١/٣١ فقد أورد (وكلّم الرّب موسى قائلاً : انظر قد دعوت بصلئيل من أوري بن حورَ، من سبط يهوذا باسمه..). فها أنه يستعمل تعبير (سبط يهوذا) أي من عشيرة يهوذا.

ثم إنّ سفر الخروج أورد فيه كاتبه أسماء رؤساء هذه الأسباط الإثنتي عشرة، وذلك في الاصحاح ١٤/١٦ منه، وفي سفر الأخبار الأول الاصحاح ١/٢ أيضاً. حيث راح كاتب سفر الأخبار يستعمل لهؤلاء الرؤساء اسم شيوخ. وعلى سبيل المثال ورد : (وجاء هارون وجميع شيوخ اسرائيل ليأكلوا طعاماً مع حمي موسى أمام الله.)(٢). ثم يُنبّه بعد عدّة جملاتٍ من هذا الإصحاح إلى أنّ حمي موسى هذا الذي زوّجه ابنته بعد هروبه من وجه فرعون بسبب وكزه للمصريّ وقضائه عليه. أن حميّه هذا نصحه أن نصح موسى بعد مأدبة الطعام التي أُقيمت على شرفه وأشار عليه أن ينظّم صفوف بني اسرائيل ويقسّمهم إلى تقسيمات عسكرية.

فنصحه قائلاً : (وأنت تنظر في جميع الشّعب ذوي قدرة، خائفين الله، أمناء، مُبغضين الرّشوة

---

(١) – سورة الأعراف – الآية (١٥٩)

(٢) – سفر الأخبار – الاصحاح ١٢/١٨

وتُقيم عليهم رؤساء ألوف، ورؤساء مئات، ورؤساء خماسين، ورؤساء عشرات. فيقضون للشعب كلّ حين، ويكون أنّ كلّ الدّعاوي الكبيرة يجيئون بها إليك. وكل الدّعاوي الصّغيرة يقضون هم فيها.. فسمع موسى لصوت حميّه، وفعل كُلّ ماقال.). وهذه المشورة إنّ دلّت على شيء، فإنّما تدلّ على رجاحة عقل هذا الشّيخ الذي أنجب تلك البنات، والتي تزوّج موسى إحداهُن بعد هروبه من مصر إلى مدين.

والُمهمّ من الذي ذكرناه هو أنّ التقسم القرآني يتّفق والتّقسيم التوراتي في مجال الكلام عن الإسرائيليين وتقسيمهم إلى أسباط رؤساء عشائر.

فإذا تساءلنا عن هذه الأسباط الإسرائيلية الإثنتي عشرة، في زمن بعثة المسيح الناصري عليه السلام، فلا نجد إلاّ سبطين فقط منها تواجدوا في فلسطين. أمّا باقي الأسباط العشرة فقد كانت (ضالّه) أي شتاتاً خارج فلسطين، وبإقرار التوراة المعاصرة نفسها.

حيث ورد في سفر الملوك الثاني الإصحاح (٢٥)، كما ورد في آخر ترجمة له، قوله : (وتمرّد صِدقياً على ملك بابل، وفي السّنة التاسعة لملكُه، في اليوم العاشر من الشهر العاشر، زحف نبوخذ نصّر، ملك بابل، هو وجميع جيوشه على أورشليم، وعسكر عندها، وبنى حولها تحصينات. فصارت المدينة تحت الحصار إلى السنة الحادية عشرة للمِلك صِدقيّا. وفي اليوم التاسع من الشهر الرّابع، اشتدّ الجوع في المدينة، ولم يبق خبزٌ لشعب تلك الأرض. فثغروا المدينة. وكان جميع رجال الحرب ليلاً في طريق الباب الذي بين السّورين، بالقرب من بُستان الملك. بينما كان الكلدانيون يحيطون بالمدينة، وفي أثناء ذلك، ذهب الملك في طريق العربة - أي هرب الملك صِدقيّا باتّجاه وادي عربه - فجرى الكلدانيوان في إثره، فأدركوه في بريّة أريحا، وقد تفرّق عنه كُلّ جيشه. فقبضوا عليه، وأصعدوه إلى ملك بابل في رَبْلَه، وتلوا عليه الحكُم، وذبحوا بني صِدقيّا أمام عينيه.). وقد راح كاتب سفر الملوك الثاني يوضّح كيف تمّ نهب البابليين لأورشليم، وكيف سبى هؤلاء الأسباط الاسرائيليين إلى بابل. فلم يبق في فلسطين إلاّ بعض العامة الذين هربوا بعدما إلى مصر خوفاً من بطش البابلين هم. فلم يعد من أسباط اسرائيل الاثنتي عشرة إلى فلسطين إلا سبطا الكهنة والفرنسيّن، وذلك بعد مائة عام مضت على سبيهم إلى بابل وقِصّة عودة هؤلاء مشهورة. من أن راقصة يهودية كانت السّبب في ذلك.

ويتساءل المرء هنا : وهل اتّسع العراق لهذه الأسباط كلّها، إلى جانب شعبه؟ والجواب

هو النّفي حتماً. ذلك أن هذه الأسباط أخذت تهرب من العراق بجميع الاتجاهات. فمنها من هاجر إلى الغرب باتجاه سورية ونصيبين. ومنهم من هاجر باتّجاه الشّرق إلى فارس وهي ايران ومنهم من هاجر باتجاه الشمال نحو افغانستان ومنهـا إلى شمالي الهند وتوطنوا في الهضبة التي كانت مُنتزهاً عظيماً وتنبع منها جميع أنهار شبه القارة الهندية، وقد أطلق اليهود عليها إسمها المعروف حاليا باسم كشمير المُحرّف من (كاشير) بمعنى كبلاد الشّام ، لأنّ تلك الأرض كانت ولاتزال تشبه أرض فلسطين التي نُفوا منها في كثيرٍ من جوانبها. وقد حدثت عمليّة السّبي قبل بعثة المسيح بـ ٥٨٨ عام.

ونعود الآن إلى زمن بعثة المسيح عليه السّلام. فقد بعثه الله تعالى، ولم يكن في فلسطين في زمن بعثته سوى نسل هذين السّبطين الاسرائيليين الذّين سَمح لهم حفيد نبوخذ نصرّ بالعودة إلى أرضهم المنفييّن منها. أمّا بقيّة أسباط إسرائيل فقد كانت في تلك الحُقبة من الزمان متفرقة كما سبق أن ذكرت مابين نصيبين سوريا ومابين إيران ومابين أفغانستان وكشمير التي تُعدّ تضاريسيّاً أعظم هضبة على سطح الكرة الأرضية وهي جزء من جبال هيمالايا ويُسميها شعراء تلك المنطقة "جنّة الله في أرضه".

وقد كان من مُهمّة المسيح الناصري أن يُهاجر من فلسطين إلى تلك الأقطار التي استوطنها هذه الأسباط العشرة الاسرائيلية الهاربة من الضيّق الذي حلّ بها بعد السّبي البابلي. فإلى حاجة المسيح لتلك الهجرة لأداء رسالته بين أولئك الشتات الضالين وهم يشكّلون الحظيرة الأخرى التي أوردها يوحنا في إنجيله.
وعلى هذه الصّورة ترتبط دلالة أقوال المسيح بالمصير الذي آل إليه حاله بعد حادثة الصلب المشهورة.

والمهم في الأمر أن هذه الحقيقة غابت عن أذهان رواة الأناجيل، وكتابها كما لاحظناه في الوقت الذي تشكّل فيه هذه الحقيقة مفتاح معرفة مصير المسيح الناصري الذي آل إليه بعد نجاته من إماتته على خشبة الصليب. فلابد أن يكون المسيح قد هاجر بعدها إلى تلك الأقطار التي تواجدت فيها الأسباط العشرة التي تشردت عن وطنها عقب السّبي البابلي.
فهذه هي بيّنة الأناجيل، وقد أقرّها القرآن الكريم حينما أورد لنا قوله تعالى في معرض حديثه تعالى على ماأنعم به على رسُله الكرام وعلى ماأنعم به على المسيح وأمه خاصة أيضا، وذلك من خلال

قوله تعالى : ﴿وجعلنا ابن مريم وأمّه آية وآويناهما إلى ربوةٍ ذات قرارٍ ومعين * يأيها الرّسل كُلوا من الطّيبات واعملوا صالحاًإنّي بما تعملون عليم.﴾(١)
فبين مضمون هذه الآية الكريمة وبين بيّنة الأناجيل تطابقٌ واضح المعالم. بل إنّ هذه الآية الكريمة لم تُنبّه إلى المهمة التي كان المسيح مُكلّفاً بها وهي الهجرة لتبشير "الخراف الضالة من بيت اسرائيل" وحسب. بل وقد احتوت على حقائق تاريخية كشف عنها هذا الوحي القرآني بشكلٍ مُدهشٍ غاب عن أذهان المفسرين والمؤرخين.

فمن خلال قوله تعالى ﴿وآويناهما﴾ نبّه الوّحي إلى حادثة الصّلب التي ابتُلي بها المسيح النّاصري، تلك الحادثة الرهيبة التي اقتضت حاجته وأمه إلى إيواء ا لله تعالى إيّاهما من شرور تلك المصيبة. فالإيواء لايكون إلاّ عند المُصيبة والفاجعة.

فمن خلال كلمة (ربوة). هذه الكلمة لم ترد مُعرّفةً بل مُنونة، نبّهنا وحي القرآن إلى إشارتها إلى هضبة كشمير الشّهيرة التي لاتحتاج إلى تعريف لشهرتها بين روابي العالم قاطبة. وقد فسح هذا الوحي القرآني للباحث المتدّبر المجال بذلك ليربط بين هجرة المسيح من فلسطين، وبين هجرته إلى هضبة كشمير وماجاورها، والتي هاجر إليها اليهود بعد سبيهم من فلسطين.

ثم إنّ ا لله جل شأنه إذ وصف الرّبوة المذكورة بقوله : ﴿ذات قرارٍ ومعين﴾. فالقرار هو المطمئن من الأرض والمستقرّ الثابت منها على حسب ماأورد (اقرب الموارد) وكلمة (معين) اشتُقّت من مَعَنَ الماء إذا سال وتدفّق فهو معين. من هذا ندرك أبعاد الأوصاف البارزة التي وصفت بها هضبة كشمير، وجعلتها مستقرّاً ثابتا لسكنى الإنسان. وأنه ينبع منها الماء سائلاً متدفّقاً. إشارةً إلى الأنهار التي تنبع من كشمير وتتوزع في جميع أرجاء شبه القارة الهنديّة. وهكذا نكون قد تبيّنا أنّ أسباط الشتات من بني اسرائيل توزعت مابين نصيبين والعراق وايران وافغانستان وكشمير. فكان لزاماً على المسيح الناصريّ أن يُهاجر إلى تلك الأقطار. وبهذا التحقيق الذي أجريته انجيليّاً وقرآنياً أكون قد طابقت مابين مُعطيات الأناجيل والقرآن الكريم.

ولابدّ لي أن أقول أخيراً أنّ الذين زعموا رفع المسيح الناصري إلى السّماء بجسده العُنصري، يتناقضون وهذه المسؤولية التي حمّلها ا لله عز وجل شخص المسيح فهو بعثه

(١) – سورة المؤمنون – الآيتين (٥٠ – ٥١).

رسولاً إلى بني اسرائيل.وبنو إسرائيل لم يتواجدوا جميعهم في فلسطين زمن بعثة المسيح الناصري . بل تواجد معظمهم خارج فلسطين في فارس وأفغانستان وكشمير ، بسبب السبي الذي تعرّضوا له قبل بعثة المسيح بـ ٥٨٨ عاماً ولم يسمح لهم بالعودة بعد ذلك إلى ديارهم في فلسطين . ثم إنّ بعثة المسيح لم يكن قد مضى عليها حين تعرض لمحاولة قتله على الصليب أكثر من ثلاث سنوات . ولم يؤمن به خلالها أكثر من اثني عشر تلميذاً . فإن قانا برفع المسيح إلى السماء زمن واقعة الصليب نكون قد أقررنا أنّ المسيح الناصري لم يكمل رسالة ربّه ، والسبب هو ربّه نفسه الذي رفعه إلى السماء . ثم كيف يمكن حينئذٍ الربط بين هذا الزعم وبين الآية التي أوردناها من سورة المؤمنون؟





٣- مايثبت هجرة اليهود إلى أفغانستان وكشمير

قلّما فكّر الناس بمصير الأسباط الإسرائيلية الذين سباهم ملك العراق بختصّر من فلسطين بعد أن قضى على دويلاتهم وهدم هيكلهم المقدس في أورشليم القدس، قبل بعثة المسيح الناصري بـ (٥٨٨) عام. ثم إنّ من آمن بالمسيح على أنّه مات على الصّليب وأصبح كفّارة خلاص لهم، على حسب مابتدعتها لهم رسائل من يُسمّى "بولس الرّسول". والذّين سمّوا أنفسهم مسيحيّين أو سمّاهم غيرهم بهذه التّسمية لأول مرة في كنيسة أنطاكية ودرجت هذه التّسمية بينهم من ذاك التاريخ (١). على حين كان يُطلق عليهم لفظ (المؤمنون) ويسمّون أنفسهم (أخوة) و (تلاميذ). فقلّما راحوا يبحثون عن مصير الأسباط الاسرائيلية الشتات بسبب العداوة التي تأصلت في نفوسهم ضدّ اليهود الذين حاولوا قتل المسيح الناصري وناصبوهم العداء واضطهدوهم من فلسطين. مع أنه كان من أصل تعاليم المسيح الناصري ألاّ يبشّروا غير الاسرائيليين كما سبق أن أثبتنا ذلك من قبل.

وأنا كباحثٍ متجرّدٍ عن الانحياز إلى طرفٍ بعينه في هذا المجال، تقصّيت تاريخ تلك الأسباط الشّتات وعثرت على مؤلفات كثيرة لمؤلّفين شرقيين وغربيين سبقوني، فبحثوا نفس البحث، وتبيّن لهؤلاء أنّ تلك الأسباط انتشرت مابين فارس وافغانستان وكشمير المجاورة.

من هؤلاء الباحثين قسّيسٌ يقدّسه المسيحيون عاش في القرن الخامس الميلادي، ألّف كتاباً في هذا المجال، وهو القسّيس جيروم. وكتابه له شهرته أيضاً ويتألّف من عدّة أجزاء، تناول فيها الحديث عن الأسباط العشرة الاسرائيلية الشّتات، تلك الأسباط التي لم يُسمح لها بالعودة إلى فلسطين بعد أن سباها بختصّر ملك العراق. وقد ذكر القسّيس القدّيس أنّ تلك الأسباط خضعت للحكم الفارسي الذي احتفظ بهم ولم يسمح لهم بالعودة إلى بلادهم بأيّ شكلٍ من الأشكال.

---

(١) – راجع أعمال الرسل ١١/٢٥ وحاشيته

وقد تعرّض القسّيس جيروم إلى كتابٍ ألّفه الكونت (جوان ستيرام count Juan Steram) ونقل ممّا ورد على الصفحات (٢٣٣ - ٢٣٤) منه أن الشعب الأفغانيّ نفسه يعترف بأصله الاسرائيلي من الأسباط الاسرائيليين الشتات الذين سباهم بختنصّر من فلسطين إلى العراق، وذلك بعد أن دمّر معبدهم الذي شيّده سليمان الحكيم.

وهنا راح القس جيروم فوضّح أنّ من تلك الأسباط، أسباط هاجرت إلى منطقة (باميان) المتصّلة بمنطقة (غور) الأفغانية.

وعليه فإنّ كتاب القدّيس جيروم المذكور يُعدّ وثيقة تاريخية لها قيمتها لشهرة وقداسة هذا القسّيس من جهة، ولمكانته كصاحب رأي ومحقّق. وبالإمكان الحصول على هذا الكتاب من المكتبة البابوية في روما. والذي يؤسف له أن هذين المحترمين لم يتقصيّا هجرة المسيح الناصري إلى تلك البقاع لاعتقادهم تقليدياً أنّ المسيح الناصري مات على الصّليب.

ثم إنّه صدرت عام ١٨٥٤ ميلادية، في لندن، موسوعة جغرافية بعنوان: (Encyclopedia of geography)، قام بتأليفها العالم (جيمس برايت : James Bryce F.R.S.E)(١) وقد أورد هذا المؤلّف في موسوعته أنّ نسب الشعب الافغاني، يعود إلى طالوت أحد قادة اسرائيل. وأن الأفغان أنفسهم يُسمّون أنفسهم "بنو اسرائيل".

والآن لننظر، فهل يعقل أن يكتب هذا العالم الذي هو على مستوى إصدار هذه الموسوعة مثل هذا الكلام لو لم يتوثّقه من مصادر لها قيمتها؟ فلا بدّ أنه قام في هذا المجال بتحقيق أصولّي. وبإمكان الذي يزور انكلترا أن يطّلع على هذه الموسوعة في مكتبة لندن الرئيسيّة.

وعلى شاكلته فالعالم الانكليزي (الكسندر بارينس Alexander Barenes) ألّف كتاباً بدوره، وتحدّث فيه عن الشّعب الأفغاني، في حينه، وممّا قاله إنه تبيّن له أن الأفغان يعتقدون أنّهم من أصل إسرائيلي. وبذلك اتفّق رأيه مع رأي صاحب الموسوعه الجغرافية التي أتينا على ذكرها. وأضاف قوله إنّ الأفغان يتحدثون فيما بينهم عن أصلهم ويذهبون إلى أنّهم من الذين سباهم ملك بابل ونفاهم إلى منطقة (غور) الواقعة شمال غرب بابل. وأنّهم لم يتنازلوا عن دينهم اليهودي

(١) - راجع النص الكامل باللغة الإنكليزيّة في الملحق آخر هذا الكتاب

في تلك الفترة من الزّمان، إلى أن جاء العام (٦٣٢) ميلادي، فنحو التاريخ المذكـور سمعوا بدعـوة الاسلام وتحقّقوا صدقه، واعتنقوه ديناً لهم بصورة جماعية.

فلولا أن خالط هذا العالم سكان أفغانستان، وطالع بعض مؤلفاتهم، فمن غير المعقـول أن يكتب هذه الحقيقة التي حدّثنا بها.

وقد ألّف أحد كولونيـلات الجيـش البريطـاني الـذي خـدم في شبه القـارة الهنديـة، عـام ١٨٧١ ميلاديـة كتاباً عـن ذكرياتـه في الهنـد. وهـو الكولونيـــل (ج.ب. مالّيســـون : Colonel G.B.Malleson)(١). فوضّح لنا حقيقة استقاها ممّـا قـرأه مـن كتـب المستشـرقين، وكتـب الرّحالـة الأوربيين. فذهب إلى أن المستشرق سير وليام جونز، وإلى أن الرّحالة الافرنسي (فرائورياني)، والعالم الأفغاني عبد الله خان الهراتي، إلى أنّ هؤلاء جميعهم أجمعوا على أنّ شعب أفغانستان يعـود أصلهـم إلى إحدى أسباط بنو إسرائيل الضّاله التي سباها بختنصر ملك بابل من وطنهم فلسطين الأمـر الـذي أدّى لتشتت تلك الأسباط في تلك الأقطار البعيدة عن فلسطين.

كذلـك نشـر العـالم (فيريـر فرانـش : L.P. Ferrier French) كتابـاً أسمـاه قصّـة الأفغان : History of the Afghans)(٢). وممّا أورده في كتابه أنّ معظم مؤرّخي الشرق قد أقـرّوا بأنّ شعب أفغانستان هم أحفاد الأسباط الاسرائيلية العشرة التي سـباها ملـك بـابل مـن فلسـطين. ويضيف قوله إنّ أفراد الشعب الافغاني أنفسهم يعتقدون ذلك أيضاً.

وذكر هـذا العـالم علـى الصفحـة الرّابعـة يقـول : إن الأفغـان يقدّمـون لـك دليـلاً علـى مايدّعون، وهو أنّ نادرشاه عندما وصل هناك قاصداً فتح الهند، قدّم لـه رؤسـاء وزعمـاء (يوسـف زني) هدايا، ومن جُملة تلك الهدايا كتاب التّوراة باللّغـة العربيّـة إضافـة إلى تحـائف أخـرى، ظلّـت محفوظة عندهم وفق تقاليدهم الدينيّة. وأنه وجد في معسكر نادرشاه بعـض اليهـود. فلّمـا شـاهدوا تلك الهدايا المقدسّة، سُرعان ماتعرفوا عليها على أنّها تراثٌ يهودي.

وهــذا الكــاتب يضيــف علــى آخـر صفحــة منــه أن رأي عبــد الله خــان الهراتــي عندي هوأوثق هذه المصادر جميعها. ورأيه أن طالوت (سال) ولد له إبنان اسم أحدهما أفغان واسم

---

(١) – راجع النص الكامل باللغة الإنكليزية في الملحق آخر هذا الكتاب

(٢) – راجع النص الكامل باللغة الإنكليزية في الملحق آخر هذا الكتاب

الآخرجالوت. فأفغان هو الجدّ الأكبر للشّعب الأفغاني. ورأيه أنـه بعـد أن انهـارت دولـة سـليمان وانقسم اليهود علـى أنفسـهم، وصلـوا إلى وقـت هـاجمهم بختصـر ملـك بـابل وقتـل منهـم سـبعين ألفاً، ودمّر هيكل سليمان المقدس، وأسر ماتبقّى منهم، وسبى الأسرى إلى بابل، ولم يَعد يُسـمح لهـم بالعودة إلى ديارهم. فهرب سِبْط أفغان من جوديا بسبب الاضطهاد، إلى بلاد العرب وأقاموا هنـاك مدّة طويلة من الزّمان. واضطرّتهم نُـدرة المـاء والغـذاء للهجـرة إلى الهنـد. ولم يبـق منهـم إلاّ أحَـدُ أفخاذهم وهم الأبداليون. فلّما تولّى أبو بكر الصديق (رضي) الخلافة. اجتمع أحد زعمائهم بخـالد بن الوليد (رضي). وهاجروا إلى فارس وكرمان بعد أن فتحها العرب المسـلمون، واسـتقرّوا هنـاك إلى حين هاجم جنكيزخان تلك البلاد. فلاقوا منه كلّ اضطهاد واضطرهم ذلـك للهجـرة إلى الهنـد عن طريق مكران فالسند فملتان. وحطوا رحالهم على جبال سـليمان بأفغانسـتان. ولحـق بهـم مـن تركوه وراءهم من الأفخاذ.

والذي يهُمنا من ذلك أن نُشير إلى أنّ الكتاب المذكور احتوى على معلوماتٍ قيّمةٍ جـدّاً وهوُ مقسّمٌ إلى أبـواب. البـاب الأول خصصـّه للكـلام عـن انتمـاء أفغـان إلى اسـرائيل الـذي هـو يعقوب. والباب الثاني خصصّه للكـلام عـن طـالوت وهكـذا.. والمهـمُّ في هـذا الكتـاب اسـتدلاله بمراجع كثيرة تؤيد طُروحاته. كما عرّج على تفصيل الأحداث والتطورات التي طرأت على شـعب أفغانستان زمن بعثه محمد رسول ا لله ﷺ

فذكر أنهم شكلّوا وفداً، بعد أن علموا ببعثه، وأرسلوه إلى مكة المُكرمَـة برئاسـة (قيـس). والتقـى الوفد المذكور برسـول ا لله ﷺ سـرّاً، وأصغـى الوفـد إلى كـلّ مـاأطلعهم عليـه الرسـول ﷺ وتبيّنوا صِدق نُبوّته، وبايعوه بعد أن اعتنقوا الاسلام ديناً. وقد بدّل رسـول ا لله ﷺ اسـم قيـس بإسم عبد الرشيد، وتقّبل قيس هذا الإسم الجديد، وعاد مـع أعضـاء وفـده أدراجـه إلى أفغانسـتان وعرض على الناس هناك ماسمعه من رسول ا لله ﷺ، وأسلم الشعب الأفغاني بأكمله على يديه.

وإضافة إلى المراجع التي ذكرتها فقد مـرّ علـيّ كتـاب للسّـير"جـون مـالكولم Sir John Malcolm "بعنوان (قصّة بيرسيا : History of Persia) ويتألف من عدّة أجـزاء وقـد أورد هـذا المؤلف في كتابه هذا أموراً كثيرة تشبه إلى حدٍ ما، ماحدثنا به مؤلّف كتاب (قصّـة الأفغـان). فممّـا ذكـره هـو (أن أوضـاع وجـوه الأفغـان وهيئتهـا تشـابه أوضـاع وهيئـة وجـوه اليهـود مشـابهة مدهشة، وهذه حقيقة سلّم بها أغلب الباحثين.).

وتجد في المكتبات الانكليزية العريقة كتابا بعنوان (قاموس الجغرافيا: A dictionary of geography) مؤلّفه العالم (جونسون A.K. ghonston)، وقد أورد هذا الكاتب في مقابل كلمة (كشمير) حديثه عن أهل كشمير ماتعريبه : (سكانها طوال القامة، أقوياء الجسم، ذوو هيئة رجّاليه، نساؤهم مُكتملات الجسم جميلات، شمّ العَرَانين في تقوُّس، وهم في أوضاعهم أشبه مايكون باليهود تماماً.).

هذه نماذج من المصادر المسيحية وغير المسيحية التي تؤكّد ماذهبت إليه في كتابي هذا من أنّ الأسباط الاسرائيليّة الشّتات انتشرت بين فارس وأفغانستان وكشمير. وإنّ أصحاب هذه المؤلفات حققوا صحّة ذلك ووضحوا هذه الحقيقة عن غير قصدٍ منهم أن يدعموا ماذهبت إليه. فهم أقدم تاريخاً من تاريخ مؤلفي هذا بزمن طويل.

فما دام قد ثبت أنّ الأسباط الاسرائيلية الذين سباهم ملك بابل من فلسطين، أنّهم انتشروا مابين فارس وافغانستان وهضبة كشمير. فبالتالي كان لابدّ للمسيح الناصري، وقد نجّاه ربّه من الموت على الصليب، كان لابدّ له أن يُهاجر إلى الأقطار التي ذكرتها ليُكمل أداء رسالة ربّه المكلّف بها والتي ذكرها في الأناجيل تارة بقوله :

(لم أرسل إلّا إلى الخراف الضالة من بيت اسرائيل)، وتارة بقوله من انجيل يوحنا: (ولي خراف أُخرى ليست من هذه الحظيرة ـ أي ليست من حظيرة داخل فلسطين ـ فتلك أيضاً لابُدّ لي أن أقودها وستُصغي إلى صوتي، فيكون هناك رعيةٌ واحدةٌ وراعٍ واحد..).

أقول : وكم هي واضحة كلمات المسيح الناصري فهو وضحّ من جهة أنه مبعوث رسولاً إلى بني اسرائيل فقط من جهة (لم أُرسل إلا إلى خراف..) وإلاّ أداة حصر، حصر بها رسالته ضمن الشعب الاسرائيلي واتفق كلامه هذا مع الطَّرح القرآني : ﴿ورسولا إلى بني اسرائيل﴾ ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل إني رسول الله إليكم..﴾. أقول : إن المسيح حصر رسالته في بني اسرائيل من جهة. ومن جهة أخرى وضّح أنّ هؤلاء الاسرائيليين ليسوا في حظيرة واحدة، وإنما في حظيرتين : داخل فلسطين وهم الذين اضطهدوه، والشتات خارج فلسطين الذين سيؤمنون به جميعهم وتكون هناك "رعية واحدة وراع واحد".

فلما نصلّ هذا الحدّ من البيان يواجهنا سؤال يوضح نفسه وهو : لو هاجر المسيح الناصري إلى فارس وأفغانستان وكشمير، لكانت المسيحيّة قد عمت هذه الأقطار المذكورة. والذي

يراجع احصائيات تلك الدّول فلا يجد للمسيحيين من نسبة تُذكر، فكيف تفسّر ذلك؟

وجواباً على هذا السؤال أقول : إن مثل هذا السؤال يطرح نفسه في ذهن من اعتقد أنّ المسيحيّة دينٌ مستقلٌ عن الدين اليهودي. أمّا إذا انتبه هذا الإنسان إلى قول المسيح الناصري نفسه في الأناجيل التي هي بين أيدينا وهو : (لاتظنّوا أنّي جئت لأُبطِلَ الشريعة أو الأنبياء، ماجئت لأبطل، بل لأكمِل.)(١).

فإذا تفحصّنا ألفاظ هذا الكلام بوعيٍ ودقّةٍ، استنتجنا أنّ المسيح الناصري لايختلف في حقيقة أمره عن بقيّة أنبياء اسرائيل. ذلك على اعتبار أن جميع أنبياء بنوا اسرائيل ماجاؤوا لينقضوا شريعة موسى، بل جاؤوا ليكملوا لذلك لم يُنسب المؤمنون بهم في يوم من الأيام إلى هؤلاء الأنبياء، بل ظلّوا يُنسبون إلى موسى وشريعته.

وزيادة في الإيضاح أنقل حاشية الكتاب المقدس طبع عام ١٩٨٩. ففي الحاشية رقم (١٥) منه ورد : (أكمل أو أتمّ) من معاني الفعل اليوناني حقق أو ملأ. لاشك أن المعنى المقصود هنا هو المعنى الثاني. فلا يكتفي يسوع بتحقيق النبوءة، بل يريد أن يبلُغ بها إلى كمالها، فيُعيد إلى الشريعة معناها الحقيقي، فيجعلها تُدرك كمالها الجذري، وتستعيد بساطتها الأصلية. راجع ٢٠/٥ راجع هذا الذي يقوله المسيح : (فإنيّ أقول لكم : إن لم يزدِ برُّكُم على برّ الكتبة والفرنسيّين، لاتدخلون ملكوت السموات.).

وعليه فإنّ المقصود من قوله المسيح (بل لأكمل) هو أنّ بعثته قد حققّت من جهة النبوءة التوراتية المتعلّقة ببعثته، إلى جانب أنّ كان من مهمّته إعادة الوجه الحقيقي لتعاليم التوراة.

وبهذين المعنيين لايكون المسيح الناصري قد أتى بدين جديد غير دين موسى. بل أتى مجدداً لدين موسى ولشريعته ولإعطاء شريعة موسى وجهها الحقيقي. وعلى هذه الصورة فلا فرق هناك مابين ماقام به سليمان وداوود ودانيال وحزقيال وسواهم من أنبياء بنو اسرائيل. فجميع هؤلاء الأنبياء قاموا أصلاً بما قام به المسيح الناصري. هذا على شاكلة ماحدث بعد بعثة محمد ﷺ فقد أخذ الله عز وجلّ يبعث مجددين يجددّون دينه ويُعيدون إليه وجهه الوضاء كلّما انحرف المسلمون عن

---

(١) - إنجيل متى ١٧/٥ طبعة عام ١٩٨٩

ذلك، وتحقيقاً لقول رسـول ا لله ﷺ أيضـاً، وهـو حديـث مشـهور : (علمـاء أمتّـي كأنبيـاء بـني إسرائيل.). والمقصود بالعلماء هنا هؤلاء المجدّدين، وليس كلّ من نصب نفسه عالماً في الدّين.
والأمر الذي نستخلصه مما ذكرناه هـو أنـه لايوجـد بـين سلسـلتي موسى ومحمـد عليهما السّـلام ودينيهما، لايوجد ديـن ثـالث يُدعـى بـالدّين المسـيحي. لذلـك سـبق لي أن قلـت : "إنّ مثـل هـذا السؤال يطرح نفسـه في ذهـن مـن يظـن بوجـود دين اسمـه الديـن المسـيحي ومسـتقلاً عـن الدّيـن اليهودي".

وقد يُقـال هنـا : إنّـك بكلامـك هـذا تخالف الواقـع المحسـوس في عصرنـا. فالمسـيحيّون يعتقدون أنّهم دين مستقلٌ عن دين اليهود، وإلى هذا تشير تسميتهم بالمسيحيين.

أقول : وهل تُسميّ اليهـود الذيـن عـاصروا عهـد سـليمان مثـلاً بالسـليمانييّن؟ ومـادام المسيح الناصري لم يُبعث لينقض شريعة موسى، بل ليحقّق نبواءتهـا، وليبلُـغ بهـا إلى كمالهـا ويُعيـد للشريعة معناها الحقيقي على حسب دلالة (يكُمـل) في اللّغـة اليونانيـة وهـو ماإعـترف بـه الحاشـية (١٥) من المدخل ١٩٨٩م فلا يجوز بالتالي تسمية الذين آمنوا بالمسيح النـاصري "مسـيحيّين" بـل "مؤمنين" و "أخوة" فقط.

تسألني : وهل حققّت في أمر تاريخ هـذه التّسـمية؟ أقـول سـؤالك هـذا جوهـري. وقـد حققت في أمر هذه التّسمية، فتبيّن لي أنها تسمية لاحقة لحادثة صلـب المسـيح النـاصري، وليسـت بتسميةٍ سابقةٍ لها. فهي تسمية تتنافى وقول المسيح الذي نقلته، وان اضطهاد اليهود لتلاميذ المسيح هو الذي دعا إلى هذه التسمية . إلى جانب محاولات بولس الرسول في هذا المجال.

فليعُد القارىء معي إلى ماورد في أعمال الرسل ٢٦/١١، فسيجد الجواب الشّافي هنـاك على سؤاله. والذي قيل فيه : (فـأوفدوا برنابـا إلى انطاكيـه ـ أرسـله رجـال الكنيسـه في أورشـليم القدس كما يتبين من سياق الكلام ـ فلّما وصل ورآى نعمة ا لله، فرح وحثّهم جميعاً على التمسّـك بالرّب من صميم القلب، لأنّه كان رجلاً صالحاً، ممتلئاً من الروح القدس والإيمان. فانضمّ إلى الرّب خلقٌ كثير. فمضى ـ برنابا ـ إلى طرسوس يبحث عن شاول ـ (وشاول هذا هو بولـس الرسـول) ـ فلّما وجده جاء بـه إلى أنطاكيـة، فأقامـا ـ أي برنابـا وبولـس ـ سـنةً كاملـةً يعمـلان معـا في هـذه الكنيسة، ويُعلّمان خلقاً كثيراً.

وفي أنطاكيه سُميّ التّلاميذ أوّل مرّة مسيحيين. والآن لنتابع ماكتبوه في الحاشية (١٧) التابعة لجملة

(في أنطاكيه سُميّ التلاميذ أوّل مرة مسيحيّن). ففي الحاشية يقولون : (لفظ جديد آخر للدلالة على من سّماهم لوقا، ولايزال يُسميّهم "الاخوة" و "المؤمنين" و "التلاميذ" و "الطّريقة" و "القديّسيين" الخ.. كلمة مسيحي ترجمة للاسم اليوناني المشتق من المسيح، تكاد تكون جميع تلك التّسميات الأخرى من صُنع المسيحيّن أنفسهم. في حين أنّ اشتقاق كلمة "المسيحي" أي من أتباع المسيح، هي، على مايبدو، من صُنع غير المسّحيين.

ويدلّ ظهور هذا اللّفظ على أن "كنيسة" أنطاكية كان يُنظر إليها، لا كما يُنظر إلى شيعة يهوديّة، بل إلى جماعة دينية جديدة تنتمي إلى المسيح (١) .) وبمراجعتنا للإصحاح ٢٤/٥ المطلوب منّا مراجعته. نلاحظ أنّ هذا الاصحاح يخبرنا بنزول عظيم الكهنة وبعض شيوخ اليهود ومُحام إسمه طرطُلّس عند الحاكم الروماني : (فرفعوا للحاكم دعواهم على بولس. فلّما دُعيّ، استهلّ طرطُلُّس اتهامه بقوله : "إنّ مانَنْعَمُ به من السَّلام الشّامل بفضلك، ومن الإصلاح الذي حَصَلَتْ عليه هذه الأمّة بعنايتك، نتلقّاه يافِلِكّس المكرّم بخالص الشكر من جميع الوجوه، وفي كلّ مكان، ولكن لاأريد أن أُزعجك بكثير الكلام، فأرجو أن تُصغي إلينا قليلاً بما أنت عليه من اللُّطف. وجَدنا هذا الرّجل آفةً من الآفات ـ يقصد المحامي بكلامه وشكواه بولس الرسول كما يدل على ذلك سياق الكلام ـ يُثير الفتن بين اليهود كافّةً في العالم أجمع، وهو أحد أئمة شيعة النّصارى. وقد حاول أن يُدنّس الهيكل، فقبضنا عليه، فتستطيع، إذا استجوبْتَه عن هذه الأمور كُلّها، أن تتبيّن مانتهّمه به. فساندُه اليهود، زاعمين أن الأمور على ذلك.).

لابدّ أن يكون قد اتّضح للقارىء من خلال الشواهد التي قدمتها أنّ تلاميذ المسيح الناصري لم تُستعمل لهم كلمة مسيحين في حياته في فلسطين إطلاقاً. بل إنّ هذه التّسمية قد استعملت لهم، وبعد مُدّةٍ مديدة من واقعه صلبه، وفي انطاكية بالذات، وعلى أيدي (بولس) نفسه الذي سبق أن أثبتت من قبل أنّه هو الذي ابتدع عقيدة (كفارة المسيح) وليس أحد سواه.

كما اتضّح للقارىء أيضاً أنّ كهنة وشيوخ اليهود استعملوا لهؤلاء المؤمنين بالمسيح الناصري اسم "شيعة النّصارى" خلال مرافعتهم وشكايتهم التي رفعوها ضدّ بولس نفسه.

هذا هو تاريخ تسمية أتباع المسيح بالمسيحيّين وباسم شيعة النّصارى ممّن ناصروه

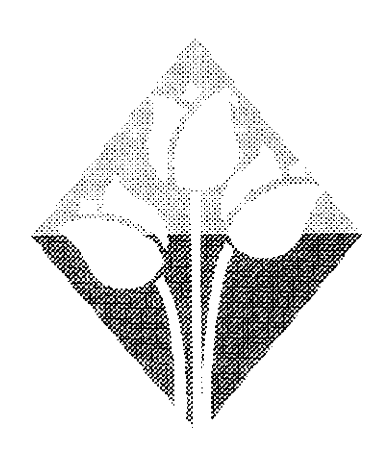
---

(١) - راجع ٥/٢٤

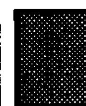
ونصروه ضدّ من اضطهده من اليهود. والسّبب في قبول هؤلاء لهذا الاسم الجديد الذي سمّاهم به بولس، هو مالاقاه هؤلاء من اضطهاد ومقاطعة من اليهود الذين اضطروهم لترك أورشليم والهجرة منها إلى قبرص وأنطاكيه وسواها على حسب ماسبق أن بيّنته في حينه.

وعاد هؤلاء المؤمنون بهذا الإسم وكأنّهم انسلخوا به عن جسم الأمة الاسرائيليّة، وشكّلوا أمّة جديدة وديناً جديداً غير الدّين اليهودي. مع أنّ حقيقة ومثل هؤلاء المؤمنين لاتختلف في شيء عن جماعات المؤمنين الذين سبقوهم من قبل، في عهد أيّ نبيّ بعثه الله تعالى بعد موسى عليه السّلام ومن أمّته. فما جاء قبل المسيح الناصري نبيٌّ اسرائيلي نسخ شريعة موسى واستبدلها بشريعة جديدة. ثم إنّ المسيح نفسه اعترف أنه ماجاء لينقض شريعه موسى وإنّما لِيُكْمِل بمعنى مصداقاً لنبوءتها، وليحقّق لها وجهها الوضّاح الحقيقي. والذي يتدبّر الأناجيل فلا يجد أن المسيح شرّع أموراً تختلف عن التشريع التوراتي، وإنما تدلّ أقواله على أنه قام بعملية تجديدٍ وحسب. فهو قال مرّة على سبيل المثال في انجيل متى ٢٧/٥ : (قد سمعتم أنّه قيل للقدماء لاتزن. وأما أنا فأقول لكم: إنّ كلّ من ينظُرُ إلى امرأةٍ يشتهيها فقد زنى بها في قلبه..) فليس في هذه الكلمات تشريعٌ جديد، بل فيه شرح لفلسفة الزّنى وآثاره على نفس الإنسان.

وعليه نخلص من جميع ماذكرناه للرّد على من اعتقد أنّ "المسيحيّة" دين مُستقلّ عن دين موسى عليه السلام.



٤- ما يثبت هجرة المسيح الناصري إلى فارس وأفغانستان وكشمير



مادمنا قد أثبتنا من خلال مؤلّفاتٍ قديمةٍ، ولعلماء ومستشرقين ورحاله شرقيين وغربييّن أنّ الأسباط الاسرائيلية العشرة التي سباها ملك بابل، واستوطنت بلاد فارس ولم يُسمح لها بالعودة إلى وطنها فلسطين، أقول : مادمنا أثبتنا أن جميع هؤلاء الباحثين تأكدّوا من أنّ الأسباط الاسرائيلية المذكورة تركت بلاد فارس وهربت راحلة باتّجاه شرقي ايران أي إلى البلاد المُسمّاة اليوم بأفغانستان فاستوطنها بعض الأسباط. والبعض الآخر واصل سيره باتجاه الشرق أيضاً فوصل هضبتي كشمير والتّبت. ولاحظوا أنّ تلك المناطق تشبه بلادهم الأصلية فلسطين، فقد استوطنوا فيها وأطلقوا على تلك المنطقة (كاشير) أي كبلاد الشّام. وهذه الكلمة تحوّلت مع مرور الزمن إلى (كشمير). كما أطلقوا أسماء يهودية على كثير من الوديان والجبال والسهول التي حطّوا فيها رحالهم كمّمر خبير وهو الوادي الفاصل بين افغانستان والأراضي المتفرعة عن كشمير، وكجبل سليمان، وسواها من الأسماء. علماً بأنّ لُغات الهند وماجاورها جميعها لاتحتوى على مثل هذه الأسماء.

أقول : مادمت قد فرغت من إثبات ذلك، فقد كان من واجبي أن أثبت هجرة المسيح الناصري إلى تلك الأقطار أيضاً. تدليلاً على أنّ ا لله تعالى أنقذه من الموت على الصليب، ليُهاجر سائحاً في الأرض وباحثاً عن الشّتات من أسباط قومه اسرائيل.

وقد خصصّت هذا الفصل من الكتاب لإثبات هذه الحقيقة وأكون قد وفّيت موضوع كتابي هذا حقّه من الأبحاث التي تدور في فلك موضوعه كما تدور الكواكب حول الشمس.

وكتمهيد لهذا الفصل أقول : ألّف كثير من العلماء أيضاً كُتباً يحاولون تفسير ظاهرة عجيبة لفتت أنظارهم، وهي تشابه تعاليم (بوذا) مع تعاليم المسيح الناصري التي أوردتها الأناجيل التي بين أيدينا ـ فذهب بعضهم إلى أنّ المسيح قبل إعلان دعوته، لابدّ أن كان رحل إلى الهند، وتأثّر بتعاليم بوذا، حتى إذا رجع إلى وطنه قام بنشر نفس التّعاليم.

ولاشكّ أنّ أولئك العلماء، ماخطر لهم يوماً ما، أنّ المسيح الناصري لم يَمُت على الصليب وأنّه هاجر بعد نجاته إلى تلك الأقطار ونشر تعاليم التّسامح والسّلام هناك بين الشّتات من الأسباط الاسرائيلية التي سبق أن كانت قد اختلطت بأتباع (بوذا) الذي كان قد بعثه ا لله تعالى قبل المسيح بخمسمائة عام، واندثرت تعاليمه الحقيقيّة بسبب أنه لم يكن النّاس يُوثّقون تعاليم أنبيائهم، ويعتمدون على الرّواية الشفهية لتلك التّعاليم، وكانت تتعرّض تلك التعاليم للتشويه على مرّ الزّمان.

فما خطر لأحدٍ من هؤلاء الباحثين أصحاب المؤلفات التي سآتي على ذكرها، أنّ تعاليم المسيح الناصري التي تركت بصماتها على البوذيين وليس العكس بشكلٍ من الأشكال.

ومن الذين لاحظوا مدى التشابه بين تعاليم بوذا المنتشرة في التّبت خاصّة وبين تعاليم الأناجيل، وذهب المذهب الذي ذكرته، عالمٌ رحّالةٌ روسي شهير، يُدعى (نكولاس نوتوفيتش : Nicolos Notovitch). فقد رحل الرحالة المذكور إلى هضبة التّبت، وخالط (اللاّمات) وهم رجال الدين البوذي، وحاول ترجمة كُتبٍ يتداولونها، ويُعطونها مُسحة قداسة. وكان هذا الرّحالة مُتبحرّاً بتعاليم المسيح من خلال الأناجيل التي هي بين يديه. وقد أدهشه مبلغ التشابه الكبير مابين تعاليم (بوذا) التي احتوت عليها تلك الكتب، وتعاليم المسيح الناصري في الأناجيل.

فألّف كتاباً وضّح فيه نواحي التشابه الكثيرة، ورجّح كباحثٍ أن يكون المسيح الناصري قد زار منطقة التّبت وتأثر بتعاليم بوذا قبل أن يبشر بدعوته. فلّما عاد المسيح من هناك نشر تلك التعاليم البوذية على أنّها تعاليمه.

والذي نلاحظه بعد مطالعة المؤلّف المذكور أن (نكولاس) لم يستطع تقديم أيّة حُجّة قاطعة تثبت ماذهب إليه خياله. اللهم إلاّ هذا التّشابه بين التّعليمين.

أقول : لنعكس معادلة هذا الرّحالة الرّوسي نيكولاس، فينقلب هذا التّشابه لصالح هجرة المسيح النّاصري وتواجده في التّبت بعد نجاته من الموت على الصّليب.

وقُلت أنّ تعاليم بوذا لم توثّق في كتاب قبل زمن هجرة المسيح إلى التّبت خاصّة، بل كانت متداولة على شكل روايات شفهية مُشوّهة. وبتأثير تعاليم المسيح التي نشرها هناك بين المُشتّت من قومه الذين خالطوا البوذيّين، فقد حدثت ردّة فعل لدى (لامات) البوذيين، وراحوا يزعمون أنّ بوذا علّم نفس تعاليم التّسامح والسّلام. وبعد جيل أو جيلين بدأ علماء البوذيين يكتبون تلك التعاليم

ويوثقونها كمرجع مُقدّس للقرّاء من أتباعهم. وعلى هذه الصورة يتوضح الإشكال الذي أشكل على الرحالة الروسي نيكولاس.

وبما أنّ ماكتبه هذا الرّحالة كان يمسّ شخص المسيح الذي تقدسّه الشعوب الغربية، فقد أحدث ضجّة وأثار غباراً. وانطلق علماء غربيّون يتدارسون هذا الأمر، كلٌّ على حسب اجتهاده. لكنّ الذي أعاقهم عن اكتشاف الحقيقة، هو اعتقادهم التقليديّ أنّ المسيح الناصري مات على الصّليب. فلم تخطر ببال أحدهم إمكانية هجرته إلى تلك الأقطار.

وقد تناولَتْ مختلف صُحُف تلك الفترة الزمنية هذا الموضوع بأساليب عديدة. فمن تلك المجلاّت التي تناولت الموضوع المذكور مجلّة كان إسمها (Nineteech Century) واسم صاحبها (مستر ميكس مولر Max Muller). وكان مّما كتبه صاحب هذه المجلّة في عدد شهر اكتوبر لعام ١٨٩٤ ميلاديه : "أن النظريّة القائلة بتأثير المبادىء البوذية في شخص المسيح وتعاليمه، لاشك أنّ الذي طرحها مؤلّفون ثُقات. إنّما البحوث لاتزال جارية على قدم وساق للكشف عن الطّريق التاريخيّ الذي أوصل تعاليم الدّين البوذيّ إلى فلسطين في حياة المسيح الناصري".

فبهذه الألفاظ، لم يطعن الصحفي المذكور بنظرية الرّحاله الروسي وسواه، إنّما شوّش عليه حين ذكر أنّ تعاليم بوذا نفسها وصلت إلى فلسطين وليس أنّ المسيح رَحَلَ إلى هناك قبل دعوته واقتبسها عن البوذيّين، لأنّه كان من العسير جدّاً على الأوربيين أن يُسلّموا برحلة المسيح إلى الهند قبل اعلان دعوته. فقد كان معلوماً لديهم أين أمضى المسيح الثلاثين عاماً من شبابه.

وأقول هنا نفس ماقلته تعقيباً على ماأورده الرّحالة الرّوسي في كتابه. وهو أن هذا الصّحفي (ميكس مولر) ماكان يدري أنّ المسيح لم يمت على الصّليب بسبب عقيدته التقليدية المرتكزه إلى موت المسيح على الصّليب والتي ابتدعها (بولس) كما سبق بيانه.

والمعلوم تاريخياً أن بريطانيا بعد أن استعمرت شبه القارة الهنديّة، أتت معها بالمبشرين المسيحيين إلى الهند لتنصير أهل تلك البلاد وجعلها بالتّالي تابعةً للتّاج البريطاني. وقد انتشر المبشرون المسيحيون في هضبة التّبت أيضاًوفتحوا لهم مراكز تبشيرية فيها.

وقد ألّف أحد علمائهم وهو g.H.T كتاباً سمّاه (منغوليا والتّتار والتّبت, Tibet, tartary, Mangolig)[1] تكلّم فيه عن (بوذا الميتا). ومّما ذكره في كتابه المذكور أنّ الظروف

---

(١) – راجع النص الكامل باللغة الإنكليزية في الملحق آخر هذا الكتاب

والأوضاع التي رآها المبشّرون المسيحيون القدماء في هضبة التّبت بأمّ أعيُنهم، والتي سمعوا عنها بآذانهم، دفعهم كلّ ذلك ليستيقنوا أنّ آثار المسيحيّة موجود علائمها في كتب علماء البوذيين (اللاّمات) القديمة وأضاف يقول على نفس الصفحة : إنّ متقدّمينا اعتقدوا أنّ المسيحيّة وصلت إلى هذه الدّيار في حياة الحوراييّن أنفسهم.

كما أضاف على الصفحة (١٧١) قوله : وإنه ممّا لاشك فيه أنّ انتظار ظهور مُخلّص أعظم، كان سائداً بين النّاس على حسب ماذكره (طيسيطي) (tacity). هذا وإنّ الدّاعي إلى هذا الانتظار، لم يكن بسبب اليهود وحسب، بل إنّ البوذيّة نفسها أسّست عقيدة الانتظار المذكورة، وتنبّأت بظهور (متيا) الذي ترجمته (المسيح).

وعلّق المؤلف نفسه ، على ماذكره، وقال : يوجد كتابان بوذيّان هما كتاب (بتاكتيان) وكتاب (أتهاكتها)، وقد احتوى هذان الكتابان على نبأ واضحٍ متعلّقٍ بنزول (بوذا) آخر، حُدّد موعد ظهوره بعد (جوتم) أو (ساكهي مني) بألف سنة، وأن (جوتم) صرّح أنّ (ميتا الأبيض) الذي ترجمته المسيح الأبيض البشرة، لابُدّ أنْ يأتي بعدي إلى هذه البلاد.

ثم يمضي هذا الكاتب الإنكليزي ويقول : إن إسم (مَتيا) يُشبه اسم (المسيح) من حيث التلّفظ شبهاً مدهشاً..

أقول : لايُستبعد وجود هذه النّبوءة في كتب أهل التّبت عن سفر المسيح الناصري إلى بلادهم. فلا يُستبعد أن يكون (جوتم) المذكور هو أحد صلحاء ذاك الشّعب، وأنّ الله تعالى كشف عليه هذه الحقيقة القادمة المتعلّقة بهجرة المسيح الناصري إلى هناك بعد نجاته من الموت الصليبيّ. ذلك أن للصُّلحاء من النّاس كثير من هذه المُكاشفات.

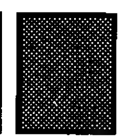
والحقيقة أنّ كلمة (بجوا) في اللّغة السنسكريتيّة تعني ذي اللّون الأبيض. وإنّ كلمة (متيا) في السنسيكريتية تعني (السّياح) القادم من خارج البلاد. وقد أثبت حتى الآن أن المسيح الناصري كان مكلفاً بالسّياحة إلى تلك الأقطار التي وصل إليها الشتات من اليهود. فهذه النبوءة المذكورة لابد أنّها جاءت لحكمة عظيمة وهي أن تُعدّ أفئدة البوذيين من أهل تلك البلاد للتّرحيب بالمسيح وعدم اضطهاده.بل تلقّي تعاليمه. وهذا هو ماحدث فعلاً. فلم يكن البوذيّون قد دوّنوا تعاليم بوذا من قبل، ووصلت إليهم تعاليمه بالرواية الشفهية ومُشوّهة. وهم قد اعتقدوا أنّ هذا المسيح الأبيض هو مصداق ماعندهم من نبوءة، فالتفّوا حوله يستقون منه تعاليمه على أنّها نفس

تعاليم (بوذا) الحقيقية، فلّما دونوا هـذه التعـاليم مـن بعـد ذلـك، جـاءت مشـابهةً لتعـاليم المسـيح الناصريّ إلى حـدٍ كبـير. ثـم إنّ كلمـة (المسـيح) اشـتُقّت مـن السّياحة أصـلاً، ولايُسـمّى إنسـان سائحاً، مالم يُغادر وطنه إلى غيره من الأوطان.

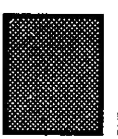
وعلى كلّ حال، فإن المسيحيين التقليديّين إذ يبحثون عن تأثير البوذية في تعاليم المسـيح، إنما يختارون طريقاً ملتوياً في نظري، ويُتعبون بالتالّي أنفسهم بلا طائل، مادامو معتقدين أن المسـيح الناصري مات على الصليب.

وما أسهل أن يعكسوا معادلتهم، ويتلمسّوا آثار أقدام مسيحهم المباركة في أعـالي جبـال نيبال والتّبت وكشمير. فلا يجدون بعد ذلـك إشـكالاً، وتتضّـح لأعينهـم الحقيقـة ناصعـة البيـاض. وهذا الأمر لايتحقق إلا بعد أن يأخذوا بدلالة الجملة من سفر المزامير ١٢/٣٤ (البـار المتـألم محمـيّ في المحنة)، وبدلالة نبوءة مشابهة حادثة الصلب بحادثة يونـان النـبي الـذي دخـل بطـن الحـوت حيّاً وخرج منه حيّاً. وبدلالة قول المسيح الناصري نفسه في انجيل يوحنا من أنّ له خراف أخرى خـارج حظيرة فلسطين.





٥- مرهم عيسى في كتب الطبّ القديمة



طالعت الأناجيل الأربعة من أولّها إلى آخرها، مراراً وتكراراً، فلم ألحظ أنّ الذين جلسوا يكتبون هذه الأناجيل، قد فكّروا ولو للحظة من اللّحظات، في أمر الكلام عن العلاج الذي هيّأه تلاميذ المسيح الناصري لمعلمهم لمعالجه مأصاب يديه وقدميه من جروح. وقد أطبق كتاب الروايات الإنجيلية عن الكلام عن (مرهم عيسى) الذي عولجت به جروحه، وكأنّ أمر معالجه جروح المسيح الناصري ماكان لها أيّة أهمية كانت، في نظر كُتّاب الأناجيل .

حدث هذا في وقت ذكر هؤلاء الكُتّاب أنّ المسيح الناصري كان يُري أيديه وأقدامه وماحدث فيهم من جروح نتيجة تعليقه على خشبة الصلب. فهل يستسيغ عقلُنا أن يريهم جروحه، ولايسارعون باحضار طبيب من أجل معالجته، أو يركّب خبيّر منهم مرهماً ليضعه على جروح معلّمه؟

هذا الأمر حدا بي لأبحث في كتب الطبّ القديمة. فحادثة تعليق المسيح على الصليب ضجّت لها الأسماع في حينه. ولابدّ أن يكون هذا المرهم الذي هيؤوه لمعالجة جروح المسيح الناصري قد أخذ شهرته أيضاً، وسارع أطباء ذاك الزمان لإنزال إسم ومواد تركيب المرهم المذكور في كتبهم الطبيّة. ولشد ماكانت دهشتي قويّة أنني لاحظت أنّ المرهم قد اشتُهر باسم (مرهم عيسى) وأنّ كتب الطبّ القديمة التي ألّفها الأطباء بعد حادثة الصلب، قد اشتملت جميعها تقريباً على وصفة (مرهم عيسى) المذكور. سواء أكان هذا الكتاب الطّبي عربياً أو أعجمياً.

وعلى سبيل المثال هناك كتاب طبٌ روماني إسمه (قرابادين)، وقد كُتب باللغة الرومانية أيضاً. وقد ألّف الطبيب هذا الكتاب بعد تاريخ حادثة صلب المسيح بمدّة قصيرة. وقد اشتمل هذا الكتاب الطبّي على نسخة (مرهم عيسى).

وقد شرح الطبيب : "إنّ هذه الوصفة أُعدّت لمداواة جروح يسوع المسيح. وقد تُرجم هذا الكتاب الطبّي الروماني إلى لغاتٍ عديدة منها اللغة العربية وذلك في عهد الخليفة المأمون بن هارون

الرّشيد.

ومن عجائب التقادير الإلهية أن اشتهر هذا المرهم "مرهم عيسى" إلى درجة اشتملت عليه أكثر كتب الطبّ سواء كانت هذه الكتب لمسيحيين أو ليهود أو لمجوسن أو كان مؤلفوها مسلمون. وقد أجمع هؤلاء الأطبّاء القدماء أنّ مرهم عيسى أعدّه حواريوا المسيح الناصري لمداواة جروحه التي تسبب له بها تعليقه على الصّليب، وأنّ هذا المرهم أفاد في شفائه من تلك الجروح في بضعة أيّام. وأنّ هذا المرهم يحوي مادّة (مُرّ) تحفظ الجرح من التقيّح والتدوّد. حتى وأنه مفيد في علاج الطاعون وجميع أنواع البثور. علماً أنّ مادة (المرّ) أو (المرارة) المذكورة وردت في الأناجيل كما سبق أن وضحت سابقاً.

ونحن إذا فكّرنا فيما نقله إلينا الانجيليّون من أنّ المسيح بعد أن قام انتقل من أورشليم إلى الجليل حيث التقى هناك بتلاميذه. وبين أورشليم والجليل مايزيد عن ثمانين كيلو متراً. وهل يُعقل أن يقطع هذه المسافة الطويلة من نزل حديثاً عن الصليب، وأثر المسامير لايزال يُدمي يديه ورجليه؟.

والذي يراجع الكتب اليونانية القديمة التي كُتبت بعد حادثة الصّلب المشهورة بمدّه، سيلاحظ أنّها اشتملت أيضاً على "مرهم عيسى" المذكور على اعتبار أنّ هذا المرهم البلسم رُكبّ للمسيح الناصري واشتهر باسمه أيضاً.

فمن ركّب عناصر "مرهم عيسى" هذا؟ أكان طبيباً؟ أم كان المرهم مُستعملاً من قبل، أم ركّبه الحواريون؟ أم ألهَم الله تعالى عيسى نفسه مواد تركيبه؟ هذا مما لم اكتشفه حتى هذه اللحظة خصوصاً وأن الانجيليّين لم تصلهم أخبار ذلك، وإلاّ لكانوا قد تعرضوا لذكره في أناجيلهم يقيناً. الأمر الذي يثبت منه أيضاً أنّ الأناجيل كتبها مؤلفوها بعد عدّة عقود زمنيّة من تاريخ تعليق المسيح الناصري على الصّليب. حيث كانت قد ضاعت أخبار هذا المرهم وأخبار الذين صنّعوه.

هذا، وأذكر للقارىء أسماء بعض الكتب العربية وغير العربية التي اشتملت معلوماتها على ذكر "مرهم عيسى" وسبب تركيبه. وبامكانه مراجعه الكتب المذكورة للتأكد مما ذكرت :

أولاً ـ لايوجد عربي مثّقف لم يسمع بكتاب (القانون) لأبي علي بن سينا، فهو احتوى على الصفحة (١٣٣) على وصفة مرهم عيسى. وهناك أطباء شرحوا هذا المؤلّف الطبيّ (القانون) أمثال قطب الدين الشيرازي، وقد أبقوا في شرحهم على المرهم المذكور.

ثانياً ـ ومن الكتب الطبية المشهورة كتاب (كامل الصناعة) للطبيب علي بن عبّاس. وهو كتاب ضخم مؤلف من عدّة أجزاء. وقد ذكر مؤلفه هذا المرهم على الصفحة (٦٠٢) منه.

ثالثاً ـ وكتاب طبيّ بعنوان (تذكرة أولي الألباب) للشيخ داوود الضّرير الإنطاكي، تعرض لذكر مرهم عيسى في كتابه.

رابعاً ـ وكتاب (عمدة المحتاج) كتاب طبّي للطبيب أحمد رشيد الحكيم. وقد أخذ معلومات كتابه من عشرات الكتب الطبية الافرنسية، ولم يخل هذا الكتاب من ذكر (مرهم عيسى) أيضاً.

ثم إنّ الذي يزور الهند والباكستان، ويُراجع كتب طُبّها القديمة في مكتباتها، سيجد أنّ كتب تلك المنطقة قد أدرجت "مرهم عيسى" أيضاً فيما أدرجته من وصفات طبيّة.

فكتاب (علاج الأمراض) للطبيب محمد شريف خان تضمّن وصفة (مرهم عيسى) على الصفحة ٨٩٢ من صفحاته. وكتاب (أُكسير أعظم) للطبيب محمد أعظم خان الملّقب بناظم جهان، هو ايضا احتوى على هذه الوصفة الطبيّة على الصفحة (٣٣١) من صفحاته. وكتاب (زبدة الطبّ) للإمام أبي ابراهيم اسماعيل بن حسن الحسينيّ الجرجاني احتوى على هذه الوصفة الطبية على الصفحة (١٨٢) من صفحاته.

وفي إيران من الأطباء القدامى من ضمّن كتبه الطبية بوصفة "مرهم عيسى" أيضاً، وأتى على تفاصيل تركيب عناصره، كالكتاب (ذخيره خوارزم شاهي) وقد ألّفه صاحبه ليصف فيه الوصفات الطبية لمعالجة أمراض الجلد. وككتاب (طبّ شيرازي) المُسمّى "سبريه" لمؤلفه سيد حسين الكاظميّ وقد ذكر وصفة "مرهم عيسى" على الصفحة (٤٧١) من صفحاته.

واكتفى بذكر ماذكرته من كتب طبّ الأقدمين للقارىء، خشية الإطناب المملّ. وإلاّ فهناك أسماء عشرات الكتب الطبيّة القديمة المذكور فيها "مرهم عيسى" وتركيبه وسبب وضعه.

وليتذكر القارىء هنا أن معظم كتب الطبّ التي أتيت على ذكرها، كانت تُدرّس قديماً في مدارس المسلمين وغير المسلمين. وفي مدارس أوربة أيضاً.

المهمّ من كل ماذكرناه هو أنّ كتب الطبّ القديمة عامة قد احتوت على وصفة "مرهم عيسى"، والمنسوب تركيبها، إلى عهد المسيح الناصري ومداواة جراحه بهذا المرهم المذكور.

وهذه شهادة وبيّنةٌ لمن يطلب الحقيقة ويسعى إليها. فهي بيّنة تستحق القبول من جانب العقلاء والمفكّرين، لكثرة هذه المؤلفات التي احتوتها من جهة، ولاطّلاع ملايين الطّلاب وأساتذتهم على

هذه الكتب وعدم اعتراضهم على ماحتوته من علوم.

لذلك كلّه، لا أظن أن القارىء لكتابي هذا، إن كان مُنصفاً وباحثاً عن الحقيقة طوال عمره، لاأظنّه يرفض بيّنة "مرهـم عيسى" ودلالاته، خصوصاً وأنّ كُتّاب الروايات الإنجيلية، لم يذكر أحدٌ منهم أنّ المسيح الناصري كان قد تعرّض قبل حادثة صلبه إلى كسور أو جروح أو ماشابه، ليفترض المرء أن (مرهم عيسى) قد استعمله المسيح قبل حادثة تعليقه على الصليب. ثم إنّ المسيح الناصري لم يشتهر أصلاً قبل الحادثة المذكورة وخلال الثلاث سنوات ونصف التي مرّت عليه قبل ماتعرضّ له.

وأرجو أن أُلفِتَ نظر القارىء الكريم إلى أنّه لو انقلب المسيح الناصري بعد محاولة صلبه وقيامه وظهوره لتلاميذه، أقول لو انقلب إنساناً آخر أو ربّاً دُفع إليه (كلّ سُلطان في السّماء وعلى الأرض..) على حسب ماروى متى (1)فلما احتاج المسيح لمداواة جراحاته.

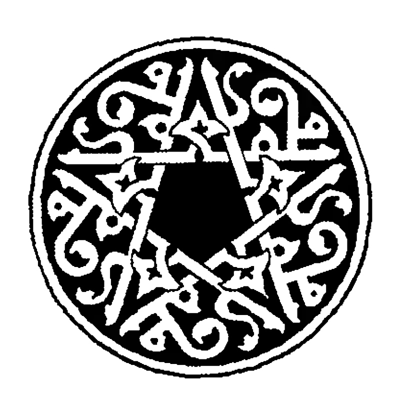
لكنّ تركيب هذا المرهم لمداواة جراحات المسيح الناصري، ومداواته وشفائه ممّا أصابه، واشتهار هذا المرهم بين الأطباء الرّومان واليونان والعرب والفرس والهنود وغيرهم. يدلّ دلالة صريحة على أنّ المسيح الناصري قبل حادثة الصلب وبعدها، هو هو لم يتبدل، ولم يكن يُؤتَ أي سلطان في السماء وعلى الأرض. بدليل أنّه قطع بعد أن شفي المسافة مابين أورشليم وجبل الجليل سليم الجسم مُعافى، ومن ثم هاجر ليبحث عن الشتاتِ من أسباط بيت اسرائيل الضالة في الأقطار شرقي بابل وفارس.

ساح في الأرض إلى أن بلغ في ترحاله هضبة كشمير والتّبت المجاورة، على حسب ماأثبتناه. وقد اختلط بالبوذيين وحقّق نبوءة بوذا المتعلقة بقدوم المسيح الأبيض إلى هناك، فلم يضطهدوه بل تبنّوا تعاليمه. وآمن به جميع اليهود الاسرائيليون خلال جميع المناطق التي زارها المسيح الناصري. وقد ظلّ اليهود يسمّون أنفسهم اسرائيليين يهوداً ولم يتسمّوا بإسمه. لأنّهم اعتبروه أحد أنبياء قومهم المنبأ عن ظهورهم. والمسيح الناصري لم يُطلق عليهم اسم "مسيحيين" كما فعل بولس بتلاميذه من بعده. بل تركهم يُسمّون مؤمنون وإخوة ليس إلا وبنفس مافعله مع تلاميذه قبل حادثة صلبه لم يُطلق عليهم اصطلاح مسيحيين مادام بينهم. لكنّ ماحدث فقد كان بفعل بولس كما أثبتنا ذلك

---

(١) - إنجيل متى ١٨/٢٨

من قبل. وهذه هي قصّة هذا النبيّ الذي نجّاه ربه من المـوت على خشـبة الصليب، وأنزل كتاب الفُرقان بعد ستة قرون من الحادثة المذكورة وقال ﴿وما قتلوه يقيناً﴾.



كلمة ختام

وفي ختام هذه المحاولة الجادّة، التي حاولتها في هذا الكتاب، والتي قصدت بها التّقريب بين مفاهيم من يتعلّق بهم تحقيقي هذا. أتوجّه إلى المسلمين راجياً ى أن يتدبّروا مابشّرت به الملائكة مريم : ﴿إذ قالت الملائكة يامريمُ إنّ الله يُبشّرك بكلمةٍ منه اسمه المسيح عيسى ابنُ مريمَ وجيها في الدّنيا والآخرة ومن المُقربيّن.﴾(١) ويتفكّروا في قوله تعالى خاصّة ﴿وجيهاً في الدّنيا﴾. فلو أخذوا بما ذهب إليه مفسّروهم، فهل يتطابق ذلك والوجاهة في الدّنيا؟.

وأتوجّه في الوقت نفسه إلى المسيحيّن راجياً أن يتدبّروا مُجدّداً في نبوءة (جيل فاسق شرير يطلب آية لاتعطى له الاّ آية يونان النبي) (٢)ويتفكّروا في دلالتها، وهل تصدق إلاّ في حال الاعتقاد بعدم موت المسيح الناصري على الصليب؟

وأتوجّه في الوقت نفسه إلى اليهود أيضاً راجياً أن يُطالبوا كهنتهم وشيوخهم وخاخاماتهم أن يدلّوهم على دليلٍ مُوثّقٍ واحدٍ يثبت هؤلاء الأتباع اليهود يقينهم موت المسيح الناصري على الصليب.

---

(١) – سورة آل عمران الآية (٤٥)

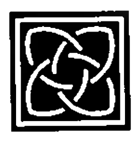
(٢) – إنجيل متى ٣٩/٩

وأضيف وأقول: إنّني تجولّت في أرجاء الهند والباكستان وكشمير، ولشدّ ماأدهشني وُجُود جبلٍ في هضبة كشمير مُسمّى بإسم مريم (كوه مري) وعلى ذروته ترقد مريم المذكورة في قبرها، وقد قمت بزيارته ودعوت لها على أنّها والدة المسيح الناصري يقيناً.

كما أنّ المسافر إلى (سرّي نكَر) محلّة (خان يار) سيدلّه أهل تلك المحلّة على ضريح عظيم محاطٍ بسورٍ من الحجر ومنحوتٌ على واجهته (يوز آصف) وترجمته (يسّوع المسيح)، ويقول هذا الدّليل لهذا المسافر : هذا ضريح بنيّ قديم أتى إلى منطقتنا وأقام فيها وانتقل إلى رحمه الله هنا أيضاً. ومن يكون (يسّوع المسيح) المنحوت على واجهة الضريح المذكور إلاّ هذا الذي أتت على ذكره الأناجيل؟

سليم الجابي

ماجستير علم الأديان المقارن



APPENDIX 4
Author : H. T. Princep.
Book : Tibet, Tartary and Mongolia

"The earliest travels in Tibet proper which have been transmitted to us, are those of Jesuit Fathers, Grueber and Dorville, who returned from China by that route in A.D. 1661, just four hundred year after Marco Polo's journey westward. They were tge frst Christians of Europe who are known to have penetrated into the populous parts of Tibet, for Marco Polo's journey was, as we have stated, to the north west by the sources of Oxus. Father Grueber was much struck with the extraordinary similitude he found, as well in the doctrine, as in the rituals, of Bhoodbhists of Lassa to those of his own Romish Faith. He noticed, 1st : that the dress of Lamas corresponded with that handed down to us in ancient paintinge, as the dress of the Apostles.
2nd : to us in discipline of monasteries and of the different orders of Lamas or priests bore the same resemblance to that of the Romish Church. 3nd : that the notion of an incarnation was common to both, as also the belief in paradise and purgatory. 4th : he remarked that they made suffrages, alms, prayers and sacrifces for the dead, like Roman Catholics, 5th : that they had convents, flled with monks and friars to the number of 30,000, near Lassa, who all made their vows of poverty, obedience and chastity, like Roman monks, besides other vows. And 6th : they had confessors, licensed by the superior Lamas or bishops; and so empowered to receive confessions and to impose penances, and give absolution. Besides all this, there was found the practice of using holy water, of singing service in alternation, of praying for the great and the superior Lamas to those of different orders of Romish hierarchy. These early missionaries further were led to conclude from what they saw and heard, that the ancient books of the Lamas contained traces of the Christian religion, which must, they thought, have been preached in Tibet in the time of Apostles."
(Page 12-14).
Then concerning the advent of a Saviour, the author H.T. PRINCEP writes in the same book (Tibet, Tartary and Mongolia) on page 171 :
"The general expectation of the birth of a great prophet, Redeemer or Saviour, which is alluded to even by Tacitus, as prevailing at the period when the founder of the Christian religion appeared, was, there can be no doubt, of Boodhist origin, and not at all confned to the Jews, or based only on the prophecies of their scriptures".

As a foot note on page 171 the author further wrote :
"The advent of another Boodh a thousand years after Gotama or Sakhya Muni, is distinctly prophesied in the Pitakattayan and Atha - Katha. Gotama declares himself to be the twenty - ffth Boodh, and says, "Bagawa Metteyo is yet to come. The name Metteyo bears an extraodinary resemblance to Messiah."

APPENDIX 16

Page 121

Cyclopaedia of Geography by Jamas Bryce, M.A., IL D.F.R.S.E. and Keith Johnson F.R.G.S.

Published by : Williams Collins, Sons & Co. Ltd.

London & Glasgow.

Date : 1880

Under heading Afhanistan - Page 25
"History and Relations". "The name Aghan is not used by the people themselves; they call themselves Pooshtoon, and in the puten given to them in India.
They trave their orgin to Saul, king of Israel, calling themselves Ben-i-Israel. According to Sir A. Burnes their tradition is that they were transpanted by the king of Babylon from the Holy Land to Ghore, lying to the N. W. of Cabul, and lived as Jews till A. D. 682, when they were converted to Mohometanism by an Arab Chief khaled-ibn-abdalla, who had married a doughter of an afghan chief. No historical evidence has ever been adduced in support of this origin, and it is perhaps a mere invention, founded upon the facts mentioned in 2 kings XVIII-II. However this may be, all travellers agree that the people differ strikingly from the neighbouring nations and have among themselves one common origin. They are said, by some, to resemble Jews very musch in from and features, and they are divided into several tribes, inhabiting separate territories and remaining almost unmixed".

APPENDIX 17
Page 121
History of Afghanistan by : Colonel G. Malleson, C.S.I. W. H. Allen & Co.,
13, Waterloo Place, Pall Mall, SW 1.
Published at the India Offce, 1878.

Page 39. "I turn now to the people of Afghanistan, to the tribes who occupy the country, and who command the passes. The subject has been treated at great length by Mountstuort Elphinstone, by Ferrier - who quote largely from Abdulldh khan of Herat, by Bellews and many others.
Following Abdullah khan and other Afghans represent Ferrier is disposed to believe that the Afghans writers, the lost ten tribes and to claim them descent from Saul, King of Israel. Among other writers concurring in this view may be mentioned the subject at length, rejects this theory.
Mountstuart Elphinstone classes it in the same category as the theory of the descent of the Romans from the Trojans.
The objections to Abdullh khans' view have been recently expressed, fittingly and forcibly by Professor Dowson, in a letter to the Times, "If" writes that gentleman, "it were worthy of consideration, it is still inconsistent with the worthy of consideration, it is still inconsistent with the notion that the Afghans are descendants of the lost ten tribes. Saul was the tribe of Benjamin, and that tribe was not one of the lost ten. There remains the question of teatures. This no doubt has its weight, but cannot prevail against the more important question of language. Professor Dowson then proceeds to show that the afghan language has no trace of Hebrew in it, and concluded by pronounciny the supposition that in the course of time the whole Afghan race could have changed their language is "Too incredible".
APPENDIX 18
Page 122
L. P. Ferrier.
History of the Afghans. 1858.
Translated by W.M. Jesse.
Published by : Johan Murray, London.
Page 4. "When Nadir Shah marching to the conquest of India, arrived at Peshawar, the chief of the tribe of Woozoof Zyes presented him with a Bible written in Hebrew and several other articles that had been used in their ancient worship and which they had preserved.
These articles were at once recognized by the Jews who followed the camp."

APPENDIX 19

Page 127

L. P. Ferrier.

History of the Afghans. 1858.

Translated by : W. M. Jesse.

Published by : John Murray, London.

On page No. 1, in footnotes he writes :

"The author of a manuscript history of the Afghans observes that some derive the name affghan from its Persian meaning "Lamentation" because these tribes bewailed their banishment from Judea. Others say that Afghan was the grandson of Saul and was employed by Solomon in building the temple. This author refers to two histories of his nation : The Tarikh-Affghanad, and the Tarikh Ghour, i.e. the History of the Affghans and the History of Ghour. It appears, he says, from these works, that the affghans consider themselves as partly descended from the Copts of Egypt and partly from the Israelites; but nothing is adduced to support this assertion.

"We are told by one of these writers that Nebuchednezzar, after putting to death many of the prisoners, banished the remnant in to the mountains of Ghour, where they multiplied greatly with the Jews called khalud, a letter was received from a converted Jew called khalud, informing them of the appearance of a New Prophet and invoking them of the join his holy standard. Several Affghan nobles went to Arabia; the principal was keis, who, we are informed generation to Saut and through ffty-five to Abraham" (History of the Affghans, Persian MSS).

"Almost all Mohammedan writers claim this descent for the Affghans and I possessed for some time a genealogical table in which an attempt was made to prove all the principal families of Affghanistan direct descendants of the kings of Israel.

الفهرس

الباب الأول

الباب الثاني

الباب الثالث :

الباب الرابع :

هذا الكتاب

حدث جدلٌ عقيمٌ في أواخر
القرن التاسع عشر، بسبب مؤلَّفٍ
كتبه رحّالة روسي وذهب فيه إلى وجود
شـبهٍ عظيمٍ بين تعاليم بوذا وتعاليم المسـيح
الناصري الأمر الذي ظنّ معه أنّ المسيح سافر إلى الهند
قبل اعلان دعـوته وتأثر بتعاليـم البوذيين. وراح العلمـاء
يومئذٍ يبحثون ويدققون، ويكتبون، وتتداول وسائل الاعلام الغربية هذا
الموضوع باهتمام كبير. وإنّ الاستـاذ سـليم الجابي بحث ودقّق، فتبيّن له
ضرورة تبديل طرفي المعادلة التي وضعها الرّحالة الروسي، وحاول إثبات أنّ المسيح
الناصري لم يمت على الصّليب، بل وهاجر بعد محاولة قتله على الصّليب إلى الهند بطريق
فارس وافغانستان وكشـمير فهضبة التّبت واختلط هو بالبوذيين الّذين كانوا ينتظرون تحقـق
نبوءةٍ (لبوذا) وهو أن يأتي المسـيح الأبيض إلى الهند، فتلقّوه بالتّرحاب، وتبنّوا تعاليمـه على
أنّها نفس تعاليم (بوذا) الذي بشّر بقدومه، ومن ثم جاء من دوّن هذه التّعاليم دون ذكرٍ لذلك
الذي حدث. وقد حاول الأستاذ سـليم الجـابي أن يثبت نظريته هذه من القرآن
الكريـم، ومن الأناجيـل المعاصـرة الأربعة التي هي بين أيدينـا، ومن كتب
مشاهير علماء الشّرق والغرب. ولا نظنّ أنّ قارىء هذا الكتاب سيجد
لذّةً ووضوح رؤيةٍ لجوانب موضوعه، من أيّ كتابٍ آخر، لا
من حيث موضوعيّة وتسلسل أفكاره، ولا من حيث بنيةٍ
وقوّة حجَجه وبراهينه، ولا من حيث لباقته في
طرحه لموضوع كتابه ومعالجته إياه.